

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

...د السادس والسابع ـ السنة الثامنة ـ ذو الحجة ـ محرم 1384 ـ ابريل ـ ماي 1965

في هذا العدد

صفحة

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
المملكة المغربية ـ الرباط

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد السادس والسابع
السنة الثامنة
ذو الحجة - محرم
ابريل - ماي
1384 - 1965

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط.
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

موسم ثقافي حافل

اذا القينا نظرة عابرة على النشاط الثقافي ببلادنا ، نجد اننا قد خطونا خطوات مباركة فى حياتنا الفكرية والادبية فى الفترات الاخيرة ، تبشر بان الادب المغربي، والحركة الفكرية فيه تتجه اتجاها لا يعرف التردد ولا التلكؤ والهوادة ، وتسجل باننا قد اخذنا ندرك رسالة الفكر المقدسة التي ينبغي ان نضطلع باعبائها فى عزمة لاتني ، وحركة لا تقف ، وقوة لاتخور ، لاذكاء شعلتها واعلاء سناها ...

فقد امتازت هذه الايام بنشاط ادبي حافل ، وحركة ثقافية جديرة بالملاحظة والتسجيل ، وخليقة بالاكبار والتقدير ، قامت بها فئة مخلصة واعية مؤمنة برسالتها المقدسة حينما تغلبت ارادتها المصممة على التواكل والتواني والكسل العقلي ، لاترجو من وراء ذلك الا شيوع الادب الصحيح ، والعلم النافع ، والثقافة الهادفة ، وايقاظ النخوة فى النفوس ، وبعث الرجولة فى بعض الشباب .

وهكذا ، فقد احتشدت القوى المدخرة ، والملكات المتفتحة من رواد الفكر في البلاد لبعث نشاط فكري يذكي خمود القريحة ، ويجد فاتر النية ، ويحرك ساكن الشوق الى الانتاج والابداع ، وذلك باقامة مواسم ثقافية ، ومهرجانات ادبية ومعارض فنية ، وتجميع ما تفكك من العرى ، وانعاش ما ذوى من الامال .

وليس ادعى الى الاعتزاز والفخر ، من تسجيل هذا النشاط الثقافي الحافل الذي ينبغي ان نعمل على تقويته وتدعيمه لاغناء وتنمية مقومات الصراع والتحدي الذي يتمثل فى كفاحنا ضد العقائد الواغلة ، والمذاهب الباطلة التي تجد مرتعا خصبا فى ذهنية ابنائنا عن طريق المقالة الخفيفة ، والقصة الخليعة ، والادب الرخيص ، مما يساعد على خمود الحس ، وشيوع الجهالة ، وتصوير حضارة خالية من الروح والضمير ...

واننا اذ نلاحظ هذه البادرة الطيبة من الصفوة الممتازة في البلاد لنتفاءل بعهد مشرق ، وحياة حافلة تزخر بخصب ادبي ، وتربة صالحة ، لنمو المواهب ، وتفتح البراعم ، وتغذيه العقول ، وتكوين مجتمع صحيح صالح حر ...

فالامال الذاوية المتلاشية تنتعش بهذه الحركة الثقافية المباركة لتنتصر ، والوجدان العام ينشدها ليحيى ، وهي بعد هذا لا تحتاج الا الى النقد الصريح ، والرأي الناضج ، كما تفتقر الى الدعم والتنظيم والتشجيع .

وينبغي ان لا تصرفنا وعوثة الطريق ، وتكاليف الغاية عن مواصلة هذا البعث الزاحف ، عن طريق الدرس والمعاناة ، والمحاضرات والندوات للوصول الى تفكير منظم ، ومضاعفة الانتاج .

فليس لنا بقاء ولا امتداد ، ولا حياة ولا خلود ، الا بثقافة عربية اصيلة تتغلغل في نفوسنا ، وتجري في دمائنا ، وتضمن وحدتنا ، وتصون عزتنا وكرامتنا ، على ان تصاغ في اطار اسلامي قويم يطابق مقتضيات العصر ، ويجابه متطلبات الحضارة ، حتى تتم معه صياغة الفرد والمواطن صياغة جديدة تتغي الايمان المطلق بقضايا الفكر والحرية والانسان في هذه الحياة .

ذلك هدى الله ، يهدي به من يشاء من عباده ، ولو اشركوا ، لحبط عنهم ما كانوا يعملون .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

ثقافة القرآن

والثقافة العالمية

للأستاذ محمد الحمداوي

مقدمة :

كنا قد نشرنا في العدد الرابع من السنة الثامنة بحثا فيما تحت عنوان : « ثقافة القرآن ثقافة عالمية » لفضيلة الاستاذ الكبير السيد التهامي الوزاني عميد كلية اصول الدين بتطوان

وفاتنا انذاك في ديباجة البحث بان الاستاذ قد ابتعد في بعض جوانبه عن النظريات المعروفة سواء في احتمال نبوة افلاطون وارسطو ، واضرابهما أو في استعمال القرآن لمنطق ارسطو بذاته» او في كون ذي القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر المقدوني ، أو كون الحكمة المذكورة في القرآن هي حكمة الاغريق ... مما حدانا بان نفتح باب المناقشة ونعلن بان الموضوع قابل للنقاش والبحث .

هذا ، وقد بلغنا تعليق على الموضوع الذي أثاره الاستاذ التهامي الوزاني ، بقلم الاستاذ السيد محمد الحمداوي ، آثرنا ان ندرج مقدمته في هذا العدد .

ليس المهم ان تقول ، ولكن المهم ان تزن بميزان العقل والشرع ما تقول ، وليس المهم ان تكتب ، ولكن المهم ان تحقق ان لعباد الله فائدة فيما تكتب ، فمن قبل قال الجاحظ في « حسن الكلام » باللسان او بالقلم : « ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، اصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع عن تعظيمها بهصدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهالة » (✱) ومن قبل الجاحظ قال الله : « وقولوا للناس حسنا » « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » .

اقول هذا بمناسبة قراءتي لمقالين اثنين نشرتهما « دعوة الحق » في عددها الرابع من السنة الثامنة الصادر في شهر شوال 1384 ، اولهما للاستاذ ابى الاعلى المودودي رئيس الجماعة الاسلامية في باكستان عنوانه « واجب الشباب الاسلامي اليوم » وهو عبارة عن محاضرة كان الاستاذ المودودي قد القاها في مكة المكرمة ايام الحج منذ اربع سنين خلت، حلل فيها من ادواء المسلمين في العصر الحاضر ما حلل ، واوصى فيها شباب المسلمين بان يعملوا جاهدين للقيام بواجبهم فيما يراه علاجا لهذه الادواء ، وكان الرجل حكيما فيما حلل من داء، بارعا فيما وصف من دواء، فكانت له بذلك اسوة حسنة برسول الله (ص) يوم خاطب المسلمين خطبته المشهورة عام حجة الوداع ، وثانيهما للاستاذ التهامي الوزاني عميد كلية اصول الدين بتطوان تحت عنوان : « ثقافة القرآن ثقافة عالمية » واذا كان الحق احق ان يقال ، وكانت الحقيقة التي تبحث عنها « دعوة الحق » بنت البحث كما يقولون ، فان اقل جزء من النظر والبحث يظهر ان مقال الاستاذ الوزاني يحتوي على فهوم واحكام لا تقرها اصول الدين ولا

(✱) البيان والتبيين .

فروعه ، ولا تؤيدها حقائق العلم قديمه وحديثه ، واذا كان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد يقول في اولئك الذين ارادوا ان يفسروا القرآن بما لا يزال عرضة للشكوك والتصحيحات من النظريات : (وخليق بامثال هؤلاء المتعسفين ان يحسبوا من الصديق الجاهل لانهم يسيئون من حيث يريدون الاحسان ويحملون على عقيدة اسلامية وزر انفسهم وهم لا يشعرون) (✱)

فاني اعيذ الاستاذ الوزاني بالله ، وهو من اشتهر بعلمه ، وحسن سمته ، وطيب اخلاقه ، من ان يضع حدود مفاهيم القرآن (لا) من حيث وصل اليها المفسرون القدماء والمحدثون ، ولكن من حيث وصل اليها « فكره الخاص » من غير ان يعتمد على حجة ثابتة ، ولا على سند صحيح ، فان في ذلك من الوعيد ما يعرفه الاستاذ ، ولقد حاورت نفسي كثيرا في الاهتمام بالرد على هذا المقال او عدم الاهتمام ، ولكني رأيت ان الرد وجب، والترك اثم ، ذلك لان هذا المقال قد نشر في « دعوة الحق » ودعوة الحق مقروءة في الشرق وفي الغرب ، وصاحبه يتولى عمادة كلية لاصول الدين في المغرب الاسلامي ، فاذا لم يتناول بالنقد ،فسيحسبه الجاهل الغافل من اصول الدين ، ثم يكون بعد حجةوسندا لكيد الكائدين ، وتحريف المبطلين ، وتاويل المتاولين الذين يتربصون بالاسلام الدوائر،ليحرفوه عن مواضعه من الوحي والتنزيل ، واذا كان ارسطو وهو عند الاستاذ الوزاني (اجدر بان يكون رسولا) قد قال قولته المشهورة (احب الحق ، واحب فلاطون ما اتفقا فاذا افترقا ، احب الحق ، واترك افلاطون)فاني وانا اشهد الله فيما اعتقد انه حق فيما قال الاستاذ الوزاني ، احبه واجله واحترمه ولا اتركه فاحسن من قول ارسطو قول الله (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) ، واذا كان اهل العلم ــ كما يقول عبد الرحمن بن مهدي (✱) (يكتبون ما لهم وعليهم خلاف اهل الاهواء) فانهم كذلك ولا شك يقبلون ما لهم وعليهم خلاف اهل الاهواء .

وبعد ، فقد قال الاستاذ الوزاني ان « ثقافة القرآن ثقافة عالمية » وكلمة « ثقافة » ككلمة « فلسفة » قد تسوهل في استعمالها كثيرا ، فعن التساهل في استعمال الاولى قيل : (يمكننا ان نقدم امثلة لا تحصى على استعمال كلمة « ثقافة » من اناس لم يفكروا بعمق ــ فيما يبدو لي ــ في معنى الكلمة قبل استعمالها) (✱) وعن التساهل في استعمال الثانية قيل : (تساهل بعضهم في اطلاق اسم « الفلسفة على فنون تمت الى الاخلاقية والفلسفة الاجتماعية) (✱) وقد كان العقاد تساهل هو ايضا حين خرج بكلمة « الفلسفة » عما وضعت له ، ووضعها مقرونة بكلمة « القرآن » عنوانا لكتابه « الفلسفة القرآنية » ولكن العقاد لم يقل لا في عنوان الكتاب ولا في صلبه ان « الفلسفة القرآنية فلسفة عالمية » ولا انها غارقة في الفلسفة الاغريقية ، وانما قال : « ان موضوع كتابه هو صلاح العقيدة الاسلامية ــ او الفلسفة القرآنية ــ لحياة الجماعة البشرية » وان المقصود بالتسمية انما هو « ان القرآن يشتمل على مباحث فلسفية في جملة المسائل التي عالجها الفلاسفة من قديم الزمن » (✱) .

ومقارنة ما جاء في القرآن بما جاء في غيره من الكتب السماوية ، والفلسفات الوضعية شيء تناوله العلماء في القديم والحديث ، وكما يقول ابن حزم وهو من ابطال هذه المقارنة : « فانما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف احدهما دون الآخر(✱) »والعقاد قد عرف الشيئين وحكم فيهما ، وهو قد حكم ــ فيما حكم للقرآن على الفلاسفة وغير الفلاسفة ــ بان ارسطو وافلاطون واضرابهما الذين حكم الاستاذ الوزاني بانهم « اجدر بان يكونوا انبياء ورسلا » ليسوا من الايمان في شيء في ميزان القرآن فقد قال العقاد في كتابه هذا : (وقد تخيل ارسطو الها لا تعريف له في الكون ، ولا شان له بالخلق ، لا في قليل ولا في كثير) قال العقاد (وهو اله لا يستقيم الايمان به لا من الوجهة الدينية ، ولا من الوجهة الاجتماعية ، ولا من الوجهة الفلسفية على حال من الاحوال) (✱) ومن ثم لم ير احد ــ فيما اعلم ــ اي فائدة في مناقشة العقاد في صحة التعبير « الفلسفة القرآنية » اذ المعروف ان لا مشاحة في الالفاظ اذا صحت المعاني والعقاد قد صحح معنى ما اراد بعنوان كتابه « الفلسفة القرآنية» على انه مع ذلك (قد خطر له ان اسم « فلسفة القرآن » قد يوحي الى الذهن بانه يتخذ القرآن موضوعا لدراسة فلسفية كدراسة فلسفة النحو او البيان او التاريخ) (✱) .

✱) الفلسفة القرآنية ص 11 .
✱) الحافظ البصري اللؤلؤي المتوفى سنة 198 .
✱) س . اليوت ملاحظات نحو تعريف الثقافة ص 15 الترجمة العربية .
✱) الدكتور عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ص 18 .
✱) الفلسفة القرآنية ص 5 ــ 6 .
✱) رسالة الاخلاق ص 7 .
✱) الفلسفة القرآنية ص 155 .
✱) الفلسفة القرآنية ص 5 ــ 6 .

اما الاستاذ الوزاني فقد استعمل لفظة « ثقافة » لما ارادها له على ثقة منه في الاستعمال ، وحكم على « ثقافة القرآن » بانها « ثقافة عالمية » على ثقة منه في الحكم ، فهو لم يشك ولم يتساءل وبذلك ترك لنا حق الشك ، وحق التساؤل ، والشك مبدا الايمان ، والتساؤل اساس العلم ، ومن ثم فقد وجب ان نتناول كلمة « ثقافة » بما تناولها الباحثون فيها من التعريف والتحديد، ثم نأتي بعد بتعريف القرآن ، كما اتى به العلماء بالقرآن ، لنرى على اي المحامل يمكن ان تحمل في كلامه كلمة « ثقافة » مضافة الى « القرآن » ثم نرى بعد ، هل يمكن قبول الحكم الذي حكم به الكاتب على هذه الثقافة او رفضه حسبما تقتضيه قواعد العلم ، واحكام التاريخ ، فانما الالفاظ بمعانيها ، وانما المعاني بما يؤيدها من حجة العقل ، ودليل الشرع ... والمعروف ان لفظة « ثقافة » سواء في اعتبار اشتقاقها الاوربي الذي يعني الزراعة او التربية المادية ، او في اشتقاقها العربي الذي يعني التقويم والتسوية ، وهو الاشتقاق الذي روعي في اختيار اللفظة العربية للدلالة على معنى ما دلت عليه الكلمة الاوربية ، المعروف ان هذه اللفظة قد حددت بانها « تعني كل شيء يقصد اليه قصدا واعيا في امور البشر » وهي بمعنى « كل شيء يتوصل اليه بالجهد المقصود تكون اقرب الى الفهم حين نتكلم عن تثقيف الفرد الذي ينظر الى ثقافته منسوبة الى اساس من ثقافة البيئة والمجتمع » وهي لذلك تعني « جميع المناشط والاهتمامات لشعب ما » هكذا هي عند س. اليوت . في كتابه « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » (*) وهكذا هي عند جميع من تناولها بالتحديد من الباحثين من علماء الاجتماع والاثر وبولوجيين « العرب والاوربيين ، والقرآن قد حدده علماء اصول الدين فقالوا : « القرآن هو كلام الله غير مخلوق ولا محدث ، بل هو كلام الله القديم الازلي » (*) وحدده علماء اصول الفقه فقالوا: الكتاب القرآن ، والمعنى به هنا اللفظ المنزل على محمد (ص) للاعجاز بسورة منه ، المتعبد بتلاوته (*) والتعاريف كما يعرف الناس من شرطها ان تكون مطردة ومنعكسة وهي كذلك في هذين التعريفين ، فالتعريف في الثقافة مطرد في كل ممارسة انسانية وكل جهد بشري يبذل عن وعي وقصد ، ومنعكس في كل صفة خارجة عن نطاق البشر ، والتعريف للقرآن مطرد في القرآن كلام الله ، ومنعكس في كل ما سواه من كلام الله وكلام الخلق وصفات الله وصفات الخلق ، والمتبادر الى الذهن بادىء ذي بدء ان اضافة لفظة ثقافة الى القرآن هنا اضافة محضة معنوية (*) مفادها تعريف ثقافة القرآن ، وتميزها عن غيرها من الثقافات الاخرى غير القرآنية بحيث تشمل بهذا المعنى جميع انماط المعارف والتجارب الفكرية والسلوكية التي يكتسبها المسلم ببذله الجهد المتواصل والتزامه اتباع القرآن علما وعملا ، والمثقف الاول بهذا المعنى هو الرسول (ص) ، اذ هو (ص) تحمل بذل الجهد في تلقي القرآن ، كما تحمله في اتباعه حتى كانت جميع انماط علومه وسلوكه (ص) قرآنا ، وقد افصحت عائشة (ض) عن هذا المعنى حين سئلت عن رسول الله (ص) فقالت : (كان خلقه القرآن) (*) والذين يتبعونه في هذا المعنى الثقافي هم المسلمون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين ، والاضافة « ثقافة القرآن » بهذا المعنى صحيحة في نفسها كما يرى القارىء ، اذ لا يختلط فيها مفهوم القرآن الذي هو كلام الله بمفهوم الصفات الانسانية التي اكتسبت من جراء اتباع اوامره ونواهيه فاصبحت ثقافة لاصحابه، غير ان الحكم عليها بانها « ثقافة عالمية » لا يستقيم في ميزان العلم ولا في حكم التاريخ ، ذلك لانها بهذا المعنى موضوعة في باب تصنيف الثقافات العالمية على انها احدى نوعي الثقافة الاسلامية التي تشمل هذا النوع من الثقافة القرآنية الصرف كما تشمل النوع الثاني من الثقافة الاسلامية التي تأثرت بثقافة الفرس واليونان والرومان عند ما اختلط العرب المسلمون بهؤلاء واقتبسوا منهم ما اقتضت طبيعة الاختلاط ان يقتبسوا وليس بصحيح في قواعد العلم ، ولا في حكم التاريخ ان يخبر عن صنف من الاصناف ، بانه هو الاصناف كلها ، ولا عن جزء من الاجزاء بانه هو الاجزاء عينها والا لما بقي معنى للتعميم والتخصيص والتفريق والتجميع ، والتقسيم والتصنيف ، وتلك اشياء قامت عليها اسس المعارف جميعها ، اذ لو صح ذلك لاختلطت الديانات المتباينة ، والمذاهب المتعارضة ، والآراء المختلفة لو ان نقول ان « ثقافة القرآن ثقافة عالمية » لصح ان نقول : انها عين الثقافة الهندية ، والثقافة اليونانية ، والثقافة الرومانية ، والثقافة اليهودية ، والناس قد صنفوا هذه الثقافات، ووضعوا لها حدودها وخصائصها ومميزاتها وابرز خاصة لاساس الثقافة القرآنية (القرآن) انه جاء كما يقول المؤرخ الانجليزي ارنولد توينبي (رد فعل شبه الجزيرة العربية على

---

*) ص 23 ــ 24 ــ 26 .
*) كتاب التوحيد لابي خزيمة .
*) جمع الجوامع لابن السبكي .
*) عرف النحويون الاضافة المحضة المعنوية بانها التي تفيد تخصيصا او تعريفا .
*) مسلم وابو داوود واحمد .

حيث تولد طاقة مضادة تصد تلك التأثيرات الثقافية الدخيلة على بلاد العرب ، قال : (وكان على الرسالة المحمدية ان تقرر الشكل الذي يتخذه رد الفعل للتحرر من التأثيرات الهيلينية) (✱) « الاغريقية » ، ومن ثم فقد كان من اخص خصائص « ثقافة القرآن » وابرز مميزاتها انها ـ في كل اطوار تاريخها ، ولا تزال كذلك حتى ياتي امر الله ـ تابت عن كل دخيل ، وقاومت كل مدسوس ، فالنبي (ص) عند ما اخبر بان بني اسرائيل افترقت على اثنين وسبعين فرقة ، وان امته ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة ، وان جميع هذه الفرق في النار ما عدا ما هو عليه واصحابه (✱) ، النبي عند ما قال هذا وغير هذا من الاحاديث الصحيحة الحاضة على الاعتصام بالكتاب والسنة كان يقصد ان يضع التعريف الحقيقي ، والسمة الخاصة ، والاسس الثابتة ، لثقافة القرآن وعند ما رفض عمر بن الخطاب وابو ذر الغفاري رأي كعب الاحبار في بناء المسجد الاقصى ، والمنع من اقتناء المال ، فقال له الاول في الاولى : (يا ابن اليهودية خالطتك يهودية (✱)) ، وقال له الثاني في الثانية : (يا ابن اليهودية لست هذه من مسالك) ورفض غيرهما من الصحابة قبول روايته وقالوا : انهم قد بلوا عليه الكذب فانما قد فعلو ذلك لانهم كانوا يرون ان هذا الرجل قد ياتي بشيء مدسوس على ثقافة القرآن من ثقافة اجداده اليهود والصحابة عند ما كانوا يتفقون او يختلفون في الحكم على شيء من الاشياء بانه خطا او صواب ، او منكر او معروف ، او حلال او حرام ، فانما كانوا يتفقون او يختلفون على اساس ان هذا الحكم موافق لاسس هذه الثقافة او مخالف ، وليس ذلك الاس الا القرآن وعمل الرسول الذي كان خلقه القرآن ، والتابعون وعلماء السلف الصالح عند ما كانوا يتحاجون بالرسائل والكتب ، كانوا يتحاجون على ايهم احق بان يوصف بانه قد عض بالنواجذ على اسس ثقافة القرآن ، بالضبط كما يتحاج اليوم الصينيون والروس في الخطب والرسائل ، على ايهم اكثر استمساكا من الآخر بثقافة «ماركس» ، وعلماء الحديث عند ما وضعوا الاسس والقواعد لمعرفة صحيح الحديث من كاذبه ، كانوا يضعون الحواجز للحيلولة دون تسرب ما ليس من نصوص هذه الثقافة القرآنية اليها ، ولو شئنا ان نتتبع الاشارات ولو بالاجمال الى خصائص هذه الثقافة القرآنية الصرف وتأبيها عن ان تقبل الدخيل ، او توصف بالغريب ، لطال بنا المقام وقد وفق الدكتور اسحاق موسى الحسيني عند ما تنبه للفروق الظاهرة بين الثقافة القرآنية الصرف والثقافة الاسلامية المتأثرة بحضارة الفرس واليونان والهند وغيرها فهو بعد ما قال : (لقد نمت ثقافة البلاد الاسلامية بالعمل المشترك الذي اسهمت فيه جميع الشعوب الاسلامية ذات الميزات الجغرافية والسلالية وبالتأثير الثقافي القوي للحضارات غير الاسلامية كحضارة اليونان وفارس والهند في الايام الاولى وحضارة اوربا في العصور الحاضرة) قال : (ومهما يكن من شيء فلا يعنينا في هذا الفصل وما يليه من فصول بحث مجمل الثقافة الاسلامية ، وانما سنقصر بحثنا على الثقافة الدينية التي نبعت من القرآن الكريم ، واحاديث نبي الاسلام ، وشتى التفاسير لهذين المصدرين الاساسيين) (✱) .

وبعد ، فاذا كانت الالفاظ مرادة للدلالة على معانيها ، وكان لكل دلالة مقتضياتها عند الانفراد وعند الالتقاء فقد بان معنى ما اريد ان تؤدي اليه لفظة ثقافة عند الباحثين في شأنها وبان معنى ما اريد ان تؤدي اليه لفظة (القرآن) عند تحديدها من قبل العلماء بالقرآن وبان ان معنى ما ادت اليه اضافة لفظة ثقافة الى القرآن هو ان هناك ثقافة قرآنية لها خصائصها ولها ميزاتها بين الثقافات العديدة بما في ذلك الثقافة الاسلامية ذات الامشاج ، وبان بأن الحكم على هذه الثقافة القرآنية الصرف بانها (ثقافة عالمية) ، حكم لا يستقيم لا في ميزان التعريف ولا في ميزان التصنيف .

ذلك هو اساس الخطا في الحكم فيما لو اراد الكاتب من عنوان مقاله ما شرحنا ، اما لو اراد معنى آخر غير المعنى الذي سبق ، فذلك ما سنتناوله بالبحث مع ما جاء في صلب المقال من مفهوم واحكام في العدد المقبل ان شاء الله .

الدار البيضاء : محمد الحمداوي

(✱) مختصر دراسة التاريخ ص 380 الترجمة العربية .
(✱) ابو داوود وابن ماجة والترميذي واحمد .
(✱) مقالات الكوثري ص 31 وما بعدها ، وانظر ايضا : « كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من البخاري في باب قول النبي (ص) ولا تسألوا اهل الكتاب عن شيء » .
(✱) الاسلام الصراط المستقيم ، تأليف كنيث . و . مورغان ج 2 ص 9 ـ 10 الترجمة العربية .

رأي مسلم في ترجمة القرآن على أيدي العجم

للأستاذ: أبي العباس أحمد التيجاني

كوني من جملة من ترجموا القرآن الى اللغة الفرنسية ، وكوني الى ذلك من حفاظه امران من شأنهما ان يؤهلا صاحبهما الى ابداء رأي في الموضوع له قيمته هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان طول اشتغالي بالقرآن السنين الطوال وكثرة المراجعة لامهات علومه اثناء الترجمة وقبلها وبعدها كل ذلك افادني واثبت لدي الى حد العيان ان فهم القرآن يتوقف على امرين رئيسيين :

الاول استبانة الحقيقة التي جاءت الآية لتقريرها وتشخيص المراد منها ومن السياق التي هي فيه وذلك بالنظر الى ما بين الآيات من الاتصال والالتحام لا الاقتصار على النظر في الآية نظرة مقتضبة .

الثاني ان يستحضر المفسر ما قد يكون للاية او الايات من الاشباه والنظائر المبثوثة في مختلف السور كما سأفرد هذا الموضوع بمقال خاص تسرد فيه نماذج من هذا النوع ، مما لا يشك فيه شاك ولا يمارى فيه ممار ، ان هذين الامرين اللذين يتوقف عليهما فهم القرآن تقصر عنهما يد المتناول الاوربي ، من اين له ان ينظر في كتاب تكررت فيه آياته في اجوائه الفسيحة نظرة شاملة تضم الفروع الى اصولها والمتشابهات الى محكمتها لان الشأن في المتشابه ان يرد الى المحكم الذي هو الام ويحمل عليه ، واذا كان بالمثال يتضح المقال فالى القراء نموذجا من هذا النوع من التشابه .

الزمخشري على علو كعبه في علم التفسير ، واتساع باعه في علوم البلاغة ، زلت به القدم عند تفسير قوله تعالى في سورة الاسراء :«واذا اردنا ان نهلك قرية «امرنا» مترفيها ففسقوا فيها» قال : امرناهم بالفسوق ، والامر بهذا المعنى يتنزه عنه جلت قدرته وانما المقصود امرناهم بما من شأننا ان نأمر به ، والاية من التشابه يجب ردها الى الام المذكورة في سورة الاعراف وذلك قوله تعالى : « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ، قل ان الله لا يامر بالفحشاء ، اتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل امر ربي بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ... الخ . نعم ان جار الله الزمخشري تقطعت انفاسه في التماس التاويلات ونحت التوجيهات لالتماس مخرج من المأزق ولكن لات حين مناص اصارحه بانه غلط وان كان اعلم مني اذا علمنا ان الا فضيلة في العلم لا تستلزم اصابة الفاضل في كل شيء وخطأ المفضول في كل شيء ، كفى المرء نبلا ان تعد معايبه ، اذا كان مثل هذا الغلط يقع من مثل هذا العالم الجليل فما القول في مستشرقي العجم ؟ والى السادة القراء البعض من ابناء القوم :

ترجمة كازومرسكي Gasimerski كانت في نظر الاقامة العامة البائدة هي الترجمة الرسمية التي اليها المرجع في معاملة رجالها مع المسلمين فيما يتعلق بالقرآن واليكم بعض ما جاء في هذه الترجمة في الكلام على قوله تعالى : « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» «معناه في نظره ، هناك رجال من المسلمين اختاروا الزهد في الدنيا لا يشغلهم فيها شاغل من بيع او وجه من وجوه السعي سبحهم في اعناقهم كأنهم بذلك يتشبهون برجال رهبانيتنا ولكن فاتتهم القدامة التي هي شعار الرهبانية المسيحية . يجيبه المسلم بالبيت الجاري مجرى المثـــل :

وكـم مـن عائـب قـولا صحيحـا
وآفتـه مـن الفهـم السقيـم

فلو ان المترجم تزحزح شيئا يسيرا واتم قراءة الآية لجابهه الجواب ووقاه شر الوقوع فيما وقع فيه من التهافت والعجرفة والى مثله وامثالهم نص الاية موصولة الرحم : « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة » قل بربك ايها المترجم اذا كان من

ذكرت لا تلهيهم تجارة ولا بيع قنعوا من الدنيا بان يعيشوا على حساب الامة كلا عليها فما معنى قوله تعالى وايتاء الزكاة ، فاذا كانوا يوتون الزكاة فهم مالكون بطبيعة الحال للنصاب واذا كانوا يملكون النصاب فهم من العاملين الكادحين العارفين بوجوه الكسب وكيف لا يكونون من العاملين وكتابهم يقول : « فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » ويقول في شأن الحجاج : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى » ، ونبيهم يقول من جهته : اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ــ خيركم من لم يترك دنياه لاخرته ولا آخرته لدنياه ، ولم يكن كلا على الناس ، المومن القوي خير من المومن الضعيف ، نعم لست اجهل ان عندنا او اندس فينا من يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون
فسيان التحرك والسكون
قبيح منك ان تسعى لرزق
ويرزق في مشيمته الجنين

مثل هؤلاء منك اليك انت اولى بهم منا لان العقيدة عندكم تقول : السعادة لا ينالها الانسان بالعمل . بهذا جاءت كتبكم وتعاليمكم ، كما جاء في تعاليمكم ان الديانة تتباين كل التباين وتتعارض كل التعارض مع الترقي والتمدن وها نص السلوس احد كتب العقيدة المسيحية : « ملعون من يقول ان قداسة البابا يمكنه ان يجب عليه ان يتصالح ويتفق مع سنة الرقي والتمدن العصري (نقلا عن كتاب ما وراء الموت لصاحبه ليون دوتي ص 75) وسلفيتي في الاستدلال على ان الاسلام دين عمل ، ان الكتاب العزيز جعل العمل علة وجود الانسان في هذه الحياة : « وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا » . كما جعل العمل خاتمة هذه الحياة قال في آخر سورة التنزيل : « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين » ، فالقارىء يرى ويبصر ان القرآن جعل العمل بابا للدخول في الحياة الدنيا وبابا للخروج منها والدخول للجنة ، ولاهمية هذا الموضوع اعني بان الدين الاسلامي دين عمل سأفرده بمقال ضاف بحول الله في القريب .

واعجب من كل عجب جاء في نفس الترجمة التي هي الترجمة الرسمية في نظر الاقامة العامة السائدة عند ترجمة قوله تعالى : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » ترجم المؤلف غرابيب سود بغربان سود لابعد ترو وتدبر في السياق بل اكتفى بكون مادة غرابيب فيها الغين والراء والباء الامر الذي ينم على ان المؤلف لم يراجع ولا تفسيرا واحدا من التفاسير فانه ليس فيها ما يشهد لما ذهب اليه ، نعم ان سياق الآية يدل في جوهره على ان السياق في الكلام على الجبال وان فيها تخطيطات تبين للناظر ان ترابها مختلف الالوان ما بين ابيض واحمر متفاوت في الدكنة واسود على لون التبرس عند الفلاحين ، يقال فرس اسود غربيب اي شديد السواد حالكه ، ومن جهة اخرى من اين لمترجم عجمي ان يفهم السر في تقديم النعت الذي هو غرابيب على المنعوت الذي هو سود والسر في ذلك ان الآية ختمت بما ختمت به رعاية للفواصل لتكون مطردة منسجمة على غرار واحد وهو الاسلوب الذي جاءت عليه السورة في مجموعها ما بين آية مردفة بالواو وآية مردفة بالياء والى السادة القراء ما قبل الآية : « وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور . ان انت الا نذير ، انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير . الى ان قال : « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » فجا ختام الآية منسجما متجاوبا مع المقاطع قبله واطردت السورة في مجموعها على هذا النمط ما بين مد وجزر ما بين آية مردفة بالواو واخرى بالياء وبمثل ذلك ترى سورة مريم كهيعص وسورة طه فان مقاطع الاولى غير مقاطع الثانية وجل سورة القرآن الكريم على هذا المنوال تكاد كل سورة ان تكون لها ميزتها الخاصة فيما يرجع لمقاطع الآيات ومن نمط ما ذكرت في فداحة الغلط ترجم المؤلف قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بان المراد بتسود وجوه العبيد على ما جاء في تلخيص كتابه للمستشرق « جول لابوم » معلقا عليه ان علماء المسلمين حملوا في تفاسيرهم كلمة تسود وجوه على المجاز على عادتهم فرارا من حملها على الحقيقة حتى لا يكدروا صفو الدعوة الى الاسلام بين الزنوج الامر الذي هون على كثير من هؤلاء اعتناق الاسلام ، تهافت كهذا لا اظن انه يوجد في لغة من اللغات لفظ يعبر عنه فكيف لا يحمل علماء الاسلام هذه الكلمة على المجاز والكلام في وصف احوال الآخرة وها نص الآية : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » .

ومن المترجمين من يرى ان في القرآن آيات جاءت على خلاف القواعد العربية من ذلك ما جاء في سورة يوسف في قضية صواع الملك واخوة يوسف : « قالوا واقبلوا عليهم ما ذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير ، الى ان قال : فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه بهاء التأنيث في استخرجها بعد ان كان الكلام بصيغة التذكير وما درى هذا المسكين ان استخرجها يرجع الى السقاية المذكورة في اول القصة : فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل

اخيه » فهو من باب رجوع العجز على الصدر .

ويشبهه ما جاء في سورة آل عمران بعد قوله تعالى : فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ، ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، ومكرو ومكر الله والله خير الماكرين » ، عند القوم ان الآية انفصمت عراها في قوله ومكروا بعد ان اطرد الكلام على الحواريين ، كلا ان عروة الآية لم تنفصم انما الذي انفصم هي موهبة واهلية التفكير عند المتخرين في امثال هذه الاغلاط والترهات التي ليس من حقها ان تروى عن منتسب للعلم ، القرآن كتاب سماوي كاخويه التوراة والانجيل ، الخطاب فيها لاولي الالباب اهل الوعي والتفكير فان الآية حكاية عن سيدنا عيسى : « ورسلا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعوه ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » ، من هنا انفجر قوله تعالى : « فلما احس عيسى منهم الكفر الخ .. الى ان ارتبط الكلام بقوله : « ومكروا ومكر الله» والحاصل اني اطلت في تفسير الواضحات (وتبيين الواضحات كما قيل من الفاضحات) ومقصودي الوحيد بهذه النماذج ان من كان يغلط مثل هذا الغلط لا معول على ترجمته وما قلته عن كازمرسكي اقوله في حق غيره مونتي وسافار ، على ما لهذا الاخير من صفاء السريرة نحو الاسلام ونبيه عليه السلام .

هذا واني اناشد من حامت حوله الظنون باني ما انصفت القوم واني ارتكبت الشطط في انتقاد تلك التراجم اناشده ان يقرأ المقدمة من كل ترجمة وما فيها من محاولات لاظهار النقص في القرآن وفي الاسلام بوجه عام ، نعم نعم مع صنوف من التاطف في بعض الفصول من التنويه بفضائل الاسلام وجلائل مفاخره .

وبالاختصار اقول عودا على بدء ان فهم القرآن يتوقف على امرين رئيسيين : استيعاب السياق واكتناه المعنى الذي جاءت الآية لتقريره هذا من جهة ومن الجهة الاخرى الاهلية لاستحضار الاشباه والنظائر المبثوثة في مختلف السور مصداقا لقولهم القرآن يفسر بعضه بعضا وسافرد هذا الموضوع بمقال ضاف بناسبه بحول الله . والله الهادي الى سواء السبيل .

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني

« الشيخ البشير الابراهيمي في ذمة الله »

نعت الجزائر عالمها الكبير مفخرة العروبة والاسلام الشيخ البشير الابراهيمي ، صاحب جريدة « البصائر » المحتجبة ورئيس جمعية العلماء بالجزائر ، على اثر مرض الزمه الفراش مدة طويلة ، وقد كان المرحوم الكبير مدرسة في اسلوبه وطريقة تفكيره ، وفي احياء الروح الاسلامية والعربية في الجزائر . فقد تخرج على يد الفقيد مجموعة من العلماء المختصين في الاسلام كانت تناهض الاستعمار الفرنسي وتقوي روح العقيدة الاسلامية، وتدعو اليها في تلك الربوع . وقد شيعت جنازة شيخ العروبة والاسلام الفقيد محمد البشير الابراهيمي في موكب ضخم بعاصمة الجزائر ، وذلك بحضور بعض رجال الحكومة الجزائرية ، وبعض رجال السلك الديبلوماسي العربي .

وقد ابنه في المقبرة كلا من الشيخ محمد خير الدين ، والشاعر الشيخ محمد آل خليفة الذي ابنه بقصيدة رائعة نوه فيها بجهود الفقيد في الميدان الوطني .

واسرة مجلة « دعوة الحق » لتتقدم بتعازيها الحارة لتلاميذه ، وذويه واقربائه والى الشعب الجزائري النبيل ، راجية من الله ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ، ويسكنه فسيح جناته في مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين»

ردٌّ على نقد: الفكر العربي الإسلامي...

إلى الأستاذ عبد السلام الهرّاس

للأستاذ: أنور الجندي

(اذا كان الاستاذ عبد الله كنون قال انك مؤرخ الادب العربي المعاصر ، فاني اقول انك ايضا مؤرخ الفكر العربي المعاصر) .

الحق .. انني اعتز بعبارتك هذه ، اخي عبد السلام ، وان اوردتها في خطابك الخاص ولم توردها في صلب مقالك ، واعتذر عنها كما اعتذرت عن سابقتها ، ذلك انني لا اعد نفسي مؤرخا ولا متصدرا ، وان تقويم العمل الذي قمت به لا يستحق شيئا من ذلك مطلقا ، انما اردت ان اقدم شيئا لامتي العربية الاسلامية فوجدت جوانب كثيرة في حاجة الى جهد وتغطية فحرصت على ان يكون عملي سدا لثغرة ، او تغطية لجانب لم يلتفت اليه ، ولكني لا اراني بلغت حد الكمال بعملي ، ولا منزلة الصدارة ، واني لارجو ان يتاح لي ان اصدق العزم في العمل ، معتزا بهذه الاقلام الكريمة التي آزرتني وخاصة اقلام اخواني عبد الله كنون ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد السلام الهراس .

وما زلت اذكر بالفضل اساتذتنا علال الفاسي ، ومحمد الفاسي واخوتنا عبد العزيز بن عبد الله ، ومحمد الصباغ ، وعبد القادر الصحراوي ، ممن اتصلت بيننا المراسلة وعشرات من اعلام مجلة «دعوة الحق» الذين كانت ابحاثهم خلال سنوات عمر المجلة الزاهرة المديد دلت على فضل العمل الذي تقوم به ، ولقد وددت ان احقق ملاحظة الاستاذ الهراس في رسم صورة كاملة للفكر العربي الاسلامي في المغرب كما فعلت في المشرق ، واعتقد ان ذلك قد تم بالفعل وانه سيصبح بين يديك بعد شهور قليلة وانه سيكون مكملا حقا لكتابي « الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية » .

هذا الكتاب الذي عرضت له مشكورا فاشرت الى بعض ابوابه ثم اعتذرت عن اتمام البحث عنه ، وقد كنت اود لو انك المت المامة كاملة بفلسفة الفكرة نفسها التي ينتظمها الكتاب لا ان تعدد الابواب في جانب منه ، ثم تعتذر عن اتمام البحث ، وقد سرني حقا ان تتفضل بعرض هذا الكتاب ولكن يبدو ان مشاغلك الكثيرة حالت دون ان تتظله في دراسة شاملة .

والحقيقة التي اريد ان اجلوها لقراء (دعوة الحق) الزاهرة وقد الموا بذلك الجانب الذي اشرت اليه ــ هذه الحقيقة انني اردت ان ارسم صورة شاملة لمعركة « التحدي ورد الفعل » التي واجهت الفكر العربي المعاصر منذ بدأت سطوة النفوذ الاجنبي تجتاح الامة العربية وكيف ان الامة العربية اللسان ، الاسلامية الفكر ، قد استطاعت ان تستيقظ مبكرة قبل ما اسموه الحملة الفرنسية موقظة العالم العربي ، وان جذور هذه اليقظة كانت واضحة في الدعوة الوهابية وفي حركات اخرى مشابهة لها حركت المشاعر والفكر قبل الحملة الفرنسية ، ثم كيف اتسع نطاق هذه الحركة فشملت العالم العربي كله وظهرت في مختلف انحائه دعوات تهدف جميعها الى تحرير الفكر الاسلامي والعقيدة الاسلامية من التقليد وتردها الى المنبع الاول في بساطتها وسماحتها وتكشف عنها ما التصق بها من جمود .

وعند ما بدأت قوى الغزو الفكر الغربي ان اجتاحت الامة العربية تحمل لواء الهجوم على الاسلام واللغة العربية والتاريخ والتراث ، لم تلبث الامة العربية في مفكريها ومصلحيها ان قاومت هذا الغزو والتغريب واستطاعت ان تكشف عن قدرة الاسلام على الحياة ومواجهة النهضات والحضارات وتصور مرونته وقدرته على الحركة والعمل وتقبل الفكر الوافد وصلاحيته لكل زمان ومكان .

وقد استطاع الاسلام فعلا واستطاعت اللغة العربية ــ وعليهما كان ضغط حملة التغريب ــ استطاع الاسلام واللغة العربية ان يواجها هذه الحملة وان يثبتا في قوة وان يكشفا عن قدرتهما وصلاحيتهما .

وقد حمل لواء هذه المعركة ــ معركة التحدي ورد الفعل ــ كثيرون امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وخير الدين التونسي والكواكبي ومدحت والويلحي ومحمد فريد .

ثم كيف تطورت الامور حين سقطت تركيا الحديثة في قبضة النفوذ الفكري الغربي حين تحررت من النفوذ العسكري الغربي فاستسلمت للتغريب والغت الاسلام وروابطها باللغة العربية واسقطت الخلافة وهنا اخذت دعوة التغريب مدها وقوتها واندفاعها محاولة ان يحدث في العالم العربي ما حدث في تركيا من استسلام للتغريب ، غير ان الفكر العربي كان من القوة والتماسك ما امكنه ان يطاول ويصارع بقوة ولا يستسلم ومن خلال هجمات التغريب والغزو الثقافي كان قادرا على ان يصمد ويصد ، بالرغم من ضعف اسلحته ، فقد كان الغزو ينشر دعوته في صحف ضخمة، ومجلات زاهية، وكان رد الفعل ينشر في مجلات متواضعة ، وصحف غير قادرة على ان تصمد او تستمر ومع ذلك فان كلمته استطاعت ان تقاوم .

وبدت في مرحلة التحدي حملات « كرومر » و «هانوتو» وويلكوكس وويلحور وداركور على العربية والاسلام والدين وهي حملات ملؤها التعصب والغلو ، والحدة ، بعيدة كل البعد عن اساليب العلم او منهج البحث ، وقد اتصلت بها الحملات التبشيرية في جميع انحاء العالم العربي وعقد مؤتمرات التبشير في القدس والقاهرة وتونس (المؤتمر الافخارستي) وظهرت نظريات التجزئة ودعواتها ، تجزئة المغرب الى بربر وعرب ، والمصريين الى مسلمين ومسيحيين ، ثم دعوات الفرعونية ،في مصر والفينيقية في لبنان والاشورية في العراق ، ونظرية المتوسطين والتجزئة بالقومية الضعيفة واطلاق دعوات الرابطة الاسلامية ، والرابطة الشرقية، والرابطة العربية، والرابطة المصرية، والرابطة السورية ، كوسائل لتمزيق وحدة الامة سياسيا وفكريا وثقافيا واجتماعيا وروحيا .

وكان على رأس هذه الدعوات مستشرقون ومبشرون واعوان لهما من العالم العربي تعلموا في مدارسهم المنبثة في كل قطر وسافروا في بعثات الى اقطارهم المختلفة ، كل يحمل لواء الدعوة الى مذهب من يدين لهم بالولاء وظهر الصراع بين الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية ، وجاء دور الحضارة واستشرى سؤال : هل تؤخذ كلها ام يؤخذ الصالح منها ؟ وهل تؤخذ دون الثقافة العربية ام تؤخذ هي والثقافة الغربية ككل، وظهرت دعوات غاية في العنف والتحدي تدعو الى كتابة العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية واستشرى تيار التغريب ، وظهر تيار اشهر منه قوة هو تيار الشعوبية ، ودعا كثيرون الى اننا من الغرب ، واننا يجب ان ناخذ الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يحمد منها وما يعاب ، ما يحب منها وما يكره ، ثم لم تلبث ان ظهرت الدعوة الشيوعية في العالم العربي، ثم استشرى خطر الصهيونية ، فتقسمت العالم العربي دعوات الفكر الغربي المسيحي والفكر الماركسي الشيوعي ودعوة الصهيونية ومن ورائها الفكر اليهودي ثم تمثلت مواجهة الغزو ومعارك المقاومة في ميادين السياسة والدين والتعليم واللغة العربية والمجتمع والمرأة والصحافة .

وحاولت معركة الوطنية ان تفصل الدين عن الوطنية ، ثم حاولت معركة القومية ان تفصل الدين عنها ، ثم كانت معركة الاسلام والعروبة وهما صنوان لا ينفصلان ، ثم كانت الحملة الضارية على الاسلام بدعوات الالحاد والاباحة والشعوبية ومعركة الصراع بين الثقافتين الفرنسية والانجليزية وكانت الصحافة ذات دور كبير في حمل لواء الدعوة التغريبية وفي نفس الوقت في حمل لواء الدعوة الوطنية والوحدة ومقاومة التغريب .

وفي اكثر من 648 صفحة استطعت ان ابلور هذه الفكرة متمثلا العالم العربي كله في صراع مع الغزو الثقافي والتغريب والشعوبية وهي الركائز التي تركها الاحتلال الغربي حين جلا عن العالم العربي تعمل فعلها ولقد وقفت بالبحث عن عام 1939 وهو بدا الحرب العالمية الثانية وان كنت قد قد بدأت منذ علت صيحة جمال الدين الافغاني عام 1871 .

* * *

وفي يقيني ان هذه الدراسة هي مدخل ومقدمة لعمل ضخم واسع النطاق ارجو ان احققه باستكمال الفترة من عام 1939 الى الان متوسعا في جوانب العالم العربي ومظاهر الفكر والثقافة فيه في صراعها مع التغريب ثم مفصلا لهذه الجوانب بدراسات منبثقة عن اللغة والصحافة والدين والسياسة والاجتماع .

واذا كان اخي الهراس قد تفضل فنظر في هذا الكتاب فما احب الي ان اقول له انه جزء من عمل كبير هي موسوعة معالم الادب العربي المعاصر في عشر مجلدات ضمت 5.000 صفحة وتضمنت دراسة 230 علما من الاعلام الادب والشعر والقصة والصحافة في العالم العربي كله منذ بدأ تاريخ هذا البحث الى ان انتهى (1871 / 1939) وانها ضمت من اعلام المغرب العربي : ابو القاسم الشابي ، حسن حسني عبد الوهاب ، طاهر الجزائري، عبد الحميد بن باديس ، عبد العزيز الثعالبي ، عبد الله كنون ، علال الفاسي ، محمد البشير الابراهيمي ، محمد العيد آل خليفة .

ثم لم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد اتسعت في دراستي عن الفكر والثقافة في المغرب العربي : (ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب) تراجم لثلاثة من اعلام هذه الاقطار التي تمثل الجناح الايسر للامة العربية ، وزادت عمن ذكرنا مالك بن نبي ، محمد الخضر حسين ، محمد الفاضل بن عاشور ، زين العابدين السنوسي ، عبد الكريم غلاب ، عبد المجيد بن جلون ، ابو

اليقظان ابراهيم ، ناجية تامر ، محمد ابو شيب ، ابو القاسم كرو ، علي مصطفى المراتي ، الشناقطة ، طاهر الزادي ، احمد توفيق المدني ، مبارك الميلي ، عثمان الكعاك ، محمد علي دبوز .

كما تناول البحث حركات النهضة ممثلا في الحركات السنوسية والسلفية وجمعية العلماء والحركة الاصلاحية والطرق الصوفية ، وتعرض لقضايا الوطن والعروبة والاسلام والتقاء المغرب بالمشرق وفاض بالبحث في التعليم والثقافة ، ومقاومة الفرنسة الفكرية ، وتناول بالدراسة الزيتونة والقرويين وكفاح اللغة العربية والادب المغربي وادب المرأة ودراسات التاريخ المغربي والصحافة المغربية .

وبعد ، فقد انتهزت هذه الفرصة التي اتاحها لي اخي الهراس لاكشف لقرائي في المغرب صورة من العمل الذي اقوم به والذي لا ينفصل فيه المشرق عن المغرب لاول مرة في مباحث الادب والفكر .

واني لأرجو ان يتاح لي مزيدا من العلم في دراسات الثقافة عن هذا الجناح الذي قصرنا طويلا في التعريف به في المشرق، بينما كان هو محبا صادق الحب لكل ما يصله من المشرق من فكر وادب ، واني لامل ان اؤدي بعملي هذا « دينا » حقيقيا لاخوتي في المغرب العربي الكبير .

القاهرة : انور الجندي

صلة ... وعائد

من اللطائف ما كتب به شرف الدين بن عينن ، وهو مريض ، الى الملك المعظم بن الملك العادل :

انظر الي بعين مولى لم يزل
يولي الندى ، وتلاف ، قبل تلافي
انا ((كالذي)) أحتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي

وحضر الملك المعظم بنفسه ، ومعه صرة فيها ثلاثمائة دينار ، وقال: انت ((الذي)) وهذه ((الصلة)) وانا ((العائد))



نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 5 -

يقول كاتب هذا المقال : قمت بزيارة للسفارة السويسرية فتلقاني الموظفون المختصون بكل حفاوة ولطف ، واقترحوا علي ان اقدم لهم السؤال مكتوبا ، فقدمته شاكرا لهم ، فجاءني الجواب التالي . وها انا ذا اتحف به القراء المؤمنين ، فأضعه تاجا على رأس هذه الحلقة من المقالات التي تفضح دعاة الهدم والتخريب المروجين للاباطيل الكائدين للاسلام ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا . وهذه ترجمة الجواب .

السفارة السويسرية بالرباط في 15 مارس 1965

سيدي الاستاذ البروفسور الدكتور تقي الدين الهلالي .

جوابا عن رسالتكم المؤرخة ، 14 مارس 1965 وعلى زيارتكم التي قمتم بها ذلك اليوم لادارة السفارة . لي الشرف ان ابعث لكم بعد ذلك المطالب التي تهمكم نحو مختلف الاديان لسكان بلادنا المتجنسين بالجنسية السويسرية .

طبقا لاحصائيات 1960 :

1 ـ البروتستانتيون : خمسمائة وواحد وسبعون في الالـف .... 571 ‰

2 ـ الكاثوليكيون الروم : اربعمائة وثلاثة عشر في الالـف .... 413 ‰

3 ـ الكاثوليكيون المسيحيون : ستة في الالف .. 6 ‰

4 ـ الاسرائيليون : اثنان في الالف .. .. 2 ‰

5 ـ مجموع الاشخاص المختلفي الاديان ، والذين لا يدينون بأي دين : ثمانية في الالف .. 8 ‰

التوقيع سفير سويسرا ب ... فدشر

فتأملوا ايها القراء الاعزاء جواب هذه السفارة التي تمثل اعظم دولة بلغت الغاية في الديمقراطية والحرية ، مع ان سكانها لا يتجاوزون خمسة ملايين ، هم محافظون على حياد سلبي لا يشاركون في اي تكتل ولا يتحيزون الى اي جانب . وقد مضت عليهم مآت السنين لم يدخلوا في اي حرب منذ حرروا انفسهم بحد السيف ومضاء العزم من السيطرة النمسوية لم يستطع اي محارب بالغا ما بلغ ان يستميلهم الى مشاركته في حربه مع عدوه ، لا طوعا ولا كرها . ومن المعلوم ان هتلر كان مجاورا لهم ، بل محيطا بهم من كل جانب ، ولم يستطع ان يضمهم اليه مع استيلائه على جيرانهم جميعا ، وكذلك اعداء هتلر لم يستطيعوا جرهم الى جانبهم لانهم حافظوا على حيادهم بسلاحهم وعبأوا جيشهم الصغير وفرضوا التموين في الاقوات واستعدوا لمحاربة اي فريق تبدر منه بادرة جرهم الى الحرب . هذا الشعب العظيم الحر كم عدد الملحدين من افراده اربعة في الالف، على اعتبار اربعة متتبعي اديان مختلفة ، واربعة كفرة ، هذا اذا بلغ الملحدون نصف العدد .

ومن خصائص هذا الشعب ان نساءه لا يشاركن في الانتخاب ، وفي ذلك عبرة لمن يدعي من الشعوب المتخلفة ان التقدم والرقي لا ينالان الا بمشاركة النساء في الانتخاب .

وقد حصلت على جواب في هذه المسألة سأتوج به هامة المقال التالي ان شاء الله فانتظروه ، وهذا الجواب من السفارة البريطانية في الرباط .

اقوال الفلاسفة في وجود الله عز وجل

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : فليس لنا اذن ان نبحث عن ادلة وجود الخالق بطريقة دقيقة في الكتب المقدسة الهندية والفارسية والاسرائيلية والمسيحية والاسلامية . ومع ذلك ، فانا ان لم نصادف فيها برهانا منطقيا على وجود الخالق، فلن يفوتنا ان نعترف بأن هذه العقيدة في تلك الكتب تعبر عن العلل التي تنبني عليها ، باعتمادها على اصل سبب الكون وغايته، وهو الاصل الذي يعتبر بداية للبرهان الذي يدعى بالطبيعي الالهي . هذا البرهان الذي قال عنه الفيلسوف (كانت) انه

يستحق الالتفاف والاعتبار ، وانه اقدم البراهين واشيعها يلبس في الكتب المقدسة حلة ، هي الى ان تكون شعرية اقرب منها الى ان تكون فلسفية . ولكن يمكن ان يقال : ان هذا البرهان هو روح الايمان الذي اثر على عقول الجماهير واسس سلطة الداعين اليه ، وان لم يتحظ او يظهر تمام الظهور . انتهى

نقول : ليس يحط من قدر الكتب المقدسة ان لا يأتي فيها الدليل على وجود الخالق لابسا حلة منطقية جدلية ، فان تلك الكتب انزلت لتؤثر على العقول من جهة ارقى من الادراك، ولذلك كان تأثيرها اكبر من تأثير الفلسفة التي تفتخر بالمنطق والعلوم الجدلية ، بل لو جاءت للامم بتلك الآلات الكلامية المصطنعة لما تعدى تأثيرها تأثير فلسفة ارسطو وافلاطون ، وليس هذا المقصود من ايحائها .

على ان القرآن الكريم قد اختص من بين الكتب السماوية بما يعتبر انه اصل ادمغ البراهين الجدلية ، فقد قال تعالى (افي الله شك فاطر السماوات والارض) فانت ترى انه جاء في هذه الآية الكريمة بالاصل الذي استمدت منه اقوى البراهين وجودها ، وهي البراهين التي يعبر عنها الفلاسفة بالسببية ، فكأنه قال : اذا لم يكن اله ، فمن فطر السموات والارض .

وقد قرأنا في مجلد 1893 من مجلة كوسموس بحثا كتبه الاستاذ مومنيه يثبت به وجود الخالق ، فقال : « ان افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل ان الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مريد مختار ، وان الاتفاقات المتكررة توصلت الى تكوين رجل ، فهل يعقل ان الاتفاقات او المصادفات تكون كائنا آخر مماثلا له تماما في الشكل الظاهر ، ومباينا له في التركيب الداخلي ، وهو المرأة بقصد عمارة الارض بالناس وادامة النسل فيها . قال ، اليس يدل هذا وحده على ان في الوجود خالقا مريدا مختارا ، ابدع الكائنات ونوع بينها ، وغرز في كل نوع غرائز ومتعه بمواهب يقوم بها امره ، ويرتقي عليها».

نقول ان هذا البرهان الذي ظن الاستاذ مومنيه انه اول من استلفت الانظار اليه ، مستمد من قوله تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فاذا لم يكن في القرآن براهين منطقية مبينة على اسلوب صناعي ، ففيه ارقى من ذلك كما ترى في قالب يستهوي المدارك والارواح معا . الا يرى القارىء معي ان قوله تعالى (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) ينطوي على اصول جمهور كبير من البراهين التي يسميها الكتاب منطقية او جدلية؛

قال اكسونوفون في كتابه (مذكرات اكسونوفون) قال سقراط لأريستوديم : قل لي يا اريستوديم ، ايوجد رجال تعجب بهم لمهارتهم ، وجمال صنائعهم ؟ . اريستوديم ــ نعم حقيقة . سقراط ، اخبرني عن اسمائهم . اريستوديم ــ اعجب في الشعر القصصي بهومير ، وفي المراثي بسفوكل ، وفي صناعة التماثيل بوليكتيت . ثم ذكر سائر الذين يعجب بهم من اهل الفنون كل واحد وفنه . قال سقراط : اي الصناع في نظرك اولى بالاعجاب ، الذي يخلق صورا بلا عقل ولا حراك ، ام الذي يبدع كائنات ذات عقل وحياة . اريستوديم ــ وحق جوبتير ، ان اولاهما بالاعجاب هو الذي يبدع الكائنات المتمتعة بعقل وحياة ، اذا لم تكن هذه الكائنات من نتائج الاتفاق . سقراط ــ ولكن اي الكائنات اولى ان تعتبرها من نتائج الاتفاق او من نتائج الادراك ، التي غايتها ظاهرة ام التي منافعها مشكوك فيها . اريستوديم ــ من العدل ان اقول ، ان الكائنات ذات النفع هي اولى بان تنسب الى عمل الادراك .

سقراط ــ الا ترى ان الذي فطر الناس قد اعطاهم ما لديهم من الاعضاء لغايات ومقاصد خاصة ، فاعطاهم الاعين للنظر، والآذان للسمع ، وما ذا كانت تجدينا الروائح ان لم تكن لنا انوف . وهل كنا نشعر بمرارة المر ، وحلاوة الحلو ، ان لم تكن لنا السنة تميز بين هذه الطعوم ؟ ثم الا ترى من دلائل التبصر والحيطة ان تكون الاعين لرقتها وسهولة تأثرها قد متعت بالاجفان ، تقفل ، وتفتح بالارادة ، وتنسدل على العينين وقت النعاس ، وقد حليت اطرافها باشبه شيء بالغربال من الرمش ليحميها شر الرياح ، وان الحواجب قد وضعت لتمنع تساقط العرق اليها . وان الآذان خلقت قابلة لتمييز جميع الاصوات بدون ان تمتلئ قط . الى ان قال ــ كل هذه الاعمال التي تدل على تبصر واحتياط الى اي شيء تعزوها ، الى الاتفاق ام الى الادراك . اريستوديم ــ لا وحق جوبتير ، ان هذه الاعمال اذا نظر اليها الانسان تدل على ان قد صنعها صانع يحب الكائنات الحية .

سقراط ــ وما ذا تقول في الميل المودع في النفوس للتناسل ، وفي الحنان المخلوق في قلوب الامهات للهيمنة على فلذات اكبادهن ، وفي الخوف الموجود في تلك الكائنات من العطب ؟ . اريستوديم ــ لا شك ان كل هذا يدل على انه اختراع كائن قرر خلق الحيوانات .

سقراط ــ اتعقل انك وحدك قد تحليت بعقل وادراك ، وانت كما تعلم لا تقارن بشيء من الوجود ، وان هذه المخلوقات كلها المتمتعة بادراك مثلك لا تحتاج لعقل يرتب علاقاتها ، ويقيم امرها على قاعدة النظام . اريستوديم ــ انا انكر ذلك وحق جوبتير ، فاني لا ارى ذلك الصانع كما ارى الصناع من الناس .

سقراط ــ انك لا ترى كذلك روحك التي تتسلط على اعضائك ، فهل تستطيع ان تقول ان جميع افعلك صادرة بلا عقل ولا ادراك ، بل بالاتفاق .

براهيـــن افلاطـــون

استدل افلاطون على وجود الخالق بالبرهان الذي يدعى بالسببي ، فقال في كتابه المسمى (تيمية) من البديهي ان كل حادث له سبب احدثه ، ولا يعقل حدوث شيء بلا سبب .

ومن المعلوم بالضرورة ان العالم حادث ، لانه مشاهـــد ومحسوس ومادي ، وكل هذه الصفات محسوسة فيه . ولما كان كل ما هو محسوس ممكن ادراكه بواسطة الحواس فهو حادث ومصنوع . فيكون الوجود ، وهو اجمل الاشياء الحادثة لـــه سبب احدثه ، هو اكمل الاسباب كلها .

براهيـــن ارسطـــو

ارسطو اشهر فلاسفة اليونانيين ، وهـــو تلميذ افلاطـــون (384 ــ 322) ق. م. قال في اثبات الخالق في كتابه المسمى (اثولوجيا . عقل واجب الوجود) ثم قال ان واجب الوجـــود هو عقل لذاته ، لانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية ، فلا تحتجب ذاته عن ذاته . اما كونه عقلا لذاته ، فلأنه مجـــرد لذاته ، فهو يعقل ذاته ، ومن ذاته يعقل كل شيء ، فهو يعقل العالم العقلي دفعة واحدة من غير احتياج الى انتقال وتردد من معقول الى معقول ، وانه ليس يعقل الاشياء على انهـــا امـــور خارجة عنه كما نعقلها نحن ، بل يعقلها من ذاته ، وليـــس هو عاقلا وعقلا بسببوجود الاشياء المعقولة، بل الامر بالعكس،اي،ان عقله للاشياء قد جعلها موجودة ،وليس لـــه شـــيء يكمله ، فهو كامل بذاته مكمل لغيره ، ولمـــا كان هو لـــم يزل ولن يـــزال موجودا بالفعل فيجب ان يكون له من ذاته الامر ، الاكمـــــل والافضـــــل .

واجب الوجـــود لا يتغيـــر

ثم قال : ان واجب الوجود لا يتغير ، لان انتقالـــه عـــن حالته يكون الى الشر لا الى الخير ، لان كل رتبـــة هـــي دون رتبته ، وكل شيء يناله هو دون نفسه . ثم قل محمد فريـــــد وجدي ما نصه : هذه اصول براهين الاقدمين في اثبات الخالق جل وعز . وقد نحا العرب نحوهم ، وحذا فلاسفة القرون الوسطى في اوربا حذو العرب ، فلم تزد البراهين على وجود الخالق على ما كانت عليه قبل عيسى عليه السلام بنحو اربعة قرون . فلمـــا ظهرت بواكر العلم في اوروبا فتح على العقول ببراهين جديدة ، رأينا ان نلم بها على ترتيب حدوثها .

واول من جاء بشيء جديد فيها العلامة الكبير (ديكارت) الفرنسي (1596 ــ 1650 م)

ديكارت هذا حول وجهة الفلسفة وجدد قواعدها ، فبعد ان كانت مستقرة على مذهب ارسطو اقعدها على قاعدة العلم الصحيح المجرد عن الظنون والمسلمـــات ، فجعـــل اساس الفلسفة الشـــك ودليلها الوضوح والجلاء . وقـــد جرى في استدلاله على وجـــود الخالق على سنة لم يجر عليها احد ممن سبقه ، فجرد نفســـه من جثمانيته واخذ يبحث عن الحقيقة في اعماقهـــا لا في الوجـــود الخارج عنه ، ليصل الى الحق بذاته لا بوسائل خارجة عنه . فلم يسائل الوجود عن صانعه ، ولم يناج العوالـــم عن عللها ، بـــل اقتصر على نفســـه ورغب ان ينكشف له ما غمض عليه منها هـــي وحدها دون سواها . فاعطى على وجود الخالـــق ادلة ثلاثـــة . كلها ادلة نفسـانية .

اولها ــ قال اني مـــع شعوري بنقص ذاتي احـــس في الوقت ذاته بوجوب وجود ذات كاملة ، واراني مضطرا للاعتقاد بان هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهي الله .

ثانيها ــ قال ديكارت : اني لم اخلق ذاتي بنفسي ، والا فقد كنت اعطيها سائر صفات الكمال التي ادركهـــا . اذن انـــا مخلوق بذات اخرى ، وتلك الذات يجب ان تكون حائزة جميع صفات الكمال ، والا اضطرت ان اطبق عليها التعليل الذي طبقته على نفسي .

ثالثها ــ قال ديكارت : ان عندي شعورا بوجـــود ذات كاملة ، لا يفترق في الوضوح عن شعوري بان مجموع زوايـــا اي مثلث تساوي زاويتين قائمتين . اذن فالله موجود .

ثم ذكر محمد فريد وجدي طريقة ديكارت في الاستدلال واطال في بيانها الى ان قال فيما نقله عنه : ان لفظـــة (الله) ان لفظت بها ، فانما اعني بها هيول لا نهاية لها ازلية دائمـــة مستقلة عالمة بكل شيء ، وقادرة على كل شيء . وانـــي انـــا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها وناتجة منها . وهذه معارف جمة كلما تأملت فيها بدقة ازددت اعتقادا بأني لم استنبط الشعور بوجود الله من ذاتي وحدها ، وعليه فيجب ان استنتج من ذلك ان لله وجودا مستقلا ، وان شعوري بوجود هيولي غير متناهية لا يمكن ان يكون اصله في ذاتي انا ذلك الكائن المتناهي ، بل غرست في ذاتي من قبل هيولي غير متناهية في الحقيقة .

تعليقـــــات

1 ــ يقول محمد تقي الدين : قول دائرة معارف القرن التاسع عشر : فليس لنا اذن ان نبحث عن ادلة وجود الخالـــق بطريقة دقيقة في الكتب المقدسة . الخ .

فيه نظر كما بين من قبل ، لان اذا اردنا ان القرآن ، وهو احد الكتب المقدسة ، لم يسلك في البرهنة سبيل المنطق اليوناني الشكلي ، فذلك صحيح . واما اذا قيل ان القرآن لم يتعرض لاقامة البرهان على وجود الخالق اصلا ، فليس بصحيح، لان القرآن قد استدل بوجود الاثر البديع على الخالق المبدع في آيات لا تعد ولا تحصى ، فبرهان (ديكارت) مثلا على وجود الله تعالى موجود في القرآن . قال تعالى في سورة الذاريات 20 ــ 21 : (وفي الارض آيات للموقنين . وفي انفسكم افلا تبصرون) . قال البيضاوي في تفسير الآيتين : (وفي الارض آيات للموقنين) اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوانات ، او وجوه دلالات من الدحو والسكون ، وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع ، تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته . (وفي انفسكم) اي وفي انفسكم آيات، اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة . (افلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر . انتهى

هذا ما انكشف للمفسرين في زمان البيضاوي من البراهين الدالة على وجود الله وربوبيته وتدبيره للعالمين في الارض وفي الانسان نفسه . وقد انكشفت بعد ذلك للعلماء المفكرين آيات وتفصيلات هي اعظم دلالة ، واعلى برهنة على وجود الله تعالى . آخرها الذرة وما يدور حولها من الالكترونات . اما ما في الانسان من الآيات التي انكشفت لديكارت وجعلته يوقن بوجود الله تعالى ، فقد انكشف للعلماء بعده اسرار هي اعظم واوضح مما انكشف له هو ، وسأذكر بعضها ان شاء الله في المقالات الآتية ليعلم ربني الحبشي ومن يفرح بنقيقه من الذين استهوتهم الشياطين بوساوسها فأصبحوا حيارى ان ريحه لاقت اعصارا ، وان الحق لا يعدم ، ــ حتى في هذا الزمان ــ انصارا .

ومثل ذلك قوله تعالى في آخر سورة فصلت : «سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق . »

هذه السورة مكية نزلت على النبي (ص) وهو واصحابه يلاقون الامرين من اذى المشركين . والسين للتنفيس تدل على حدوث الفعل في المستقبل ، اي سيرى الله اولي الالباب اهل العلم والمعرفة من الآيات الدالة على وجوده وتدبيره للعالم بأسره في آفاق الارض والسموات على مرور الزمان ما لا يبقي ريبا ولا شكا في نفس اي طالب للحق ، وسيري الله اهل العلم والمعرفة في اسرار خلق الانسان آيات واضحات تكشف لهم الحق ولا تبقي عندهم لبسا . قال القاسمي في تفسير الذاريات . انشد ابن ابي الدنيا في كتابه (التفكر والاعتبار) لشيخه ابي جعفر القرشي :

وإذا نظرت تريد معتبرا
فانظر اليك ، ففيك معتبر
انت الذي تمسي وتصبح في
الدنيا وكل اموره عبر
انت المصرف كان في صغر
ثم استقل بشخصك الكبر
انت الذي تنعاه خلقته
ينعاه منه الشعر والبشر
انت الذي تعطي وتسلب ، لا
ينجيه من ان يسلب الحذر

وهناك آيات في هذا المعنى كثيرة ، فالعجب من قولهم ، ان القرآن لم يقم برهانا عقليا على وجود الله وتصرفه في خلقه .

2 ــ كل من له عقل يتنزه به عن ردك الحيوان الاعجم ، وتأمل مناظرة سقراط لأريستوديم يرى ان القول بالاتفاق والمصادفة غباوة عظيمة ، او مكابرة تزري بصاحبها وتنزل به الى اسفل سافلين .

3 ــ المعلمون للارواح اطباء القلوب المرشدون للشعوب المخرجون الامم من الظلمات الى النور هم الانبياء ، لا الفلاسفة ، لان الانبياء مرسلون من الله لاصلاح العباد واقامة الحجة عليهم ، ومؤيدون بروح منه . اما الفلاسفة فقد امتازوا بعقول كبيرة تغوص في بحور الافكار فتستخرج درر المعرفة وتعرضها على طلابها ، ولا يلتزمون اصلاح فاسد ، ولا تقويم معوج ، وليسوا معانين على ذلك ، لانهم لم يكلفوا به . الا ترى الى اريستوديم الذي كان سقراط يحاوره ، كيف يحلف بجوبتير ، ومعناه الكوكب السيار الذي يسمى بالعربية (المشتري) فان اليونانيين كانوا يعبدون الكواكب وينحتون لها تماثيل ويعبدونها ، ولم يستطع فلاسفتهم ان ينقذوهم من عبادة الاحجار حتى جاءتهم المسيحية فدانوا بها وتركوا اصنامهم . ولو كانت الفلسفة تقدم للارواح غذاءها وتنقذ النفوس من جهالتها وتربي الامم بالاخلاق العليا ، لكان الرسل المعلمون لدين الله الحق كلهم يونانيين . ونحن لا نسوق حجج الفلاسفة على وجود الله تعالى وتصرفه في خلقه لاقامة البرهان على صحة ذلك ، وانما نوردها حجة على من يزعم ان الفلسفة والبحث الحر يوجب على الباحث انكار وجود الله وتكذيب رسله ليعلم من لا يعلم ان الفلسفة ورجالها الاقدمين والمتأخرين براء مما ينسبه اليهم هؤلاء الجهال الكسالى .

ومن المعلوم ، عند اهل العلم والايمان ان الحلف بغير الله كفر وشرك كما جاء في الحديث الصحيح ، لان الحلف من العبادة ، كالدعاء والاستغاثة والنذر والذبح بقصد التعظيم ، والخوف بالغيب ، والاستعاذة ، والتوكل ، والخضوع بالقلب

الى غير ذلك من انواع العبادات المفصلة في كتب التوحيد . فالفلاسفة يثبتون توحيد الربوبية ويقيمون عليه الحجج الدامغة ويهملون توحيد الالهية والعبادة ، ولذلك لم يستطيعوا انقاذ قومهم من الشرك والوثنية .

4 — قوله : هي الى ان تكون شعرية اقرب منها الى ان تكون فلسفية ، ممنوع ، لان البراهين القرآنية التي اشرت اليها سابقا كقوله تعالى في سورة الطور (ام خلقوا من غير شيء) معناه كيف يعقل ان يخلق هذا العالم البديع الصنع المحكم من غير خالق عالم حكيم قدير منزه عن مشابهة الخلق ذلك محال ، لان وجود الصنعة بلا صانع لا يقبله العقل . وهذا بعينه ما تؤول اليه براهين الفلاسفة التي تقدم بعضها وسيأتي ان شاء الله سائرها .

فان الاستدلال بالمصنوع على الصانع قياس حقيقي يقال فيه : هذا العالم مصنوع ، وكل مصنوع لا بد له من صانع ، ينتج : هذا العالم لا بد له من صانع . ثم يقال : هذا العالم محكم الصنع كامله ، وكل صنعة محكمة كاملة لا بد ان يكون صانعها كاملا ، ينتج (خالق هذا العالم متصف بصفات الكمال . ثم يقال : هذا العالم محتاج الى صانع ، وما احتاج الى صانع لا يكون صانعا ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، وذلك يدل على تنزه الله تعالى عن مشابهة المخلوق . والقياس الثالث توكيد وبيان، والا فهو من لوازم القياسين السابقين .

اما القياس الشعري فقد قالوا فيه (انه قياس مؤلف من مقدمات متخيلة) . والبراهين القرآنية الدالة على وجود الله تعالى وخلقه للعالم مقدماتها حقيقية بعيدة عن الخيال بعد الموجود من المعدوم .

5 — على ان قائل ذلك قد استدرك فقال عقبه مباشرة: ولكن يمكن ان يقال : ان هذا البرهان هو روح الايمان الذي اثر على عقول الجماهير ، واسس سلطة الداعين اليه . انتهى . وهذا اعتراف من الفلاسفة ان اقيستهم الجامدة العارية عن البلاغة والبيان لا تنفذ الى قلوب الجماهير ولا تؤثر فيها ، لانها لا تفهمها . والله سبحانه حين يرسل رسوله وينزل كتابه ، لا يرسله الى الفلاسفة وحدهم ، بل يرسله الى جميع طبقات البشر كما قال تعالى في سورة اقتربت (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) .

والمحققون من العلماء يعتقدون ان البرهان لا يحتاج الى مقدمات شكلية ، بل متى كان معنى المقدمات موجودا في اي عبارة بدون مغالطة يستنتج السامع والقارىء البرهان القاطع من تلك العبارة كيفما كانت . ومن تأمل محاورات الناس التي تجري بينهم في كل يوم يستطيع ان يستخرج منها جميع الاقيسة المنطقية . وانما وضعت الاقيسة المنطقية لتدريب المفكرين . يوضح لك ذلك ان الفرق المختلفة في العقائد كل واحدة منها تدعي ان الحق معها وتزن عقائدها بالميزان المنطقي وتستخرج النتائج المتفقة مع هواها . فاذا نظر فيها اللبيب يتبين له درها من مخشلبها وجيدها من زيفها ولا يروج عليه التمويه بالاقيسة الخطابية والشعرية والسفسطية . ومن نظر في المواعظ المروية عن المسيح عليه السلام في مجادلته لمعارضيه يرى كلامه موزونا بأدق الموازين المنطقية دون التزام اشكالها .

وتقدمت مناظرة ابراهيم الخليل عليه السلام لنمرود حين استعمل السفسطة فقال : انا احي وأميت ، كيف جاءه بحجة دامغة لا تقبل المغالطة ولا السفسطة ، وهي قوله : (فان الله ياتي بالشمس من المشرق) الآية .

6 — قول ديكارت : ان لفظة (الله) ان لفظت بها فانما اعني بها هيولي لا نهاية لها ازلية دائمة مستقلة عالمة بكل شيء ، الخ .

قال محمد تقي الدين : الهيولى عند الفلاسفة هي مادة الكون التي منها تنشأ الصور والاشكال كالحيوان والنبات والجماد بجميع انواعها ، واذا فنيت هذه الاشياء تصير هيولى كما كانت من قبل ، وشبهها ابن عربي الحاتمي بالخشب ، بالنسبة الى الكراسي والموائد والواح الكتابة والمقاعد والاسرة والسفن والقوارب والبيوت الخشبية ، كل ذلك ، وان اختلفت صوره واسماءه فهو ناشىء من الخشب ، فمادته واحدة . وشبهها غيره بالبحر وامواجه ، فالامواج ، وان اختلفت بالكبر والصغر، فهي راجعة الى ماء البحر ، ويمكن ان تشبه بالشمع الذي تصنع منه تماثيل حيوانات من اشكال الحلوى يشتريها الصبيان في العيد يفرحون بها ، ثم ياكلونها . فالخشب هيولى الادوات والاواني التي تصنع منه ، وماء البحر هيولى الامواج التي تثور منه . والشمع هيولى التماثيل التي تصنع منه . وما قاله ديكارت في الهيولى قد سبقه اليه الفلاسفة الاقدمون من اليونانيين والهنود فأفضى بهم ذلك الى عقيدة وحدة الوجود ، فزعموا ان المخلوق هو عين الخالق — تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وانا لم اسق كلام ديكارت وغيره من الفلاسفة موافقة لهم في آرائهم ، وانما سقته حجة على ادعياء الفلسفة من اهل هذا الزمان في زعمهم ان الفلسفة اوجبت عليهم الالحاد والتعطيل . واذا تأملت الدليل الثاني من ادلة ديكارت الثلاثة يتبين لك انه لا يقصد ظاهرة تلك العبارة ، بل ينزه الله عن مشابهة خلقه ويوحده ، ولا يقول بوحدة الوجود . وكذلك ما تقدم من كلام ارسطو يدل على تنزيه الله تعالى عن مجانسة خلقه .

هذا وموعدنا المقال التالي بحول الله .

مكناس : تقي الدين الهلالي



نظرة على أديان العالم

بقلم : الدكتور حسين نصر أستاذ تاريخ الأديان
ترجمة : الدكتور عبد اللطيف السعداني

من المسائل المهمة – بل نستطيع القول – الفعالة التي ربطت الامم وسهلت السفر الى البلاد البعيدة والقريبة في العصور الحاضرة ، ضرورة الاطلاع على اديان العالم الحية التي يضم كل واحد منها ملايين الاتباع ، وتنير باحكامها ومبادئها طريق حياة عدد كبير من ابناء البشر ، وفي العصور السالفة كان يقع كذلك من آن لآخر الاتصال بين دينين ، كما في اتصال الدين الهندي والاسلامي في عهد الخلفاء الجورجانيين بالهند ، واتصال الاسلام والمسيحية ايام بني امية بالاندلس ، وكما حصل منذ صدر الاسلام ذلك الاتصال الناتج عن وجود اقليات المذاهب المختلفة في الشرق الاوسط . غير ان هذه المناسبات كانت على العموم استثنائية ومحدودة ، ففي الماضي كان يعتبر كل تمدن ديني – في غالب الاحيان – عالما على حدة ، كما كان يعد انبياء كل في منطقة نفوذهم المنفردين ذوي السلطة المطلقة ، كالشمس في المنظومة الشمسية .

وكما تعتبر المنظومات الاخرى في علم النجوم القديم من الكواكب الثابتة ، اذ لم يكن القدماء يقولون بوجود اكثر من منظومة واحدة في العالم ، فان كل تمدن قد اعتبر دينه وبيئته مثل منظومة معنوية ، وعدا باقي الاديان مثل كواكب مضيئة لا تنقص شيئا من مركزية المنظومة المعنوية لذلك التمدن ووحدانيتها .

وفي العصر الحاضر بدأت تتضاءل – الى حد ما – الحدود المعينة والمعروفة للمدنيات القديمة . في الغرب اولا ثم في باقي دول العالم ، وذلك بسبب توسع التمدن الاوربي ، فكما زالت في علم النجوم حدود بطليموس للافلاك ، واتضح للمنجمين ان المنظومة الشمسية ليست وحدها ، وان منظومات متعددة تشغل الفضاء (✱) فقد ظهرت كذلك للمحققين وبالتدريج لعامة الناس آفاق جديدة في العالم الديني والمعنوي ، وانجلت عوالم جديدة ، على الخصوص في اديان آسيا ، لا يمكن انكار معنويتها واصالتها ، فابطلت نظرية السطحيين الذين يعتقدون ان الحقيقة منحصرة في صورة واحدة ، وان مذهبهم هو الدين الحقيقي جاهلين معنى الآية (ولكل امة رسول) سورة يونس الآية 48

غير ان هذا الاطلاع على الاديان المختلفة دفع الاشخاص في كثير من الاحوال الى الشك والتردد في الحقيقة الدينية والمذهبية ، ويظن البعض ان وجود مذاهبهم المختلفة دليل على ان الحقائق الدينية توجد بشكل نسبي ، وان لا وجود للحقيقة

✱) حول تطور علم الهيئة الجديد وتحول عالم القدماء الى العالم اللامحدود وما توصل اليه علم النجوم في العصور الاخيرة والاثر الديني والفلسفي والاجتماعي لهذه التطورات على الغرب في عصر النهضة راجع :
A. Koyre, From Closed World to the infinite Universe New-York, 1957.
وبالاخص انتقال مركزية المنظومة الشمسية من الارض الى الشمس قد ابرز العالم بصورة تغاير الصورة التي كان يراها الانسان ، هذا الانسان الذي يسكن هو كذلك الارض والذي كان له النصيب الاوفى في خلق حس الغربة بالنسبة لعالم الطبيعة في البشر ، الشيء الذي ظهر بوضوح في المذاهب الفلسفية والفن والادب في القرون الاخيرة في اوروبا .
« La découverte du système héliocentrique, qui correspond à un développement possible et homogène, mais très particulier de la connaissance empirique du monde sensible ne saurait évidemment jamais rien prouver contre la position centrale de l'être humain dans le cosmos, seulement, possibilité de concevoir le monde planétaire comme si on pourrait faire abstraction de l'existence de l'être humain dont la conscience reste pourtant le contenant de toutes les conceptions avait produit un déséquilibre intellectuel.
T. Burckhardt - Clé spirituelle de l'astrologie musulmane d'après Mohyiddin Ibn Arabi, Paris, 1950p. 7-6.

المطلقة غافلا عن ان اكتشاف المنظومات الاخرى لا ينقص من مركزية الشمس وحقيقتها (*) والعلة في وجود هذا النوع من التفكير هي الطريقة المتبعة من لدن اكثر المؤرخين والباحثين المتأخرين في هذا المضمار ، فقد عني اكثر في هذه الطريقة التاريخية الصرف بتطورات الاديان وتحولاتها والاثر الخارجي لهذه الاديان في بعضها البعض ، ولم يلتفت الا قليلا الى الدين على انه واقع حي وطريقة معنوية تشمل جميع احوال معتقديه وافكارهم واعمالهم ، وعلى الرغم من ان طريقة البحث التاريخي في حد ذاتها جائزة ومشروعة غير انها لا تكفي لادراك حقائق ما وراء الزمان والتاريخ ، وبما انها فقط نتيجة للتطور والتحول فانها تغفل الجهة الثابتة في الحقيقة الدينية التي لا تقبل التغير .

ان تكرار الحقائق والرموز الدينية ليؤيد وجود حقيقة دينية واحدة ، تختفي في الجهة الباطنية والعرفانية في الوحي وتظهر في الاحكام الشرعية والقوانين السماوية باشكال مختلفة بين امم العالم على ممر التاريخ ، فلا يبعث هذا التجدد على انكار اصالة طريقة معنوية ونفيها وقلبها الى سلسلة من الحوادث التاريخية والمؤثرات الزمانية .

يجب ان ينظر في المقارنة الواقعة بين الاديان الى حقيقة واحدة ، تلك الحقيقة المختفية في حجاب الالفاظ والاحكام وراء كل معاينة وتشخيص ، والتي تتجلى في كل مذهب ملائمة للتنوع والابتكار الخاص به المرتبط بقوة الاستعداد الجنسي والروحي لاتباع ذلك المذهب ، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) (سورة ابراهيم . الآية 4) .

---

*) لقد بحثت بشكل عام في بعض المناسبات مسألة الوحدة المعنوية والباطنية للاديان ، مع وجود كثرتها الشكلية والظاهرية ، كما كانت تثار هذه المسألة من آن لآخر بايعاز من حكماء وعرفاء العصور الماضية ، لكن بما ان الحاجة لم تكن ماسة للتمحص في بحث الاديان في ذلك الوقت ، ولم يكن امر الاتصال بين الاديان بعضها البعض الآخر صبغة حيوية ، فقد قل الاهتمام بجزئيات الموضوع ، وفي العصر الاخير اقدم عدد من المحققين العميقي التفكير ذوي النظرة الصائبة في الشرق والغرب على المقايسة والمطابقة الدقيقين بين الاديان ، وابراز وحدتها في الاصول ، ووحدتها المعنوية ، مع هذا التباين والتضاد الموجود بينها في الظاهر ، وبعض تآليف هؤلاء الاشخاص التي توضح بتفصيل النقط المذكورة في هذا المقال بنفس الخطة التي اختارها الكاتب ، والتي اهتمت ببيان وحدة الاديان والطرق المعنوية المختلفة ، واحياء اصول الحكمة والعرفان هي : كتب ورسائل (رنه René Guénon التي طبعت في اكثر من خمسة عشر مجلدا،والمقالات المهمة التي نشر اغلبها في مجلة « Etudes Traditionnelles » ومؤلفات (آنانندا كوماراسوامي Ananda coomaraswamy العالم الهندي المشهور الذي الف علاوة على البحوث الكثيرة في الفن الهندي والاسلامي كتبا ومقالات متعددة حول وحدة الاديان وعلى الخصوص فصل
« Paths that Lead to the sam Summit » من كتاب The Bugbear of Literacy, New-York, 1946
ومؤلفات (ماركو باليس Morco Pallis) مؤلف الكتاب المعروف : Peaks and Lamas
حول تبت ، والذي قضى سنوات في تلك البلاد وفي الهند ، والف كذلك رسائل ومقالات حول العلاقة بين الاديان مثل فصل : On Crossig Religions Frontiers من كتاب : The Way and the Mountain, London, 1960 وكتاب :
Therichest Vein, London Fabrrand Faber) بقلم (جي ايتون Gai Eaton) واهم هذه الكتب، كتب ورسائل (فريد هوف شوان Frithjof Scheon الذي اهتم في كتابه :
De l'Unité Transcendante des Religions, Paris, 1948 الذي ترجم حتى الآن الى
الانجليزية والالمانية والاسبانية والبرتغالية والايطالية بتوضيح حقائق الاديان المختلفة وعلاقة الجوانب للطرق والاديان بلغة فصيحة وبيان بليغ مع دقة ملاحظة وبصيرة متقدة تثير الدهشة والاعجاب شأن كتبه الاخرى مثل :

L'Œil du Cœur, Paris 1950.
Perspectives et faits humains, Paris 1953.
Sentiers de la gnose, Paris 1957. Comprendre l'Islam, Paris 1960.
Les Stations de la Sagesse, Paris 1958. Leitge donken zur Urbessinung, Zurich 1935, Images de l'esprit, Paris 1961.

وقد لقي موضوع تجانس الاديان القبول والعناية كذلك من مفكري وحكماء وعرفاء الهند الكبار في القرن الماضي كما يرى في آثار غاندي و (اوروبيندو Aurobindo وتاغور و (رادها كريشنا Radha Krishnan وفي اقوال عرفاء واولياء الهند المشهورين في العصر الاخير من امثال : (راما كريشنا Rama Krishnan و (راماتهارتشي وانانندامويي Ananda moyi Ma .

ان الاطلاع على اصول ديانات العالم الحية امر ضروري ، هذه الديانات التي لا تنحصر اهميتها على الناحية التاريخيـــة وعلم الآثار ، بل ان كل واحدة منها حقيقة حية وعامل فعال في الحياة العملية للانسان ، وان المقارنـة الواقعـة بين الاركـان الاساسية للاديان كالنبوة والكتـاب السماوي واللغـة الدينيـة والاقانيم والاسماء الالهية وكثير من الحقائق الاخرى ضرورية ايضا ، اذ بهذه الوسيلة تتبيـن اصـول كل دين وقيمـة عقائده وعباداته ، وتظهر حقيقة كل مذهب مطابقة لوجهة نظر اتباعه . وهذا هو الطريق الوحيد الذي يبدل الشك باليقين فيستفيد العالم الذي يتزايد انكار مظاهره للمعنويات والحقائق الدينية ، من وجود الاديان الاخرى ويحصـل على الدليـل الواضح لاثبـات الحقيقة الواحدة الشاملة ، العالمية التي هي قاعدة جميع المسالك والطرق المعنوية واساسها .

* * *

نستطيع تقسيم اديان العالم الى اربع مجموعات : الاديان السامية ، الاديان الهندية ، المسالك والمشارب الصينية ، المذاهب المحلية والقومية ، التي تختص بناحية وقوم معينين (*) .

ويشتمل كل واحد من هذه الاقسام على ديانات ومذاهب وفرق مختلفة ، فتتكون الاديان السـامية مثلا من الدين اليهودي ومن المسيحية والاسلام ، وتتكون الاديان الهندية من المذهـب الهندو او البرهمانى . والبوذائية ، وجاين ، والسيـك . ولا يخفى ان الديانات الايرانية القديمة ، كالدين الزردشتي (دين عبدة النار او الدين المجوسي) ودين عبـادة الشمس ، والدين المانوي هي وليدة الاصول التي تشترك فيها مع الديانات الهندية كذلك ، ويتفرع عن المذاهب الصينية التي تتصـل كلها بتمدن الجنس الاصفر والمناطق المجاورة للصين طريقة تاو ئي وكذلك دين كنفوشيوس ، وتفرعـت مذاهـب ونحل ومسالك اخـرى بدورها عن هذين المذهبين ، اختلطت بعد ذلك بالدين البوذائي وكذلك المذاهب المحلية ، يعتبر بعضها قوميا كمذهب شنتو في اليابان ، والقليل منها منحصر في جنس بخصوصه ، كمذاهـب الهنود الحمر بامريكا ، ومذاهب القبائل السـود في افريقيـا الوسطى والجنوبية ، والبعـض الآخـر كمذهب يوم العصـر الحجري في استراليا بقي بشكله العتيق في العصور المتوغلة في القـــدم .

ان اديان العالم التي تثير الانتباه من حيث اثرها المعنوي واهميتها العامة ، هي الاديان السامية والهندية وخاصة المسيحية والاسلام واليهودية والبوذائية ، واما بقية الاديان فانهـا على العموم محدودة بمحيطها الجنسي والفكري والجغرافي ، وبالطبع فان ذلك لا يقلل من اعتبارهـا واهميتهـا ، واننا لا نستطيـع اغفالها نهائيا ، فالاهمية الخاصة للطبيعة في مذهب الهنود الحمر مثلا تجعل كل مظاهرها صورة لتجلى الحقيقة المطلقة ، فالطبيعة البكر كمعبد للهنود الحمر تقع منهم موقع الاحترام ، وذلك له الاثر الاكبر والفائدة العظمى لبشرية تغير على الطبيعة وتهاجمها في نهم لا ينتهي ، معرضة في نفـس الوقـت ثروة وجودها الطبيعية بسبب هذه الغارات التي لا تعـد ولا تحصـى ، معرض الخطر (*) وروح نبل (ساموراي او المجاهدون اليابانيـون وشجاعتهم التي تستقى اصلها من مذهب شينتو (*) ، ضرورية ومفيدة جدا لعالم انمحى منه كل اثر للنبل فاصبحت جميع اعماله تسعى لصالح حرب لا تميز بين الجندي الفتى والعجوز العليل ،

(*) غير خاف ان هناك تقسيمات اخرى للاديان ، لكل منها اهميته الخاصة ، فيجب ان لا يفهم باي وجه ان هذا التقسيم رفض ورد لها ، وهدفنا منـه هو فقط تسهيـل البحث حـول السلالات الكبرى لاديان العالم الحية .

(*) حـول عقائـد الهنـود الحمـر الدينيـة راجـــع The Sacre Pipe, Blok Elk's Account of the Seven· Rite of the Ogla la Sioux, edited by J. E. Brown, Norman Oklahoma, 1953, J. G. Neihardt, Black Speaks, New-York 1932.

ومقدمة فريـد عوف شوان للترجمة الفرنسية لكتـاب السيـــد براون ،

Hehaka Sapa, Les Rites Secrètes des Indiens Sioux, Paris 1953.

وحول الحياة العامـة ، والتاريـخ والثقافـة ، والحياة الاجتماعية لهنود امريكا الشمالية الحمر راجع :

J. Colliers, Indians of the Americas, New-York, 1956.

(*) بالرغم ان مذهب « شينتو » هو المذهب الوطني لليابان ، وينحصر في سكان تلك البلاد ، فان له معالم تشبه بعمق المذهب القديم: شامانيسم، مذهب مغوليا وآسيا الشمالية ، ومذاهب هنود امريكا الشمالية الحمر ، حـول اصول شينتو راجـع :

Grenchi Katô, Le Shintô, Religion Nationale du Japon, Paris 1931.

Wat is Shinto, F. Shouon. Images de l'esprit, p. 8-21 - Tokyo, 1935.

فاختفى اخلاص العمل في عالم النسيان ، هذا الذي يقول عنه مولانا (✱) : « تعلم الاخلاص في العمل من علي » كرم الله وجهه .

وللمدارس المذهبية الصينية الخاصة بالجنس الاصفر تعاليم جامعة وشاملة ذات معنوية في غاية اللطف ، حافظت على وجودها الى اليوم (✱) فدعوة كنفوشيوش الى الصلح ، وتعاليمه الاخلاقية التي تنبني على حفظ التعادل بين القوى المعنوية والنفسية والجسية ، توجد للراحة في الباطن والاطمئنان في الروح وتخلق الصلح والصفاء في الانسان الشيء الذي ليس في متناول عالم اليوم مع كل هذه الثرثرة عن الصلح ، وطريقة تاوئتي العرفانية بالاضافة الى انها كانت في القرون السالفة باعثا لوجود النهضات الفنية والادبية المهمة ، فقد اكتست بعد انتشار الديانة البوذائية في الصين صبغة الطريقة الخاصة لـ جان .

ثم ظهرت بعد ذلك في اليابان بشكل مذهب زن Zen واوجدت مدرسة مذهبية لا تزال قائمة الى اليوم ضمت اليها من اطراف العالم اتباعا كثيرين (✱) .

واما اديان العالم الاخرى فان لكل واحد منها ميزاته الخاصة التي تثبت وجوده ، وفي الوقت ذاته لها روابط عميقة تربطها بالشرائع المجانسة لها التي تدل على اتصال هذه الديانات بشجرة معنوية واحدة واصل واساس واحد .

ان اقدم الاديان السامية المشخصة للدين اليهودي ، واحدثها الاسلام ، فالوحي الموسوي شريعة في واقع الامر ، والوحي العيسوي طريقة ، والاسلام جمع الشريعة والطريقة معا . وهو يؤيد تلك الحقيقة التي كانت منذ بدء الخليقة ، وعند مجيء اليهود اختصت بقوم ووطن واحد (✱) . ولهذا يسمى الاسلام الدين الحنيف ، ونستطيع كذلك ان نطلق عليه « الدين الابراهيمي » من حيث ان نبي الاسلام صلوات الله عليه جمع بين الظاهر والباطن ، ومحا ذلك التحديد الذي بدأ مع ظهور الدين اليهودي والمسيحي ، في دين الانبياء الساميين وعلى الخصوص في دين ابراهيم عليه السلام ، واعطى الدين من جديد شمولا ، وكشف الحقيقة التي نزلت منذ اول لحظات الخلق ، الا وهي حقيقة التوحيد اصل كل المذاهب والاديان الحقيقية واساسها في

✱) «مولانا» : هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين البلخي ، يعرف بـ «مولانا» وبـ «مولاي» عارف ايراني نزح من بلده عند حملة المغول عليها الى آسيا الصغرى واستوطن بها مع اسرته بـ قونية في تركيا ، وهناك توفي سنة 672 هـ / 1273 م ولا زال قبره كعبة الزوار من اتباع طريقته الصوفية « المولوية » وغيرهم له منظومة كبرى في التصوف ، وهي عبارة عن مثنوي على وزن بحر الرمل المسدس المقصور في 26.000 بيت ، وهذه المنظومة خضم متلاطم من العواطف الفياضة والافكار السامية ، وتعتبر بحق من احسن ما انتجه الفكر الانساني والعاطفة البشرية ، والنبراس الوهاج للعرفان الاسلامي اشهر كتبه في التصوف كتاب (فيه ما فيه) المترجم .

✱) ان الكتب التي الفت باللغات الاوربية حول الصين ونحلها ومذاهبها الفكرية كثيرة ، نذكر هنا اسماء بعضها :

Fung Yu-lan, A History of Clinese Phylosophy, Princeton 1952.
M. Granet, La Civilisation Chinoise, Paris 1929.
M. Granet, La Pensée Chinoise, Paris 1946.
R. Guéhon, La Grande Triade, Paris 1943.
Matgioi, La Voie Métaphysique, Paris 1956.
Matgioi, La Voie Rationnelle, Paris 1941.
J. Needham, Science and Civilisation in China, 7 vol., Cambridge 1957.
A. Waley, The Analects of Confucius, London 1939.
A. Woley, Three Ways of Thoughtin Ancient China, London 1946.
A. Woley, The Woy and its Power, London 1934.
L. Wieger, Les Pères du système taoiste, Hsienhsien, 1913.

بالاضافة الى هذا ترجم عدد منهم النصوص الاساسية العرفانية والدينية الصينية بمختلف اللغات الاوربية مثل كتاب (التغيير او (يي كينج (I Ching) وتعد ترجمة فيلاستر Philastre اشهر ترجمة له، كتاب (كينج Tao-Te-King واقوال تشوانج تزو Tchuang-Tzu كنفوسيوس وغير ذلك .

✱) اشهر من حلل الافكار والعقائد العرفانية لهذه الطريقة باللغات الاوربية الاستاذ الياباني الشهير (سوزوكي Suzuki الذي الف كتبا كثيرة باللغة الانجليزية والفرنسية مثل :

Zen and Japanese Culture, London 1959.
Essays in Zen Buddihism, vol. I.III, London 1950-1953.

حول اصل (زن Zen) وتأثيره في المدنية اليابانية ، راجع كذلك :

E. Herrigel, Zen in the Art of Archery, New-York 1953.

✱) لقد بحث هذا الارتباط بتفصيل في فصل « الناحية التثليثية في الوحدانية من كتاب :

De l'Unité transcendante des religions . بقلم شوان

جميع العصور الخالية (✱) ، وهكذا فقد اوصل بداية حلقات النبوة بنهايتها وختم عهد النبـوة « ظهـرت النبوة بـآدام ، وكملت بالخاتم » (✱) .

❋ ❋ ❋

ان المناسبات المشتركة بين الاديان السامية كثيرة ، مثل الوحي والكتاب السماوي والحشر والعدل الالهي وغير ذلـك ، واننا اذ قايسنا هذه المناسبات مع باقي اديان العالم فان الشيء الذي يثير الانتباه فيه هو تجلي الحقيقة في الاديان السـاميـة بمظهرين ، خارجي وباطن ، يشتمل احدهما على تعاليم عمومية لسائر البشر ويحتوي الاخر على الاسرار التي ليست في متناول كفاءة سائر الناس ، وقد اختص بها اولئك الذين شغلهم البحث عن الله في هذه الحياة الجسمية والدنيوية ، لا يطمئنهم انتظار الجنة ، ويوم الحشر بل يريدون بالقيام بالتعاليم العرفانيـة وتهذيب النفس ، قطع سائر مراحل الوجود ومنازل الطريـق في هذه الحياة ، ونيل الوصال بالحقيقة ، ان هذا التجلي الثنائي للحقيقة في مظهريها ، الخارجي والباطني لا يختص بالاسـلام وحده بل يوجد في الدين اليهودي والمسيحي كذلك ، وذلك من حيث انه بالرغم من تغلب الجهة التشريعية على الدين الموسوي ، فقد ظهرت بين اليهود المدرسة المعروفة باسم Kabbal وفي القرن السابع عشر الميلادي اضيفت اليها في شرق اوروبا نهضة هاسيديم Hassidim تفرعت عنها مدرسة لا تزال تحتفظ باتباعها الى اليوم ، وقد خلفت انتاجات مهمة في عالم الادب والموسيقى (✱) والمسيحية ايضا ، على الرغم من انها كانت في بدايتها طريقـة معنوية ، فانها اضطرت ان تصطبغ بالصبغة الاجتماعية والتشريعية بعد ان اصبحت الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية فاستفادت من القوانين القديمة لروما ، وهكذا برزت بصورة « طريقة » ظاهرية واجتماعية الى ان افضى بها الامر ان اضمحلت نهائيـا المدارس الحقيقية للعرفان المسيحي في اواخر القرون الوسطـى مثل تامبلير (Tempiers) وبعد ذلك بزمن يسير « صليبيـوا الورد الاحمر » مما ادى الى فقدان التوازن في المسيحية ، انتهى بانشقاق عميق بين الكاتوليك والروتستان اضاع وحدة تجانس الكنيسة المسيحية في اوروبا (✱) .

والاسلام الذي ظل فيه التعادل بين الناحية الظاهرية والباطنية، وبالرغم من ان بعض العلماء السطحيين ، القصيري النظر قد كتبوا في مختلف الازمنة ردودا على العرفاء وحملوا عليهم ، وبالرغم من استشهاد بعض كبار التصوف كالحلاج وعين القضـاة (✱) ،

(✱) حول القول بان اساس جميع الاديان القديمة مبني على التوحيـد راجـــع :
Fabre d'Olivier: Her meneutie Interpretation Of the Origin of the Social State of Man, London 1915
وقد وقعت الاشارة كذلك الى مثل هذا في القرآن الكريم والاحاديث والاخبار واقـوال كثير من عظمـاء الاسلام وعلى الخصــوص العرفـاء منهـم .

(✱) نبـوت را ظهـور أز آدم آمـد كمالـش در ظهـور خاتـم آمـد

(✱) ان ظهور بعض من كبار اساتذة الموسيقى والعزف من بين اليهود والذي يعزى الى حبهم للعزف على الآلات الموسيقية وبالاخص الوترية ، المتداول بينهـم الى اليـوم قد كان احدى عوامل نهضة « هاسيديم »
E. Muller, History of Jewish Mysticism, Oxford 1946.
L. Schaya, L'Homme et l'Absolu selon la Kabbale, Paris 1958.
G. Scholem, Major Trends of Jewish Mysticism, Jerusalem 1941.
P. Vuillaud, La Kabbale Juive, histoire et doctrine, Paris 1923.
A. E. Waite, The Holy Kabbalah, London 1923.
F. Warrain, la théodiccée de la Kabbale, Paris 1958.

(✱) راجـــــع :
P. Arnold, Histoire des Roses-Croix, Paris 1953.
R. Guénon, Aperçus sur l'ésotérisme chrétien, Paris 1954.
R. Guénon, L'Esotérisme de Dante, Paris 1957.
J. H. Probst-Biraben, Les mystères des Templiers, Nice 1947.

(✱) هماشيهدا التصوف الاسلامي ، احمد بن منصور الحلاج البيضاوي (في قرية البيضاء بمنطقة فارس في ايران) من اكابر العرفاء واشهرهم ، اتهم بالحلولية وبسبب قولته المشهورة (انا الحق) وصلب في بغداد سنة 309 هـ ، والثاني ابو المعالي عبد الله بن محمد الميانجي الهمداني الملقب بعين القضاة ، من اكابر الائمة ، كان صاحب ذكاء حاد وقريحة وقادة وتضلع في اللغة العربية وآدابها وفي كلام الصوفية ومذاهبهم متذحداثة سنه ، ولكتبه التي الفها وهو في ريعان الشباب مقام كبير في التصوف حتى قيل عنها انها خلفت تآليف ابي حامدالغزلي ، اتهم بدعوى النبوة والحلول ، وقتل بمدينة همذان بايران سنة 525 هـ وهو ابن 33 سنة . من اشعاره باللغة العربية قصيدة نظمها في عنفوان الصبـا ، ومـدح بها الرسول الاكرم (ص) والخلفاء الراشدين ، نقتطف منهـا هـذه الابيـات :

سأزجي اليه يعملان سواها — طلائح انضاها التوقص والوخد
واكحل اجفان الوجناء بربه — ثوى جسمه فيها فاجفانـه رمـد
وان لم تبلغني اليه ركائبي — فلا سرها عشب ولا ضمهـا ورد

(المترجم)

فان هذا التعادل ظل نسبيا موجودا ، وتمكنت الشريعة والطريقة ان تحافظا على تقاربهما ، ولم تستطع اية قوة القضاء على هذا التعادل الذي وجد منذ مطلع ظهور الاسلام والذي هو رمز بقائه (✱) وبذلك اكتسب الاسلام قدرة وشيوعا لا مثيل لهما ، وحاز شخصية عالمية عرف بها من بين الاديان ، فكان الوحي المحمدي الذي هو آخر وحي في هذا العهد التاريخي للبشر ، جامعا للديانات السالفة من جهة ورجوعا الى اصل الوحي ومبدئه من جهة اخرى .

ان الديانات الهندية ليست كالديانات السامية ذات جانبين متمايزين : ظاهري وباطني ، غير ان التعاليم الدينية وكلت الى فئة معينة في المجتمع ، فالناحية السرية والعرفانية منها ليست في متناول العامة ، فهي من هذه الوجهة تتفق بالتالي مع الاديان السامية ، فالحقيقة الباطنية مخفية ومكتومة عن انظار العامة في كل منهما (✱) .

من اركان الدين الهندي او البرهماني الذي هو اقدم دين في العالم،وكما يقول عرفاء المسلمين الهند شريعة سيدنا آدم(✱) تقسيم المجتمع الى اصناف او طبقات (Caste) يقسم الهنود المجتمع الى اربعة اصناف روحيين او برهمان : 1 ــ الابطال والمحاربون او كشاتريا (Kshatrya) 2) التجار والباعة . 3) الفلاحون او فايشيا (Vaishya) 4) العمال والجنس الغير هند اريائي او شودرا (Shudra) ويعتقدون ان كل صنف مكلف باداء مهمة خاصة في المجتمع ، فاحكام الدين الهندي تعم بجوانبها المختلفة كل الطبقات الاربع ، ولكن البرهمان وحدهم هم الذين توصلوا الى معرفة كل الحقائق والرموز ويدركون بواسطة العقل معاني الاشياء التي يؤمن بها الاخرون ويؤدونها قياما بالواجب الديني ، ولذلك فانهم يتكفلون بمهام دينية اكثر .

والكتب الهندية بحر لا ساحل له ، وهي مليئة بالرموز والقصص والاخبار التي تعبر عن الحقائق الدينية بشكل اساطير ، وبالاضافة الى هذا فانه فهم هذا الدين في القرون الماضية بمفاهيم كثيرة كانت تتراءى في ظاهر الامر وكأنها مذاهب مستقلة يصعب كثيرا ايجاد ارتباط بينها فيؤمن البعض ب (كريشنا (krishna) ويعتقد البعض (راما (Rama) ويتبع البعض كالي (Kali) البعض يعتبر الالوهية شيفا (Shiva) وطائفة تراها هي (فيشنو (Vishno) وما هذه كلها الا اسماء وصفات ذات الواحد الاحد ، وحقيقة الامر ان كلا من هؤلاء الاتباع اهتم باحد الاسماء الالهية ، كما هو الامر في التصوف، يلقن المرشد كل مريد الذكر الذي يناسب حاله وطبيعته ومقامه .

✱) تنبه جميع مشايخ المسلمين ، الشيعة منهم والسنة على هذه الملاحظة ، واقروا ان الطريق الى الحقيقة هو حفظ التعادل بين الشريعة والطريقة ، والظاهر والباطن كما يتجلى من كتب الغزالي وابن العربي وصدر الدين القونيوي وابن تركة الاصفهاني وسيد حيدر آملي وميردا ماد والملى صدرا والملى محسن ، وفي الفترة الاخيرة ، حاجي ملى سبزواري واقا محمد رضا قمشه ابي .

✱) ان الكتب التي تبحث في الدين والحكمة والعرفان الهندي باللغات الاوربية لا تعد ، غير ان اكثر مؤلفي هذه الكتب نظروا الى الموضوع من جهة معينة ولم يدركوا اصل المعنوية الهندية وحقيقتها من بين الكتب التي حازت تقدير الهنود انفسهم في هذا الميدان ، يمكن ذكر اسماء الكتب الآتية :

A. K. Coomaraswamy, Hinduism and Buddhism, New-York 1943.
A. Daniélou, Le polythéisme hindou, Paris 1960.
A. Daniélou, Yoga, Méthode de réintégration, Paris 1951.
M. Eliade, La Yoga, Immortalité et liberté, Paris 1951.
H. De Glasennapp, La Philosophie indienne, Paris 1951.
R. Guénon, L'homme et son devenir selon la Védanta, Paris 1952.
R. Guénon, Introduction générale à l'étude des doctrines hindoues, Paris 1952.
J. Herbert, Spiritualité hindoue, Paris 1947.
F. Schuon, Language of the Serf, Madras 1959.
H. Zimmer, Philosophies of India, New-York 1957.

وباللغة العربية والفارسية ، بقطع النظر عن بحوث ابو الريحان البيروني في كتاب (تحقيق ما للهند) والترجمة العربية ل (باتا نجالي Patanjali) يمكن الاشارة الى نظام الدين بانيباني مع شرح مير فندرسكي ل (جوك فسشت Vasishtha و(اوبانيشاد او اپنكهت Bhaghavat-Gita بعنوان :(سراكبر) او (سر الاسرار) الذي طبع قبل شهور قليلة تحت اشراف السيد جلال نائيني والدكتور تاراجند بطهران سنة 1340 ه شمسية ، وبعض الترجمات الاخرى ، واكثرها نصوص ادبية .

✱) ان موضوع انواع وطبقات المجتمع الهندي الذي هو من اصعب جوانب الدين الهندي فهما ، كان محط دراسات كثيرة من المؤرخين وعلماء الاجتماع الاوربيين مثل هاتون Hatton من اجل البحث الدقيق حول المعنى الحقيقي لهذه الطبقات واهميتها في الدين الهندي راجع : F. Schuon, Castes et races, Lyon 1957.

بزغت في هذه الارض الفياضة التي شاهدت انواعا مختلفة من المعنويات ، كما شاهدت طرقا للوصال بالحقيقة ، سلسلة من شرائع اخرى تتفق في اساسها مع الدين الهندو وان خالفته ظاهرا في كثير من اصوله وسعت الى اصلاحه ، من بين تلك الاديان التي تستحق الذكر في هذه العجالة ، دين جاين الذي اسسه (ماها فيرا (Mahâvira) في القرن السادس قبل الميلاد ، والدين البوذائي الذي اسسه جوتاما بوذا (Gutama Bouddha) في القرن السادس قبل الميلاد ايضا ، ثم مذهب سيك الذي ظهر بعد ذلك نتيجة الاتصال بين الدين اليهودي والاسلامي في القرن العاشر الهجري (✶) .

ينحصر دين جاين في عدة ملايين من الاتباع في التراب الهندي نفسه ، ولم يتعد هذه الحدود في اي زمان ، وينحصر دين سيك في شبه القارة الهندية تقريبا ، وقد اتسعت آفاق شهرته نوعا ما على يد بعض التجار والجنود من معتنقيه الذين استقروا في البلاد الاخرى ، غير ان الدين البوذائي على الرغم من نشأته في ربوع الهند وبين ابناء الجنس الابيض فانه بعد حوالي سبعة قرون من سلطانه بالهند فقد اخذ الانحلال يدب اليه في موطنه الاصلي ثم فارق نهائيا تلك الديار بعد قرنين من ظهور الاسلام تقريبا الا في منطقة او منطقتين في « بهار Bahar » وبنجال Bengal (✶) وعلى عكس ما يظنه البعض في البلاد الاسلامية والغربية فان الهند اليوم ليست بوذائية الدين ، بل ان اتباع بوذا يكونون فقط آلاف محدودة من بين سكان الهند الاربع مائة مليون .

لقد هيأ القدر موطنا وامة جديدتين للدين البوذائي ، تلك هي بلاد الجنس الاصفر يعني الصين واليابان وكوريا وكذلك آسيا الوسطى ودول جنوب شرقي آسيا ، كما ظهر في تبت Tibet مذهب خاص مركب من الدين الهندي حسب فهم المذهب الشيوائي والدين البوذائي ، وذلك بعد الانتقال التدريجي للرهبان البوذائيين الى تلك البقاع ، ولا زال الى اليوم الدين الرسمي لتلك الدولة وزعيمه وامامه هو (الاي لاما (Dalai lama) (✶) .

ومن تبت ومغوليا انتشر المذهب البوذائي بالتدريج الى الصين ومن هناك الى كوريا واليابان والهند الصينية والبلاد المجاورة، وفي الوقت الذي كان الدين البوذائي يسلم الدين الهندي القديم في مكانه في الهند ، كان الجنس الاصفر يستقبل تعاليمه بترحاب كبير ، فاصبح الدين البوذائي الدين الاساسي لهذه الامم .

وبالطبع لم يفارق الدين البوذائي موطنه الاصلي نهائيا ، بل انه ظل بشكله القديم او : (ثرافادا (Theravâda) يعني

✶) حول دين جاين راجع فصل ((Jainism) من كتاب : A Source Book in Indian Philosophy, Edited by S. Radhakrishnan and G. A. Moore, Princeton 1947H. von Glasenapp, Der Jainismus, Berlin, 1925.
وحول الدين البوذائي توجد كتب كثيرة كذلك ، لكن اغلبها محدود الموضوعية ، وتصعب الاستفادة منه الى حد ما ، من الكتب التي وضحت بدقة وبلا تحيز اساس الدين البوذائي يمكن ذكر الكتب الآتية :
A. K. Coomaraswamy, Hinduism and Buddhism.
A. K. Coomaraswamy and I. B. Horner, Presentinf Gautam the Buddha, London 1948.
La Présence du Bouddhisme, France-Asie, Tome XVI, 1953, 57, 1959.
F. Schuon, Images de l'esprit, p. 83-174.
T. Suzuki, Outlines of Mahâyâna Buddhism, London 1907.
2.500 Yeards of Buddhisme, edited by P. V. Bapat, Delhi 1959.
حول عقائد سيك راجع : M. A. Macculiffe the Sikh Religion, 6 vols, Oxford 1909.

✶) بهار Bahar :احدى ايالات الهند الواقعة في المنطقة الشرقية مغرب بنجال وشمال اريسا وشرق الايالات الشمالية وتحد من الشمال بالنيبال في هذه الايالة قريبا من مدينة كيا Gaya معبد بوذاكيا ، وهو من الاماكن المقدسة عند البوذائيين ، ويعد من اقدم معابدهم ، وله ارتباط بتاريخ حياة بوذا بنجال وبنجاله Bengal :ولاية شاسعة الاطراف في شرق الهند قسمت هذه الولاية سنة 1947 م عند نشوء دولة الباكستان فاصبح القسم الشرقي جزءا من الباكستان والقسم الغربي جزءا من الهند وعاصمته طلكته ، نبع من هذه الولاية في القرن العاشر الهجري جتانيا Tshataniya احد المبشرين والمصلحين الدينيين الهندو ومنها ظهر كذلك في القرن التاسع عشر الهجري العارف المشهور راما كريشنا ، قريبا من عاصمة هذه الولاية بمدينة كاليكات يوجد معبد معروف لا ينقطع فيه جريان دم القرابين . (المترجم)

✶) راجع كتابي ماركو باليس :
Peaks and Lamas, London 1949.
The Way and the Mountoin.
الذي وضع فيهما بديع ملاحظات مفيدة وطريفة حول هذه البلاد التي طالما اثارت انتباه العلماء ، كل من وجهة نظر انسان قضى اعواما من حياته في تبت واندمج في محافلهم ومراكزهم الدينية ، وسلك طريقتهم .

تعاليم الوجهاء التي كان يسميها بوذائيو الشمال الدولاب الاصغر او (هينايانا (Hinayana) في اكثر المناطق بعدا عن مركز التمدن الهندي مثل جزيرة سرانديب او سيلان وبرمة والسيام ، في الوقت الذي ظهر هذا الدين نفسه بشكل اكمل وعرف بالدولاب الاكبر او (ماهايانا (Lahâyana) في البلدان الشمالية مثل آسيا الوسطى والصين وكوريا واليابان، واصبح توأما للمذاهب القديمة في الصين واليابان ، فتولدت عن هذا الامتزاج مدارس وطرق ذات اهمية عظيمة كطريقة (زن (Zen) والى اليوم لا يزال نصف سكان اليابان بوذائيين اما النصف الاخر فانهم على دين شينتو ، وقد تمخض اختلاط اصول الدين الوطني لهذه الامة بالتعالم العامة والعالمية للبوذائية عن التمدن الياباني ، وفي الصين ايضا ، فان كثيرا من الناس على مذهب كنفوشيوس الذي امتزج باصول الدين البوذائي في القرون الوسطى .

في بلاد جنوب شرقي آسيا يلوح بوضوح اثر المذاهب والتمدن الصيني والهندي والاسلامي ، ففي الهند الصينية اتحد الدين البوذائي بالتعاليم الكنفوشيوسية والتاوية ملتا تيار العام للتمدن الصيني .

وفي اندونيسيا يقبض الاسلام على زمام الامر وقد وصلها في القرنين التاسع والعاشر بواسطة السياح والتجار العرب والفرس وجلهم من اهالي نواحي اطراف الخليج الفارسي . غير ان كثيرا من عادات وعقائد سكان هذه البلاد مبنية على اسس الدين الهندي الذي كان الى اربعة قرون خلت متمركزا في تلك الجزر ، وهو الى اليوم راسخ القدم في جزيرة « بالي » التي عرفها العالم كله برقصها وموسيقاها الدينيين ، وفي «مالايا» يتمتع الاسلام بالاغلبية ايضا في الوقت الذي يتجلى بكل وضوح الاثر الهندي والى حد ما الاثر الصيني (✱)

فـاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني

✱) حول اديان هذه الاقطاع راجع :

C. Eliot, Hinduism and Buddhism, Vol. III, London 1954.
D. G. E. Hall, A History of South-South Asia, New-York 1956.
K. A. Nilakanta, History of India, Part I, «Ancient India», Madras 1950.
J. P. Roux, L'Islam en Asie, Paris 1958.
2.500 Yards of Buddhism, Chapter V.

قافية ... غريبة

لقد مر الاديب النحرير القاضي الفاضل سيدي الطيب بسير ، طيب الله ثراه ، بعطار يخلط أنواعا من الطيب فقال :

مررت بعطار يدق قرنفلا
ومسكا وكافورا فقلت له : وأشار بأنفه مستنشقا
فقال لي العطار رد قرنفلي
ومسكي وكافوري فقلت له : وأشار بأنفه مستنشرا

الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي

للأستاذ : ابراهيم حركات

قبل تحليل هذا الذي يعد من اروع ما كتبه ابو حيان التوحيدي ، ينبغي ان نتعرف في لمحة عابرة على حياة هذا الكاتب ومؤلفاته وادبه :

1) حياة ابي حيان : علي بن محمد بن العباس التوحيدي ولد بواسط او بغداد او شيراز او نيسابور حوالي سنة 312 ، ودرس ببغداد والبصرة على اساتذة بارزين كأبي سعيد السيرافي وابي حامد المروزي وابي سليمان محمد بن طاهر ويحيى بن عدي وعلي بن عيسى الرماني وآخرين ، ومن اكثر الاساتذة تأثيرا في توجيهه المباشر ابو سليمان المذكور الذي كان مشاركا في علوم كثيرة ، خصوصا الفلسفة والمنطق ، واتصل في شبابه بالوزير المهلبي ثم بابن العميد والصاحب بن عباد والحسين بن احمد بن سعدان ، وكلهم تولى الوزارة لبني البويهيين ، كما اتصل بابي اسحق الصابي رئيس ديوان الانشاء ببغداد ، وقام ابو حيان بمهمة النسخ لبني الوزراء المذكورين وكان يمقتها ويعدها دون مستواه الفكري .

ولم ينجح ابو حيان مطلقا في حياته العملية لانه كان سليط اللسان قليل الاهتمام بمظهره كما اتهم بتزوير بعض الاحاديث ، واثارت ميوله التصوفية بعض اسباب العداوة ضده ، وهكذا وضع كتابه المشهور في « مثالب الوزيرين ، ابن العميد وابن عباد » ذلك الكتاب الذي نقل ياقوت كثيرا من فقره في « معجم الادباء » كما وضع بضعة كتب في التصوف منها رسالة في اخبار الصوفية وكتاب « الحج العقلي اذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي » الذي استمد افكاره من الحلاج حسب قول « ماسينيون » ، وكان الحلاج يرى ان المومن اذا عاقه عن الحج عائق امكنه ان ينعزل في حجرة بمنزله بعيدا عن كل دنس ، ويؤدي نفس الطقوس التي يؤديها في الحج عادة .

واعتزل التوحيدي في اواخر حياته عن الناس حتى عمد الى احراق كتبه ، وعذله في ذلك القاضي ابو سهل ، فاجابه برسالة طويلة برر فيها سلوكه هذا باسباب ثلاثة : اولا : ان هذه الكتب لم تنفعه في حياته العملية ، فقد اضطر كما يقول الى اكل الخضر في الصحراء وبيع الدين والمروءة . ثانيا : ان الذين الفها بناء على طلبهم ، لم ير منهم حفظا للعهد ، بالرغم من طول صحبته لهم . ثالثا : ان شخصيات ذات مقام في الدين والعلم لا ينكر ، قد عمدت قبله الى اتلاف كتبها ، كأبي عمرو ابن العلاء الذي (دفن كتبه في باطن الارض فلم يوجد لها اثر) وداود الطائي الذي (كان من خيار عباد الله زهدا وفقها) وابي سعيد السيرافي الذي امر ولده باحراق كتبه اذا لم ينتفع منها بعد موت والده واخيرا ، فقد اعتذر ابو حيان بالمرض والشيخوخة واليأس الذي اقض مضجعه .

ولحسن الحظ ، فان نسخا من بعض كتبه كانت قد انتشرت قبل عملية الاحراق هذه .

ونظرا للعزلة التي التزمها ابو حيان في آخر حياته فان تاريخ وفاته يسوده غموض كثير وذكر زكي مبارك في « النثر الفني » اعتمادا على ماسينيون انه توفى سنة 414 هـ بشيراز بعد ان امتدت حياته اكثر من قرن .

ومن المعلوم ان القرن الرابع الذي عاش خلاله ابو حيان يمثل ازهى عصور الانتاج الفكري في تاريخ الاسلام كله ، هو عصر التنافس العلمي والسياسي الذي انفصلت فيه عدة دول عن الخلافة العباسية كالحمدانيين والبويهيين والفاطميين والسامانيين والاخشيديين ، وهو في ميدان الادب ، عصر ابن مقلة والمهلبي والمتنبي والصاحب وابن العميد وابي اسحاق الصابي والهمداني والخوارزمي ، وفي العلوم عهد ابن النديم والرازي وابي سعيد السيرافي «والدارقطني» وابي حامد الاسفرييني وعلي بن عيسى الرماني وحمزة الاصفهاني وابن دريد وابن فارس والجوهري .

2) مؤلفات ابي حيان وادبه : امتاز القرن الرابع في ميدان الفكر بالثقافة الموسوعية التي كانت مقياسا لرجل الادب

والعلم على السواء ، وتأثر ابو حيان بعصره فوسع دراسته في علوم مختلفة ، فكان يتقن الادب والفلسفة والنحو واللغة والمنطق وعلوما اخرى ، وكان مثله الاعلى هو الجاحظ الذي اعجب به ابو حيان ايما اعجاب وقدر علمه كما لو تلقى عنه مباشرة وكتب في تقريظه رسالة عده فيها احد الثلاثة الذين انتهى اليهم العلم والفضل (في نظره) وهم احمد بن سهل البلخي وابو حنيفة الدينوري وعمرو بن بحر الجاحظ .

والحق ان ابا حيان سلك طريق الجاحظ في كل عناصر اسلوبه ، كالانسجام بين الشكل والموضوع وازدواج الجمل واختيار الالفاظ ذات الجرس الموسيقي لتكون ابلغ في السمع واكثر تأثيرا على النفس .

وكان يشبهه ايضا في عيوبه ، فلم يشذ عن الاسلوب الادبي حتى في بعض كتبه الفلسفية كالمقابسات وكان الجاحظ لا يفتأ يخلط الادب بالعلم حتى في كتبه العلمية وهكذا لجأ التوحيدي الى النوادر يلقيها في عرضه الفلسفي ، ومن طبيعته الاستطراد شأن الجاحظ الذي كان الى ذلك ، يمزج الهزل بالجد ، اذ كان مطبوعا على روح التندر والفكاهة ، وكان ابو حيان ينقصه هذا المزاج ، على الاقل اذا قيس بالجاحظ وفي مقابل ذلك كانت له موهبة خاصة في سبر اغوار الناس وتحليل النفسيات ، واختلف عن الجاحظ في انه كما قال بعض النقاد ، وصف اشخاص معروفين

ولا يخلو ادب التوحيدي من سخرية لاذعة تفوق سخرية الجاحظ التي امتازت بروح مرحة ليس فيها غضب او تمرد على المجتمع ، ولقد كان ابو حيان يستخدم في اسلوبه النقدي ، الاتهام بالصفات الدنيئة التي يكيلها لموصوفه بعد ان يعدد مزاياه ثم يستدرك عليها بهذه الصفات المناقضة وهي طريقة امتاز بها هو ، ومن عادته ان يسخر حتى من العيوب الجسدية فاذا وصف الصاحب قال على لسان ابن العميد (احسب ان عينيه ركبتا من زئبق ، وعنقه عمل بلولب) ثم يعلق على ذلك قوله : وصدق ، فانه كان طريف التثني والتلوي شديد التفكك والتفتل ، كثير التعوج والتموج ، في شكل المرأة الموسمة ، والفاجرة الماجنة . (ياقوت 6 ص 201) وقد ترك ابو حيان آثارا في الادب والفلسفة والتصوف منها :

في الادب وما اليه :

1) الامتاع والمؤانسة ، نشر بالقاهرة فيما بين 1932 / 1944 بتحقيق احمد امين واحمد الزين وهو مرجع هام من الحياة الاجتماعية والفكرية في العصر البويهي ، ويتضمن المناظرة المشهورة التي جرت حول اصول النحو العربي بين متى بن يونس وابي سعيد السيرافي ، الى جانب موضوعات اخرى هامة .

2) « البصائر والذخائر » وقد بدأ نشره احمد أمين، واحمد صقر منذ 1953 ويشتمل على عشرة اجزاء كل منها مستقل بمقدمته وخاتمته ، وهو عبارة عن مجموعة مختارة في الادب والفلسفة والتصوف واللغة من غير تنسيق ولا تبويب ، وقد اطلق عليه ايضا اسم : « بصائر القدماء ، وسرائر الحكماء » .

3) « مثالب الوزيرين » نقل منه ياقوت كثيرا في عرض ترجمته للصاحب بن عباد ، وقد جمع فيه عدة نوادر حول مثالب ابن العميد وابن عباد ، ووصفهما باشنع الصفات كالكلب والمتنطع والرقيع .

4) رسالة في علم الكتابة ، وفيها يفصل انواع الخطوط والاقلام والبري وطريقة الكتابة كما يبسط مصطلحات اهل الفن من تدوير وتعريق وتشقيق وتنسيق وتحذيق وغير ذلك، ثم يذكر ما قيل من كلام في الخط الجيد ، ويزودنا باسماء عدد من الكتاب البلغاء والخطاطين الماهرين ولا تتجاوز الرسالة حوالي 20 صفحة من القطع المتوسط ولكنها مفيدة جدا .

5) رسالة في الصداقة والصديق وهي موضوعنا الرئيسي .

ومن كتبه ورسائله في التصوف :

1) الاشارات الالهية وهو مطبوع .
2) رسالة في اخبار الصوفية .
3) الحج العقلي اذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي وفيها يبدو تأثره بالحلاج في بعض افكاره وكان الحلاج قد تزعم فكرة حلول الذات الالهية في النفس البشرية بعد رياضة روحية طويلة وهي فكرة هندية قديمة تسربت الى بعض طوائف الشيعة كالسبائية والحاكمية واثارت نقمة الفقهاء والعلماء كابن حزم وابن الجوزية وابن تيمية .

اما في الفلسفة ، فمن اهم كتبه :

1) المقابسات : وقد ظهرت طبعته الاولى ببومباي 1305 ــ 1887 ثم طبع بالقاهرة ، وهو مجلد واحد يضم ستا ومائة مقابسة تمثل مجموع المذكرات التي سجلها التوحيدي اثر مناظرات ومناقشات كانت تجري في مجلس يحيى بن عدي وابي سليمان السجستاني واحيانا بمنزل الوزير ابن العريض ويحضر فيها علماء من مختلف الملل والنحل وفيهم صابئة ومسلمون ومسيحيون ، كما كان فيهم رياضيون وفلكيون واطباء ومؤرخون ومتكلمون وادباء، وتدور المناقشات حول موضوعات متفرقة في الفلسفة كمشكلة العقل والروح والدنيا والاخرة والخلق واليوم الآخر والزمان والمكان والمادة والعرض

والحركة والسكون والكهانة وعلاقتها بالغيب وتناول الى ذلك موضوعات لا علاقة لها بالفلسفة كالبلاغة والخطابة عند الامم (مقابسة 88) وشرف العلم والمعرفة (92) وعيب هذه المقابسات انها غير مرتبة ولا موحدة الموضوع .

2) رسالة الحياة : التي نشرها ابراهيم الكيلاني تحت اشراف المعهد الفرنسي بدمشق 1951 وتبلغ 30 ص من القطع المتوسط ، وقد تحدث فيها عن اصناف الحياة التي عدها عشرا والاخيرتان منها هما : حياة الملائكة وحياة الله وقد قال عنهما (... فليستا من الاصناف التي يلج الفهم في كنهها) ثم نقل كلمات للفلاسفة كهوميروس وسقراط وافلاطون وابي سليمان السجستاني ، وهي تتعلق بمختلف اصناف الحياة التي استعرضها وناقشها .

3) التذكرة التوحيدية .
4) المحاضرات والمناظرات .
5) الاقناع .

ونخص اليوم بنظرة مفصلة كتاب الصداقة والصديق الذي هو كتاب ادبي قبل كل شيء :

موضوع الكتاب : يدور كما جاء في العنوان حول الصداقة والصديق واقوال الحكماء والادباء وغيرهم في شروط الصديق ومزايا الصداقة وخيانة الاصدقاء وما الى ذلك .

تاريخ تأليفه : الف الكتاب كما جاء في خاتمته نفسها حوالي سنة 400 وكان ذلك بايعاز من ابن سعدان قبل توليته الوزارة اي سنة 371 ـ 981 وبالتالي بعد مرور ثلاثين سنة على هذه التوصية ، وقد كان تأليفه لهذا الكتاب ، نتيجة كذلك ، للظروف العصيبة التي عاشها الكاتب معظم سني حياته كما تدل على ذلك شكواه وتذمره في مختلف كتبه .

دواعي تأليفه : كفانا الكاتب مؤونة البحث عن دواعي تأليفه لهذا الكتاب الذي اورد في مقدمته قوله : « كان سبب انشاء هذا الكتاب ، اني ذكرت منه شيئا لزيد بن رفاعة ابي الخير ، فنماه الى ابن سعدان ابي عبد الله سنة 371 قبل تحمله اعباء الدولة وتدبيره امر الوزارة ، فقال لي ابن سعدان : قال لي عنك زيد كذا وكذا ، فقلت : قد كان ذلك ، فقال لي : دون هذا الكلام ، وصله بصلاته مما يصح عندك ممن تقدم فان حديث الصديق حلو ، ووصف الصاحب المساعد مطرب ، فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها ، وبطؤت انا عن تحريرها ، الى ان كان من امره ما كان ، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة 400 عثرت على المسودة وبيضتها » .

اما الظروف التي تم فيها تأليفه الكتاب ، فقد اوضحها ايضا في خاتمة كتابه ، حتى انه اعتذر بكيفية غير مباشرة عما يكتنفه من مظاهر التشاؤم والنكد ، فضلا عن عدم التنسيق الذي سنلاحظه فيما بعد ، وانتهى فيه معتذرا الى ولي نعمته بقوله :

(فاقبل حاطك الله هذا القدر الذي قد بدأته واعدته ، ونشرته وطويته ، على انك لو علمت في اي وقت ارتقمت هذه الرسالة ، وعلى اي حال تمت لتعجبت ، وما كان يقل في عينك منها يكثر في نفسك ، وما يصغر منها بنقدك ، يكبر بعقلك ، والله اسأل خاتمة مقرونة بخيبة ، وعاقبة مفضية الى كرامة ، فقد بلغت شمسي رأس الحائط ، والله استعين على كل ما هم النفس ووزع الفكر ، وادنى من الوسواس) .

ورحم الله زكي مبارك اذ يقول : (ابتدأ هذا الكتاب بزفرة ، وانتهى بزفرة) .

نشر الكتاب : نشر الكتاب لاول مرة بالقسطنطينية 1301 هـ (1882) بمطبعة الجوائب ثم بالقاهرة 1323 / 1905 واخيرا بدمشق ، بتحقيق السيد ابراهيم الكيلاني .

القدماء وموضوع الصداقة : عالج القدماء قبل ابي حيان موضوع الصداقة شعرا ونثرا ، وحكما او موضوعا مستقلا ، فتناوله الاغريقيون واللاتينيون كسيسيرون (CICERON) في حواره مع صديقه LELIUS ، حتى ان السيد كيلاني في ترجمته للتوحيدي وتحليله لكتبه ، لاحظ التشابه بينما كتبه التوحيدي وسيسيرون ، ففي المحاورة المذكورة يتناول الصديقان مختلف المسائل التي تهم الصداقة من غير ترتيب ويضربان في هذا الموضوع هنا وهناك ، كما ان التوحيدي لم يترك شاذة ولا فاذة في موضوع الصداقة الا تناولها ، فاستشهد باقوال الجاهليين والحكماء على اختلافهم من عرب وغيرهم ، قدماء ومعاصرين .

وتناول بعض شعراء الجاهلية موضوع الصداقة في ابيات متفرقة كما جاء في القرآن آيات كثيرة توصي باجتناب قرناء السوء والتسامح حيال المعادين كقوله تعالى : 1) ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا . 2) ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . 3) ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وقال لبيد بن ربيعة يوصي ابنتيه عند موته :

وقولا هو المرء الذي لا خليله
اضاع ، ولا خان الصديق ولا غدر

وفي العهد الاموي نجد ابن المقفع يتحدث كثيرا في الموضوع في كل من الادب الكبير والادب الصغير ثم كثر عدد الشعراء والكتاب الذين تناولوه في العصر العباسي من غير ان يخصصوه بكتاب مستقل قبل ظهور رسالة التوحيدي هذه ، ومن شعر بشار قوله :

فعش واحدا اوصل اخاك فانه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

الاخوانيات في العصر العباسي : توسع موضوع الترسل في العصر العباسي فشمل ابوابا كثيرة من مدح وشوق واستعطاف وعيادة وتعزية وعتاب ، ودخل جل ذلك فيما يسمى بالاخوانيات التي لها ارتباط وثيق بموضوعنا .

وشؤون الصداقة في القرن الرابع كانت تحتل المكانة المرموقة في علاقات الكتاب بين بعضهم من جهة ، وبين رجال السلطة من جهة اخرى ، وهو عصر تنافس الامراء فيه على ضم اكبر عدد من الشخصيات الادبية البارزة لتشغل مهام التحرير والنسخ والمراسلات الادارية ، ولتشارك في المناظرات والمجالس التي يعقدها هؤلاء الامراء ، كما كان يحدث في بلاط البويهيين والحمدانيين ، وهكذا كانت صلات الصداقة تربط بين رجال الفكر الذين تجمعهم روابط العمل المهني او المجالس العلمية والمناظرات المختلفة ، ومن ثم ، اتسع افق المراسلات فيما بينهم، والكل يعمل على ابداء براعته اسلوبا وادبا وافكارا .

وهكذا فان ابا حيان التوحيدي الذي عاش حقبة طويلة ، عاشر كثيرا من الناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، لان العصر عصر تحرر ديني وفكري شامل ، وكان اكثر الذين رافقهم بطبيعة الحال ممن يمتون الى العلم والادب بصلة ، اما كمثقفين ، او عاطفين على الحركة الفكرية .

غير ان سوء حظ الكاتب ، لم يشأ له ان يكون مرعي الجانب ، اذ كان ضعيف الثقة بنفسه كثير الشك في الناس ، حريصا على ان ينال نصيبه من الدنيا دون ان يوفق الى ذلك ، مع ما كان عليه من نزعة صوفية تناقض طموحه ، وكان لا يحسن المداراة ولا المحافظة على صداقة الناس ، فسرعان ما يسلهم ويملونه ، وهو بعد ، مؤذي اللسان ، كثير التهجم بقلمه مما جعل رجال الدولة يتحامونه ، فضلا عما كان يوخذ عليه من رثاثة الحال وقلة عناية بالمظهر ، وفي هذا العصر تكلم كتاب آخرون في الصداقة ، ومزجوا بين افكارهم الخاصة واقوال حكماء الهند وفلاسفة اليونان والبلغاء والشعراء المشهورين، وممن تناولوا موضوع الصداقة ، الجاحظ في عدد من كتبه ورسائله ، والخوارزمي والهمذاني والصابي في رسائلهم .

مقدمة الكتاب : تمثل هذه المقدمة نموذجا لسائر مقدمات كتبه ، ففيها من رقة الاسلوب ووسائل التشويق ما يغري باتمام الكتاب قراءة وتدبرا ، اذ هو يذكر عادة بواعث تأليف الكتاب ، والشخصية التي اهابت به الى وضعه ، ثم يعتذر عما يراه من قصور بسبب ظروف حياته الخاصة .

وهكذا ابتدا مقدمة ابي حيان في « الصداقة والصديق » :
(بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم خذ بايدينا فقد عثرنا ، واستر علينا فقد اعوزنا ، وارزقنا الالفة التي بها تصلح القلوب ، وتنقى الجيوب حتى نعيش في هذه الدار مصطلحين على خير ، مؤثرين للتقوى ، عاملين شرائط الدين ، آخذين باطراف المروءة ، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين ، متزودين للعاقبة التي لا بد من الشخوص اليها ، ولا محيد عن الاطلاع عليها ، انك تؤتي من تشاء ما تشاء .

سمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة، والالفة ، وما يلحق بها من الدعاية والحفاظ ، والوفاء والمساعدة، والنصيحة والبذل والمؤاساة ، والجود والتكرم ، مما قد ارتفع رسمه بين الناس ، وعفى اثره بين العام والخاص ، وسئلت اثباته ففعلت ، ووصلت ذلك بجملة مما قاله اهل الفضل والحكمة، واصحاب الديانة والمروءة ، ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن ان يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد) .

وبعد ان يذكر كلاما لابي سليمان السجستاني في موضوع الصداقة ، يفاضل بين صداقة الملوك وصداقة التجار ورجال الدين والعلم ، ويقول ان الاولين جلوا عنها ، والتجار همهم الفلس ، واصحاب الدين ربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم اياها على التقوى ، واهل العلم والكتاب قد تصح صداقتهم اذا خلوا من التحاسد ، وهم قليل جدا في ذلك . ثم يخاطب المهدى اليه شاكيا سوء حاله :

(انا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والاسف والحسرة والغيظ والكمد والومد ، وذلك لعلمك بحالي ، واطلاعك على دخيلتي ، واستمراري على هذا الانفاض والعوز اللذين نقضا قوتي ، ونكثا مرتي وافسدا حياتي ، وقرناني الاسى ، وحجباني عن الاسى ، لاني فقدت كل مؤنس وصاحب ، ومرفق ومشفق . . والله لربما صليت في الجامع ، فلا ارى الى جنبي من يصلي معي ، فان اتفق فبقال او عطار او نداف او قصاب) .

طريقة العرض : ليس لابي حيان طريقة منظمة في العرض ، اذ لا توجد عناوين ولا مواد مستقل بعضها عن بعض ، فهو يبدأ بعد مقدمته الطويلة بقوله :

وقبل كل شيء يجب ان تثق بانه لا صديق ، ثم يتمثل بكلام الشعراء والكتاب كابي اسحق الصابي والعسجدي وابي سعيد السيرافي ، وينصح بعد ذلك بالحذر من الاصدقاء لينتقل الى الحديث عن الفتوة والعيارين ثم يعود من جديد الى حديث الصداقة والحث على الصبر ، وبعد ان تحامل على الصاحب نقل

عددا من المراسلات تناولها اصدقاء من الادباء فيما بينهم ، ومتى سمع او قرأ حكمة او قصة في الموضوع نقلها ، ولا ينسى ان يهاجم الصاحب وابن العميد بين آن وآخر .

وبعد ان يبلغ اقل من نصف الكتاب في عرضه الغير المنسق، نلاحظ انه كان يريد ان ينتهي بتأليفه هذا فيقول :

« وقد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق وما يتصل بالوفاء والخلاف والهجر والصلة والعتب والرضا والملق والاخلاص والرثاء والنفاق ، والحيلة والخداع ، والاستقامة والالتواء ، والاستكانة والاحتجاج والاعتذار ولو امكن لكان تأليف ذلك كله اتم مما هو عليه ، واجرى الى الغاية في ضم الشيء الى شكله وصبه على قالبه ، فكان رونقه ابين ورفيقه احسن ، ولكن العذر قد تقدم ، ولو اردنا ان نجمع ما قاله كل ناظم في شعره ، وكل ناثر من لفظه ، لكان ذلك عسرا ، بل متعذرا » .

ولكننا نراه يعود بعد ذلك الى الموضوع الذي يعالجه ، متمثلا على عادته باشعار وحكم ، وقد ينقل عن الصاحب بن عباد وابن العميد بعض اقوالهما ، ويسميهما بذي الكفايتين او ذي الرئاستين ، مع انه يهاجمهما في مواضع اخرى .

وهكذا ينتقل من فكرة الى حكمة ، ومن موضوع في الصداقة الى آخر بعيد عنها ، وحينما يشعر بانه اطال في موضوع الصداقة الذي لم يسبق ان اطال فيه غيره ، يعتذر عن ذلك ، كما يعبر عن آلامه النفسية مباشرة او على لسان غيره .

ومن المسائل الطريفة التي تناولها في رسالته هذه مشكلة الفتوة والعيارين ، واذا كان العيارون ليسوا الا اشخاصا اتخذوا من اللصوصية وسيلة للكسب ، فان مشكلة الفتوة التي شغلت الشرق الاسلامي زمنا طويلا ، لم يستطع احد ان يذكر اصلها في الاسلام او يستفيض في الحديث عنها بما فيه الكفاية ، ومن اهم الدراسات التي خصصت لها دراسة امريكية لجيرارد زاليتفر ترجمت ضمن مجموعة باسم « دراسات اسلامية » ونشرت ببيروت 1960 ويستنتج منها ان معنى الفتوة تطور مع العصور ، وانها اطلقت على منظمات تتحلى بفضائل وتؤدي طقوسا معينة اي ان صبغتها كانت دينية تطوعية للمصلحة العامة ، وقد تركز نظام الفتوة في ايام الناصر بن قلاوون ، حيث كان خاصا بجماعة المتطوعين للجهاد فيما وراء النهر وخرسان ، وكان للفتيان وقف خاص ايام الناصر ومصلحة ادارية ترعى شؤونهم ، وفي ظروف سابقة ، كانت الفتوة قد انحطت الى درجة قيام اصحابها باعمال النهب ايام ركن الدولة البويهي الذي كادوا يطيحون بعرشه .

وقد تحدث التوحيدي في المقابسات عن الفتوة وعدها اعلى صفات الانسان المكتسبة ، ويدخل فيها النجدة والكرم وعلو الهمة وسائر المحامد ، ثم قارن بينها وبين المروءة التي اعتبرها اشد لصوقا بباطن الانسان « لان الفتوة لا تصلح دون مروءة ، ويمكن ان تكون المروءة دون فتوة » وعلى كل حال فنحن لا نستفيد في المقابسات اكثر من تحديدات لا تدل بحق على تطور الفتوة ومعناها في العرف الاجتماعي .

اما في رسالة الصداقة فان ابا حيان ، قد اشار الى الفتوة والعيارين فيما رواه عن ابي عثمان الخالدي اذ يقول : ان عيارا سمع رجلا يقول : اذا عز اخوك فهن . فقال للقائل : اخطأت ، اذا عزا اخوك فأهن سياله . ثم يضيف التوحيدي على لسان ابي عثمان : وانا اقول : لو كان هذا الحكم من رجل نبيه له في الحكمة قدم ، وفي الفضل قدم ، لتأوله متأول على وجه قريب او بعيد ، ولكنه روي عن عيار ، وهذا الرهط ليس لاحد فيهم اسوق ، ولا هم لاحد قوة ، لغلبة الباطل عليهم ، وبعد الحق عنهم ، ولان الدين لا يلتاط بهم ، والفتوة التي يدعونها بالاسم لا يحلون بها في الحقيقة ، وكيف تصح الفتوة اذا خالفها الدين ؟ وكيف يستقر الدين اذا فارقته الفتوة ؟ الدين تكليف من الله تعالى ، والفتوة اخلاق بين الناس ، ولا خلق الا ما هذبه الدين ، ولا دين الا ما هذبه الخلق .

وحاول ان يتملص من الفلسفة بقوله معلقا على كلام ابي سليمان : (... الفلسفة التي هي موقوفة على اصحابها لا نزاحمهم عليها ولا نماريهم فيها) .

ومن هذا العرض القصير نستنتج ان التوحيدي لم يهتم بتنسيق عناصر رسالته والتزام وحدة الموضوع التزاما تاما .

ملاحظات :

1) لا تخلوا الرسالة من روح الفكاهة والسخرية التي طبعت قسما هاما من ادب ابي حيان ، ولو ان فكاهته لا تمثل روحا مرحة طبيعية ، بل هو ينفس عن كربته بنفسه متلذذا بالتهكم على اشخاص آخرين ، فكان بحق ، مصابا بمرض السادية المعروف عند علماء النفس .

وقد ذكر لنا بعض من كان يجالسهم عند الوزير ابن سعدان وهم : علي بن عيسى بن زرعة النصراني ، وابن عبيد الكاتب ، وابن الحجاج القاضي الشاعر ، وابو الوفاء المهندس، ومسكوية المؤرخ ، وبهرام بن اردشير ، وقد وصف هؤلاء واحدا واحدا ، فاسترذلهم جميعا ، واستخف بهم كلهم الا بهرام، فاما ابن ابي زرعة فمتكبر يفاخر بارسطاليس وافلاطون وسقراط وبقراط ، واما ابن عبيد فقد اعمته البلاغة والخطابة عن الانصراف الى غيرها ، وابن الحجاج جمع بين جد القاضي وحياء الثانية الشريفة وسخف الشعر ، وابو الوفاء فنبذ لفظه كونه خراسانيا على الرغم من ظرفه ، واما مسكويه فيسرد بدمامة خلقه ، ما يتكلفه من تهذيب خلقه .

ويروي عن شخص اسمه معمر : (ما بقي من لذات الدنيا الا محادثة الاخوان واكل القديد وحك الجرب والوقيعة في الثقـــلاء) .

2) لا يتحرج ابو حيان من نقل كلام المسيح في رسالته وقد سمعه من بعض النصارى فيقول :

(قال عيسى بن مريم عليه السلام ، فيما حدثنا به ابن الحمل الكاتب النصراني ، لتلامذته : علامتكم التي تعرفون بها انكم مني ، ان يود بعضكم بعضا ، وقال ايضا ليشوع تلميذه : اما الرب فينبغي ان تحبه بكل قلبك ، ثم تحب قريبك كما تحب نفسك ، قيل له : بين لنا يا روح الله ، ما بين هاتين المحبتين، حتى تستهد لهما بتبصرة وبيان ، قال ان الصديق تحبه لنفسك ، والنفس تحبها لربك ، فاذا صنت صديقك ، فلنفسك تصون ، واذا جدت بنفسك ، فلربك تجود .

3) يروي عن شخصيات مختلفة ، فيهـا الفيلسوف والصوفي والاديب والكاتب والشاعـر والمشارك ، واكثـر من روى عنهم استاذه ابو سليمان السجستاني كما روى او نقل عن الحسن البصري وابي سعيد السيرافي وابن عباد وابن العميد وقد كان كل من هذين موضوع تندره احيانا ، فقد وصف مجلس الصاحب بقوله : (وهل عند ابن عباد الا اصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويصايحون ، وهو فيما بينهم يصيح ؟)

ويروى ابن العميد كان ينافسه صديقه حاجب ركن الدولة، وكان يريد ان يزحزحه عن الوزارة ليتولاها هو فكـان ابن العميد يقول : (افكان يجوز لي ان احلم بهذا في النوم ثم اتمتع بالعيش في اليقظة ؟ لا والله .

ومن اطرف ما يذكر بهذا الصدد ان ابا حيان اذا اراد ان يعبر عن رأيه الخاص ، او فكرة في موضوع هـام ، عمـد الى التحدث على لسان شخصية بارزة ، حتى يدعم نظره او وصفـه بكلام غيره ، وقلما نراه يتحدث بلسانه مباشرة ، ولكننا نستطيع ان نكتشف روحه ونفسيتـه بسهولـة حتى من خلال مروياتـه ومختاراته هذا اذا صدقنا ان كل ما يرويه على لسان غيره ليس اكثره او بعضه له .

4) تكثر في الرسالـة الاستشهـادات حـول موضـوع الهجران وما يحدثه من آلام نفسية في الاصدقـاء المهجوريـن فيتمثل بقول شاعر :

اشكـــو الـــى اللـــه جفـــاء امـــريء
مــــا كـــان بالجافـــي ولا بالمـــلـــول

كـــان وصـــولا دائـــما عهـــده
خيـــر الاخـــلاء الكريـــم الوصـــول

ويروي كذلـــك :

مالـــي جفيـــت وكنـــت لا اجفـــى
ودلائـــل الهجـــران لا تخفـــى

مالـــي اراك تبيتنـــي بطـــرا
ولقـــد عهدتـــك تذكـــر الا لفـــا

وقد اورد كثيرا من الاشعار في موضوع الجفاء والهجران .

5) كثير من الشعر الذي يرويه لا ينسبه الى اصحابه ، مما يدل على انه ينقله عن حافظته ، خلافا لاقوال آخرين من حكماء ، واساتذة له او مجالسين ، ومن اجمل ما تمثل بـه في موضوع المحافظة على العهد :

انـــا عبـــد مـــن ارضى مودتـــه
ثـــم الخليفـــة بعـــد ذاعبـــدي

وافـــر ممـــن خانـنـــي فرقـــا
ان الخيانـــة علـــة تعـــدي

<u>محاســن الرسالـــة</u> : المحاسن الرئيسية في هـذه الرسالة هي : 1) حسن الاختيـار ، 2) جـودة الاسلـوب ، 3) استيفاء كل عناصر الموضوع تقريبا ، 4) تصويـر بعـض المظاهر الاجتماعية والحياة الدينية والادبية ، 5) التعبير عـن وجدان الكاتب وميوله الفكرية :

1) <u>حسن الاختيار</u> : معظم المختارات من شعر وحكـم ومسموعات ومقروءات ، لم يتناولها كاتب قبـل ابي حيـان ، وهذه طريقته الخاصة في اكثر مؤلفاته الادبية ، فهو ياتي فيها غالبا ، بما لم يسبقـه اليه غيـره من الموسوعيين ، وفي هـذه المختارات نلمس سعة محفوظاته ومطالعاتـه ، فقـد روى عـن فلاسفة كفيثاغورس وانكسافورس وارسطاطاليس ، وعن متصوفة كبرهان الدينوري وابي المتيم والحسن البصري ، وعن ساسة كجعفر بن يحيى وسهل بن هـرون وابن العميـد ومعاويـة ، وكتاب مسلمين ومسيحيين وغيرهم كالصابي وابن الحمل وسعيد بن حميـــد .

2) <u>جودة الاسلوب</u> : يقدم ابو حيان عناصر رسالته باسلوب شيق ، فيه حسن التصوير ، وعدم التصنع والموازنة بين اللفظ والمعنى ، خلافا لمعظم الكتاب من معاصريه الذين كانـت معانيهم محدودة ، والفاظهم للمعنى الواحد لا يحدها حصر .

ومن السهل ان نميز بين اسلوبه الخاص واسلوب غيره ، فما رواه عن اساتذته او متاظريه او رفقائه كله من اسلوبه ، والباقي يمكن تمييزه باعتبار الزمن ومما ينسبه الى قائله .

ومن اسلوبه الخاص النص التالي : « لقد شاهدت لشيخنا ابن طاهر ، اصدقاء ينطوون لـه على مـودة اذكى من العنبـر

والورد ، اذا لحظهم بطرفه تهللوا ، واذا ناقلهم بلفظه تدللوا ، واذا تحكم عليهم تعجلوا ، واذا امسك عنهم تولوا وخولوا ، وكانوا لا يجدون به ما لا يجدون باهلهم واولادهم رحمة الله عليهم ، فقد كانوا زينة الارض في كل حال من الشدة والخفض واني لاذكرهم فاجد في روحي روحا من حديثهم ، قلت : كيف كان انبساطهم في الاجتماع ؟ قال : ما كانوا يتجاوزون النيلة الحلوة والمزح الخفيف واللفظ اللطيف ، والرمز الرشيق والتبسم المقبول ، واذا افترقوا فانما هم في اهتمام بان يعود نظام عيشهم ، وتدوم لهم مسرة حياتهم ، الكلمة واحدة ، والطريقة واحدة ، والارادة واحدة ، والعادة واحدة ، والوحدة اذا ملكت الكثرة ، نفت الخلاف واورثت الائتلاف) .

3) استيفاء عناصر الموضوع : لم يكد ابو حيان يترك شاذة ولا فاذة لم يتناولها في رسالته حول الصداقة ، فقد تكلم في مزايا الاصدقاء وعيوبهم وفي القطيعة والهجران وحفظ العهد وتضحية الاصدقاء ، وفي العداوة ومكر الاعداء ، وفي النفاق والتزاور بين الاصدقاء والحنين وخيبة الفراق وما الى ذلك .

4) تصوير بعض المظاهر الاجتماعية والحياة الفكرية :

يمدنا ابو حيان بمعلومات قيمة عن بعض المناظرات التي عقدت في عصره في المجال الفكري وعن الطريقة التي كان يعامل بها بعض العلماء ورجال السلطة اصدقاءهم من رجال الفكر والادب ، كما تفيدنا رسالة الصداقة باسماء واقوال كثير من معاصري ابي حيان من رجال العلم والسياسة والادب ، فضلا عن بعض المعلومات في الفتوة والعيارين وغير ذلك .

5) التعبير عن وجدان الكاتب وميوله الفكرية :

على الرغم من ان ابا حيان يختفي وراء شخصيات علمية بارزة ليتحدث على لسانها في موضوعات كالفلسفة والتصوف فنحن نلمس شغفه بالافكار الفلسفية ونزعاته الصوفية ، بل ميوله الادبية التي تمثل اقوى ما في شخصيته الفكرية ، وان الجانب الوجداني ليتمثل في جوانب كثيرة من رسائله كما في مقارنته بين الصديق والمعشوق حيث يقول على لسان جعفر بن محمد : (مناغاة الصديق ، اعبث بالروح ، وانمى على الفؤاد ، من مغازلة المعشوق ، لانك تفرح بحديث المعشوق الى الصديق ، ولا تفرح بحديث الصديق الى المعشوق) .

وابو حيان بارع في التصوير المقارن ، وهذا من اخص ميزاته الادبية فقد قارن بين ميل الرجل الى اهله واحبابه من جهة ، وميله الى الصديق من جهة اخرى ، فالمرء يميل الى والده للتعزز به لان الوالد عضد وركن يعاذ به ويوءوى اليه ، اما الميل الى الوالدة فلشفقتها ودعائها الذي لا يعرج الى الله مثله واما الاخت فلصيانتها والتروح لها ، وابن العم للانتصار به ، وابنة العم لانها (لحم على وضم) ويصبو الى العشيق لان ذلك شيء يجده بالفطرة والارتياح الذي قلما يخلو منه كريم له في الهوى عرق نابض ، ثم قال : اما الصديق فوجدي به فوق شوقي الى كل من نعته لك ، لاني اباثه بما اجل ابي عنه ، واجبا من امي فيه ، واطويه عن امي خجلا منها ، واداجي ابن عمي عليه خوفا من حسد يفقأ ما بيني وبينه .

(فاما العشيقة ، فقصاراي معها ان اشوب لها صدقا بكذب ، وغلظة بلين ، لافوز منها بحظ من نظر ونصيب من زيارة ، وتحفة من حديث ، وكل هوءلاء مع شرف موقعهم مني .. دون الصديق الذي حريمي له مباح وسارحي عنده مراح ، ارى الدنيا بعينيه اذا رنوت ، واجد فائتي عنده اذا دنوت ، اذا عززت له ذل لي واذا ذللت له عز بي ، واذا تلاحظنا تساقينا كاس المودة ، واذا تصامتنا تناجينا بلسان الثقة ، لا يتوارى عني الا حافظا للغيب ، ولا يترامى لي الا ساترا للعيب) .

اما اهم عيوب الكتاب فهو كما سبقت الاشارة اليه : 1) عدم ترتيبه وتبويبه . 2) انعدام وحدة الموضوع في بعض جوانبه .

الصداقة وفلسفة الحب في « المقابسات » :

من المناسب ان يختم هذا التحليل بذكر بعض الاراء التي اوردها ابو حيان في هذا الموضوع في كتابه « المقابسات » حيث عرض للصداقة وفلسفة الحب في خاتمة هذه المقابسات ومن آرائه فيها وهو يتحدث على لسان النوشجاني في محاورة طويلة ضمنها افكارا اخرى :

1) ان الناس تختلف امزجتهم وطبائعهم .

2) الانسان الواحد تختلف طبائعه واخلاقه « لولا الكثرة التي تتوزعه لكنت تجده على هيئة واحدة » اما طلق المحيا كريم الاخلاق والشمائل واما عابس الوجه شرس الاخلاق ولذلك قال ارسطو : « الصديق آخر هوانت » (فبالموافقة يكون احد الصديقين ، الاخر ، وبالمخالفة ، يكون الشخص آخر) .

3) الفرق بين الالفة والصداقة ان الانسان اذا الف باخر فقد اجرى ذلك مجرى الفه للطعام والزي ، واذا صادقه فقد رفع من مكانه وميز قدره .

4) الفرق بين المحبة والعشق ان هذا معناه تشوق بحركة دالة على صبوة المشاكل الى مثله ، واما المحبة فهي على منوال العشق ، مع محاولة الاتصال ، برفع الكلفة . وقد تدرج التوحيدي على هذا المنوال في تعريف الكلف ثم الشغف والمعرفة والعلم ، وانتهى بعد ذلك الى التوحيد .

5) التوحيد اعتراف النفس بالواحد لوجدانها اياه واحدا من حيث هو واحد لا من حيث قيل انه واحد .

6) السعادة ان تعود النفس الى معادها بريئة من كل دنس ، خالصة من كل عارض .

باريس : ابرهيم حركات



من الطريف الكلام على « ام حكيم » وليست هي واحدة في دهر العرب القديم ، وانما كانتا اثنتين مشهورتين ، كل واحدة تدعى بهذه الكنية الجميلة .

واذا شئت الكلام عليهما حسب العصور ، كان من حق الاولى التقدم فقد علقت انسابها فى الجاهلية ، ثم تحدرت الى صدر الدولة الاموية وكانت مفرطة الموهبة بالجمال والتعقل . وكانت امها كذلك ، فسماها الناس الواصلة بنت الواصلة ، لانهما وصلتا الجمال بالكمال ، كما يقول الاصفهاني صاحب الاغاني . وقد اخذ شعراء زمنها يصفونها ، ويصفون امها زينب ، بانهما حازتا البدائع فى حسن التكوين .

وتكون الطرافة شديدة حين تزاحم الخطاب على امها ، وقد كان احد السعداء بها « أبان ابن مروان بن الحكم » احد السابقين الامويين . وكان ممتعا بالجاه والمال ، فاستطاع ان يحوزها ، فولدت له ابنه عبد العزيز ، وقد عاش فى صدور بني امية ومات أبان عنها ، فتجدد الازدحام عليها ، حتى كان عبد الملك ابن مروان الخليفة الاموي من خطابها . ولكن اهلها مالوا عنه الى المغيرة ابن عبد الرحمن ، ففقدت له زوجة تملأ بيته بالعز والجمال والراي الحصيف ، فحقد عبد الملك على زوجها الجديد ، وقال فيه :

« دخل علي فى خطبتي ، والله لا يخطب على منبر ما دمت حيا ، ولا رأى مني ما يحب » .

ويقصد عبد الملك بأنه لن يوليه ولاية قط ، وكان الولاة هم خطباء الامة في شؤون الحكم والدولة.

وتعاورت حوادث فيها الادب وفيها السياسة حتى برزت بنتها « ام حكيم » لتحتل مثل مكانتها في اعجاب الرجال وغيرة النساء ، فتزوج ام حكيم ـ وكان هذا اسمها وليس كنيتها ـ احد حفدة عبد الملك وهو عبد العزيز ابن ابنه الوليد ، وادخل عبد الملك الشعراء على عرسها ليصفوها . فقال الشاعر عدي بن الرقاع فى جمالها شعرا ، وقال جرير شعرا مثله : واجازهما عليه الخليفة .

لكن كثرة الحسان يومئذ اغرت زوج ام حكيم بغيرها ، فطلقها ، فتزوجها هشام بن عبد الملك .

والغريب فى تاريخ هذه المراة العربية الجميلة ، أنها كانت ـ كما يروي أبو الفرج فى اغانيه ، منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لاتكاد تفارقه . وكاسها التي تشرب فيها مشهورة عند الناس وقد احتفظ بها فى خزائن الخلفاء بعدها ، وفيها يقول الشاعر الاموي الوليد بن يزيد :

علِّلاني بعاتقات الكروم
واسقياني بكأس ام حكيم
انها تشرب المدامة صرفا
في اناء من الزجاج عظيم

ولم يفارقني خيال « ام حكيم » هذه ، وقد اشتد تمثلي لها ، وهي ممسكة بكأسها الكبيرة بكلتا يديها ، حين شهدت كأسا روية كبرى ، تعب بها شاربة القوم فى مقصف من مقاصف فيينا فقلت : انها تشرب بكأس ام حكيم .

وفارقني خيالها زمنا ، حين اشتغلت بكتابة شعر الحرب فى ادب العرب وحروب الخوارج وسردت الروائع من بطولاتهم الخارقة العجاب ، فان « ام حكيم الثانية » زوجة البطل العظيم قطري ابن

الفجاءة ، هي التي زلزلت في خيالي صورة سابقتها التي كانت تسمى بهذا الاسم الجميل .

فلقد كانت أم حكيم هذه بطلة مغوارة ، تركب الخيل في الوغى ، وتهجم على العدو ، وتقود المعركة ، وتخوض الدم ، وتقهر الابطال ، وتشعل في صدور الجيش عزائم الهجوم ، هذه كانت شاعرة ، تقول الشعر هاتفة في جوف المعمعة ، فقد شاهدها الابطال ، وبيدها الحسام ، تشد به وتضرب ذات اليمين وذات الشمال ، وسمعوها تقول مترنمة هازجة ، وهي تقاتل :

احمل راسا قد مللت حمله
وقد مللت غسله ورجله
الا فتى يحمل عني ثقله

وقد تمثلتها من خلال هذا الرجز منفوشة الشعر ، عليها الدرع ، تتمنى لو تقدم اليها فتى مغوار فاطاح بسيفه راسها ، لتستريح من تمشيط شعرها الاشعث المنفوش الذي ملت كل صباح ومساء غسله وتسريحه من طول ما حشاه غبار الحرب . ورحت اتمنى أن لو كانت صنعت ام حكيم البطلة ما صنع سيد البطولات العربية على العصور سيف الدولة الحمداني ، الذي كان اذا عاد من المعركة امر بأن ينفض غبارها عن درعه وثيابه ، وكان يجمع هذا الغبار ويلبك بالعسل ، حتى حتى تكونت منه لبنة ، اوصى سيد الابطال أن توضع هذه اللبنة تحت رأسه عند موته في قبره . وكذلك كان ، فانه حين دفن في مدينة (ميا فارقين) الى جانب قبر امه ، توسد تلك اللبنة التي نام فيها الى الحشر ، هذه الوسادة الشريفة ليصدق فيه قول الشاعر العظيم ابي تمام في رثاء بطل المعارك الشرقية (محمد بن حميد الطوسي) :

فاثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت اخمصك الحشر

وكانت ام حكيم الخارجية المحاربة تعمر قلب زوجها « قطري بن الفجاءة » بالحب والحرب فراح فيها يقول ويدوي بشعره الزمان :

لعمرك اني في الحياة لزاهد
وفي العيش ما لم الق ام حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها
شفاء لذي بث ولا لسقيم

وهذا التمني من قطري بن الفجاءة في ان تشهده ام حكيم وهو يصارع الاعداء لترى باسه وتعجب بفروسيته ، شعور بالعظمة تنبعث مواضعه عند المحاربين المشاق ،فوجدتهم جميعا يتمنون ان تراهم معشوقاتهم وهم يجالدون ، لكي يستطيعوا ان يكتسحوا قلوبهن كما يكتسحون الساح في الحروب والمعامع .

وهذه الظاهرة الحربية والنفسية وجدتها لدى الابطال الشعراء في القرون الوسطى ، فالبطل « رودريك الاسباني » يؤثر ان تراه في أوج البطولة محبوبته « شيمين » حتى انه غامر ببطولته هذه فقتل اباها ، وهو يثأر لابيه .

ورحت احار في الحكم على كل واحدة من « ام حكيم » فالاولى جميلة سحارة القسمات ، تواقع عليها الازواج ، هائمين بجمالها ودلالها ، وكانت فتنة النساء في عصرها ، تتلهى بالشراب بكاسها الكبيرة المشهورة .

والثانية محاربة خارجية عاشت على ظهر جوادها في الليل والنهار ، ولم يذكر التاريخ الادبي ولا التاريخ السياسي كيف كانت خاتمة حياتها ، فان زوجها قطري كان يجتاز جسرا فعثرت رجل فرسه فوقع في النهر ، فتراكض عليه اعداؤه حتى قتلوه ، وأما هي فلم اجد لها حسيسا في خبر من اخبار الخوارج بعد ذلك .

وكان قطري يؤثر ان يطيل ذكرها في شعره الرفيع المكين ، فوصفها وهي تبكي شهيدا حربيا في وقعة « دولاب » ولعله كان أخاها ، في تتمة تلك الابيات حيث يقول :

وضاربة خدا كريما على فتى
اغر عزيز الامهات كريم
اصيب بدولاب ولم تك موطنا
له ارض دولاب ودير حميم

وبعد ، فانهما وجهان حبيبان ، سيظلان يلتمعان في خاطري ، ما حييت ، وجه « أم حكيم » الجميلة الشاربة ، ووجه « أم حكيم » الجميلة المحاربة .

دمشق : الدكتور زكي المحاسني

هل كان إليوت آخر الانسانيين ؟؟

بقلم جورج كاناوي   تعريب : الأستاذ محمد السرغيني

شاعر انتاجه مزيج من تقاليد لاتينية وبريطانية ، كان اكبر معجب (بدانتي) ، وكان يعترف بما اسداه اليه كل من (راسين) و (بودلير) و (رامبو) ، كان شاعرا يثير الاعجاب ، وناقدا ومفكرا ممتازا ، فهل هناك غيره ممن نال مثل هذا الحظ من العالمية ؟ .

كان (اليوت (*)) اكثر اوربية من الاوربيين ، فهو لم يكن ليحتفظ باي طابع من امريكا مسقط رأيه .

والحق ان (اليوت) لا يمكن فهمه الا حيث نربطه ببيئته الاصلية (بهارفرد) بذلك المركز الجامعي العجوز ، وبذلك الميراث الثقافي الذي انبثق منها ، لكن ، هل في الامكان ان نرقى قليلا الى ان نصل الى اجداده الانجليز الذين جدد شبابهم بهذا الحفيد ؟ فلا نقف عند (الآباء الحجاج) فقط ، اولئك الاباء الذين لكي يظلوا مخلصين لمعتقدهم ، فانهم بارحوا انجلترا في عهد الملك (شارل الاول (2)) بل نرقى الى هؤلاء الجبليين الشجعان ، الذين اراد (اليوت) الجد ان يزور حدودهم ، بل نذهب الى ابعد من ذلك ايضا ، حيث نقف على هؤلاء الفرسان النورمانديين الذين وفدوا على فرنسا مع (كيوم الفاتح (3) ، (الاليونيين) الذين انتقلت طبيعتهم الحربية وشجاعتهم الى احفادهم المتأخرين .

ان هذا الامريكي الوحيد ذا الاصل العريق ، هو الذي استطاع بصورة تلقائية ان يجعل من انتاجه مزجا بين تقاليد لاتينية وبريطانية ، وان يزاوج بين القوة الطهرية ، وبين مقتضيات الروح الدينية الرومانية ، وان يجمع بين الاساطير البروطانية القديمة ، وبين المطالب الاسرائيلية المؤلمة .

لقد لاحظ (جوته (4)) : « ما افقر انتاج شاعر يستقي كل الهاماته من عمقه الخاص » ، ولهذا فان (اليوت) ما كان ليرى عكس ذلك حين قال : « انه لا شاعر ولا فنان كيفما كان، يواجد حقيقته الكلية في نفسه ، اذ لكي نعطيه معناه ونقيم انتاجه، علينا نقيمه في علاقاته بالشعر والفنانين الغابرين ، اذ لا يمكن ان نقيمه لنفسه . فلا بد لكي نقارنه بآخر او نناقضه معه، ان نضعه بين الاموات ، ان هذا العمل بالنسبة الي ، قاعدة للنقد الجمالي ، وليس نقطة تاريخية ابدا » .

اللقاء مع (ازرا باوند (5))

قدم (اليوت) اوسع دواوينه شهرة ، وهو « الارض الخراب » الى (ازرا باوند) بكلمات مقتبسة من قصيدة للشاعر

---

1) هذه الدراسة نشرت في مجلة : Arts - N° 988. Du 13 au 19 janvier 1965.

2) شارل الاول : ملك انجلترا وايكوسيا ، ولد في 1600 مات 1649 .

3) كيوم الفاتح او الاول ملك انجلترا 1027 / 1087 .

4) جوته شاعر رومانتيكي الماني 1749 / 1832 اشتهر برواية فاوست ، وآلام فرتر .

5) ازرا باوند شاعر امريكي فاشيستي حارب في ايطاليا وعاد الى امريكا حيث اودع في مستشفى الامراض العقلية . مات اخيرا .

(دانتي (6)) ، كذلك فاننا نجده يقترح على (اليوت) عنوانا لاول دواوينه (7) ، وابتداء من سنة 1920 امكن (لباوند) ان يقول عن (اليوت) : « انه من الشعراء القلائل الذين خلقوا لانفسهم ايقاعا شخصيا ، وشكلا يتميز بجرس واسلوب جيدين» .

والحق ان الشاعرين ، وهما ينحدران من اصل امريكي ، كانا قد التقيا في لندن ، ومن سنة 1915 ، كان (اليوت) فقد اشتهر ضمن جماعة الكتاب الناشئين ، المعروفين « بالصوريين » فهو قد وجد في هذه الجمعية التي تأسست سنة 1912 كل التوجيهات والنوع الشعري الذي هو في حاجة اليه ، والواقع ان اهمية (الصوريين) بالنسبة اليه ، كانت تتبلور في نظرياتهم ومنجزاتهم الشعرية أكثر مما كانت تظهر في التوجيهات التي كانوا يصوغونها وسواء في كتاباتهم ام في مناقشاتهم حول جذور هذه الحركة ، التي كان لسان حالها ، مجلة تدعى (الاناني) The Eqoist ولقد انتبه (اليوت آنذاك ، الى ان النوع الشعري الذي هو في حاجة اليه ، ليستطيع تبني اسلوب شخصي ، لم يكن يوجد في انجلترا ، وانما يوجد في فرنسا .

وبدون شك ، (فاليوت) غادر امريكا لانه كان يعتقد انها بيئة تعرقل تطور الشعراء (كبو (8)) لانها عالم ضيق متفكك ، وبعد ذلك بقليل ، اي في شهر يونيو من سنة 1917 صار (اليوت) نائب مدير تحرير مجلة(الاناني) وكان ذلك بفضل (ازراباوند) وبفضله كذلك اكتشف شعراء القرن السادس عشر الايطاليين ، اولئك الذين اكتشفوا لانفسهم اسلوبا جديدا ، كما جعله يكتشف الشعراء التروبادور الجهويين (9) عندما وضع لهم ترجمة فيما بعد ، وتحت تاثير (باوند) كذلك ، اكتشف (اليوت) الكوميديا الالهية (لدانتي) حيث اقتبس منها ابياتا اثبتها في اغلب دواوينه ، وحيث استفاد منها النظام الصوري الذي يتفق مع حالة نفسية معينة ، اطلق عليه اسم « الربط الموضوعي » تلك الحالة التي تجد فيها اهم مفاتيح الهاماته .

ويشرح (اليوت) هذا الربط الموضوعي بانه وضع سلسلة من الحوادث ، تخلق صبغة هذا الانفعال الخاص ، بشكل يجعل العوامل الخارجية التي يجب ان تنتهي الى تجربة حاسية ، تثير الانفعال بسرعة حين توجد .

ولقد كتب (اليوت) عن (دانتي) كثيرا ، وعندما نال الدكتورة الفخرية من جامعة روما ، اعلن بلغة فرنسية : « ان (دانتي) اكبر شاعر لاتيني » ولم يتردد في جعله في مكان اعلى من مكانة « فيرجيل (10) » ثم اعترف بان شيئا ما يدفعه الى اعتباره اكبر شعراء الانسانية ، والحق انه لا احد استطاع ان يقترب من الاسلوب الدانتي ، غير (اليوت) ، وذلك في (ثلاثياته) التي يرسم فيها صورة لقاء ليلي بسيد قديم .

(دانتي) (اليوت) ويقارن : (دانتي الاكبر)

(بشكسبير (11)) فيرى ان الاول اعتمد على نظام فلسفي قبله كله ، في حين ان الثاني خلق نظامه بنفسه ، ويرى انهما بكل بساطة شاعران ، اما اعجابنا بالمادة التثقيفية التي جعلها تتسرب الى شعريهما ، فلم يؤثر في شيء من اعجابنا بشعريهما ولكن الاختلاف بينهما يكمن في ان (دانتي) اعتمد على نظام فلسفي منسجم ، لان الفكر كان منظما وقويا في عهده ، حيث تركز على انسان ذي عبقرية واسعة ، هو القديس (توما الاكويني (12)) ، ولقد تعرض شعر (دانتي) لضربة قاسية بسبب اعتماده على تفكير هذا القديس الجدير بان يحب اكثر منه ، في حين ان (شكسبير) استقى تفكيره من رجال اقل منه شأنا ، هم (سينيك (13)) ، و (ميكيافيللي) ، و (مونتين) .

ويذكر (اليوت) شعر (دانتي) ليستدل به على ان اعظم شعر ، وهو ما يمكن ان ينظم بدون الاستعمال المباشر لبعض الانفعالات مهما كانت ، فهو قد قال : « ان النشيد الخامس في الكوميديا الالهية ، ما هو الا جعل الانفعال الذي يتبع بوضوح من الوضع رهن التطبيق ، ولكن التأثير مهما كان وحيدا ، فاننا نحصل عليه باكبر تعقيد في التفصيل » .

---

6) دانتي شاعر ايطالي ولد في فلورانسا سنة 1265 مات 1321 ترك : الكوميديا الالهية التي تأثر فيها برسالة الغفران للمعري .

7) اسم هذا الديوان : Prufrock and other observations

8) ادغار الان بو شاعر امريكي 1809 / 1849 .

9) هناك التروبادور ، وهم شعراء جهويون في القرون الوسطى في جنوب فرنسا ، وهناك التروفير في شمالها : الاولون كانوا يغنون اشعارهم والاخرون كانوا يصوغون شعر الملاحم ، ويقال ان الاولين اثروا في شعر الزجل الاندلسي .

10) فيرجيل شاعر لاتيني ، اشتهر بالانيادة ولد في 71 مات 19 قبل ميلاد المسيح .

11) وليم شكسبير شاعر مسرحي انجليزي ، اهم رواياته هي : عطيل ، وهملت ، 1564 / 1616 .

12) القديس توما الاكويني من فلاسفة المسيحية في القرون الوسطى 1225 / 1274 .

13) سينيك فيلسوف ومسرحي لاتيني اشتهر بمسرحية فيدرولد 2 م 65 م . ميكيافيللي فيلسوف مؤرخ ايطالي اشتهر بكتاب «الامير» 1469/1527 . «مونتيني» كاتب من الاخلاقيين الفرنسيين 1533 / 1592 .

ويقارن (اليوت) (بودلير (14)) (بدانتي) ، فيلاحظ ان الاول يدخل في شعره كثيرا من المواد القابلة للتلاشي ، فهو حين يقتبس الاشياء المادية لما هو روحي ، لا يبدو مستقيما اذا قورن (بدانتي) ولكنهما يتفقان في مسألة الاسناد والربط ، حيث نجدهما كثيرا في اتتاجهما ، والحق ان بعض اكابـــر الشعراء هم وحدهم الذين يستحقون ان نطلق عليهم اسم الشعراء الاتباعيين ــ وهذا اسم يأباه (اليوت) على (شكسبيـــر) ــ (كدانتي) و (راسين (15)) ، فهما وحدهما اللذين يمكنهما برشد الشعراء الآخرين الى الطريق المتبعة ، ويدعواهـم الى اجتناب الاخطاء ، وفي كل من الآداب الاوربية ، فان ما يكون اكثر قربا من المثل الاعلى في المذهـب الاتباعي ، فانـه من المحتمل ان نجده عند (دانتي) و (راسين) من (رامبو (16)) الى (مـــوراس) :

وفي سنة 1918 اعلن (اليـوت) لائحـة باسماء الشعـراء الفرنـسيين الذين بدوا له جوهريين ، لانهم اكتشفوا اكتشافات لا سبيل الى انكارها ، وكان (رامبو) من بين هؤلاء كما كان (بودلير) ايضا - ويلاحظ ان اشخاص (اليوت) مطبوعـون بميزات استقاها من (رامبو) الشيء الذي يسهل مهمة المقارنة بينهما ، ومقابلا لذلك ، لم يعترف (اليوت) (بملارميه (17)) الذي اثر عليه اكبر تأثير خاصة بعد ظهور كتابه : (اربـــع رباعيـــات) .

وفي هذه الاثناء ، قرر (اليوت) السير في تيار معاكس كرد فعل (للبيت الشعري الحر) ، وذلك حين اقترح حلا هو الرجوع الى نظام قاس ودقيق ، اما من حيث النموذج ، فقد قرر ببساطة الرجوع الى اسلوب (تيوفيل كوتيي (18)) لان فيه فنا رصينا يمثل شكلا من الحقيقة ، ومن هنا كان (اليوت) مدينا لهذا الشاعر .

امـــــراض الادب :

وبالنـسبة الى (اليوت) فان هناك جمالا ادبيا في شكل من اشكاله متميزا جدا عن الكاتب نفسه ، وعن نظامه ، جمال له ما يبرر وجوده وقوانينه ، جمال يجبر النقد على ان يحسب له الف حساب ، ويرى اننا حين نحلل امراض الادب ، فاننا نصير

عمل الفنان الخالق اكثر خفة ، رغم انه نفسه ، لم يشارك علانية في هذا الخلق الواعي للحاضر ، لكن بالرجوع الى الماضي .

ويعتبر (موراس) من بين اساتذة (اليوت) ، لان هذا قدم كتابه الصغير عن (دانتي) الى (موراس) ، وقرأ كتابه : « مستقبل الذكاء » سنة 1910 فاعترف بقيمة افكار صاحبه ، لا في النقد الادبي فقط ، بل حتى في السياسة والدين ايضا ، ولقــد اعلن (اليوت) انه ملكي في السياسـة ، اتباعـي في الادب ، انجلوكاثوليكي في الدين ، وبعد ذلك تطور تفكيره من غير ان يبتعـد عن (موراس) صراحـة ، وهـو وان كـان قد قـرأ (ماريتيا (19)) الا انه كان ينفي عن نفسه الماريتانية والموراسية رغم انه قال عن (ماريتان) بانه يحتفظ له باعجاب شخصـي ، وسواء لطبيعته الموسومة بالقداسة ، ام لذكائه ، واضاف : انه لم ير اتباعيا اكثر رومانسية منه ، ولا توماثيا (نسبة الى تومـا الاكويني) اكثر منه ، ولقد اخذ الفيلسوف والشاعر يتقاربان اكثر فاكثر بعد لقائهما الودي الطويل في لندن سنة 1930 ، وبدون شك ، فان هذا التقارب هو الذي ابعـد (اليـوت) عن صديقه (ازراباوند) الذي عرفنا موقفه اثناء الحرب العالميـة الثانيـــة .

محافـــظ صعـــب :

و (اليوت) المواطن الانجليزي الذي اخلص بكليتـــه اثناء الحرب العالمية في الدفاع عن الوطن ، انكر الافكار التي عرضها في كتابه : Cantos ، تلك الافكار الحائـــرة التي لا تمت بسبب الى موهبته ، واذا اردنا ان نعرف كيف ان نمطين من التفكير متقاربان استطاعا ان يفترقا بشكل ملحوظ ، نشير الى الظاهرة التي اخذت تنمو شيئا فشيئا ، اذ احتلت من حياته حيزا مهما ، وهي مزاولته للطقوس الكاثوليكية بكثير من الالحاح ، وهكذا ، فلا سبيل الى الحديث عنه ، من غير الاهتمام بمعتقده وتطوره الروحي المستمر ، لانه رفض الترفع الثقافي الذي سماه (باسكال (20)) الملذات الحسية للعقل ، ولكنه اذ ذاب في (الانظمة الثلاثة) (الباسكال) ، فهم ان نظام الطبيعة والعقل والرحمة المسيحية عنده غير مستمر ، وان ما سما جدا ، لا يدخل في ما نقل جدا ، وفهـم على الاخـص ، ان رفـض الثقافات الملحدة ، من شأنه ان يمهد لتكوين ثقافة مسيحيـــة جـديـــدة .

---

(14) شارل بودلير شاعر فرنسي اشتهر بديوان (ازهار الشر) 1821 / 1867 .
(15) جان راسين شاعر مسرحي فرنـسي صاحب مسرحية اندروماك 1639 / 1699 .
(16) ارثر رامبو شاعر فرنسي رمـزي ، مؤلف : السفينـة النشوانة 1854 / 1891 .
موراس شارك كاتب وطني فرنـسي 1868 / 1952 .
(17) ملارميه استيفان ، مؤسس المذهب الرمـزي في الشعـر 1842 ــ 1898 .
(18) تيوفيل كوتيي شاعر وناقد فرنسي ، مؤلف قصة القبطان فراكاس 1811 / 1872 .
(19) ماريتان جاك فيلسوف فرنسي قاوم الفكرة البرغسونية ولد في باريس 1882 .
(20) باسكال بليز فيلسوف فرنـسي اكتشف الضغـط الجـوي 1623 / 1662 .

ويظهر ان فكرة (اليوت) تعمقت بدون انقطاع مع الايام فهو قد اجتاز فترة عدم تذوقه (لجوته) ومقابلا لذلك ، شعر بمدى محدودية الفكرة المورامية ، واذا لم يكن قد بذل مجهودا لمعرفة مدى اهمية المسرح ، ومدى غنائية (كلوديل (21)) الذي كان قريبا وبعيدا منه في نفس الوقت — (لكي يجب التنبه الى التناقض الكائن بين الطبيعة الاتباعية والطبيعة الزخرفية Baroque (فاليوت) الذي كان في القديم غير مصيب في حق (فاليري (22)) ، شهد انه كان من بين كل الشعراء ، ذلك الشاعر الاكبر ، والاكمل وضوحا ، واخيرا ، فاذا بقي (اليوت) طويلا قبل ان يتعرف على انتاج (بروست (23)) فانه قال : « ان دراسة (بروست) عن (فلوبير (24)) التي ظهرت سنة 1920 في المجلة الفرنسية الجديدة ، جعلته يكتشف جدوى المنهاج النقدي الداخلي في النصوص ، منهاج كان من الواجب عليه هو نفسه ان يستعمله ، منهاج مناقض لكل النقد التأثري .

واخيرا ، لقد احب (اليوت) الذي كان قبل كل شيء مسيحيا ، ان يسمي نفسه (محافظا صعبا) يرى في التقاليد اكثر تقرب متعنت الى الماضي ، ويعتبر اننا في هذا الماضي ، لا نطيل الا حياة ما يستحق ان يبقى حيا ، ولم يتردد في الايمان بثورية فكرته عن التقاليد المتجددة ابدا ، المتحركة دائما (25) .

جورج كاتاوي

تعريب بتصرف : محمد السرغيني

التعليق للمترجم

---

(21) كلوديل بول شاعر فرنسي كتب كثيرا للمسرح ولد سنة 1868 / 1955 .

(22) فاليري بول شاعر فرنسي عرف بكتابة القصائد الطوال 1871 / 1945 .

(23) بروست قصاص فرنسي مؤلف قصة (بحثا عن الزمن الضائع) 1871 / 1922 .

(24) فلوبير غوستاف قصاص فرنسي مؤلف قصة (مدام بوفاري) 1821 / 1880 .

(25) ترك (اليوت) المؤلفات الآتية :
في الشعر : الارض الخراب — اربع رباعيات — وهما اهم ما كتبه في الشعر .
في المسرح : جريمة قتل في الكندرائية — كوكتيل باري — الكاتب الخاص .
في النثر : ابحاث مختارة — في الشعر وفي بعض الشعراء .

نحن بالنهار سلطان وبالليل اخوان

كانت فواضل الصاحب بن عباد تغمر من في بغداد ومكة والمدينة من أهل الشرف والكتاب والشعراء وأولاد الادباء ، والزهاد والفقهاء .

وكان في مجالس العلماء والادباء ديمقراطيا يقول لهم :
« نحن بالنهار سلطان ، وبالليل اخوان » .

معجم الادباء 6 / 186

نجيب محفوظ

أو الكاتب العربي الذي يكتب عن مجتمعه

للأستاذ : محمد زنيبر

- 5 -

الرواية الواقعية صورة من الوعي الذاتي

تبين لنا من خلال الفصول والامثلة السابقة ، ولو بصورة عرضية ، ان العنصر الاساسي الذي ترتكز عليه قيمة نجيب محفوظ كروائي وكفنان هو اتجاهه لتصوير الواقع الاجتماعي .

ولا غرو ، فالواقعية اصبحت منذ بداية القرن الماضي اي منذ « بلزاك » و « ديكنز » وغيرهما هي المذهب الغالب على فن القصص . وزادها رسوخا واعتبارا انها هي اضمن طريق لاستكشاف الانسان من جميع جوانبه والاطلاع على سائر حقائقه .

فالرواية الواقعية انما تحقق في عمق الاشياء الحكمة السقراطية : « اعرف نفسك بنفسك » او هي ، بالاحرى ، تلتقي مع فلسفة « هيجل » الذي بين في « حدثية الفكر » كيف ان الانسان ينتقل من الوعي بدون تمييز الى الوعي بالنفس الذي يمثل من وجهة الجدلية التاريخية مرحلة اساسية في التقدم العقلي . وبهذا المعنى ، يمكن القول ان الرواية الواقعية تمثل صورة من عودة الانسان الى نفسه والقاء نظرة ثانية على ما مر به الا انها صورة تحررت من التجريديات واعتمدت على الملموسات والمحسوسات ، وهذا ما جعلها تكتسي طرافة وتحتل مقاما بارزا في عالم الفن .

نضيف الى هذا ان الذي اكسب الرواية الواقعية هذه الاهمية هو التحولات العميقة التي عاشتها المجتمعات في اروبا والتي جعلتها تنتقل من عهد الى عهد . وقد تمثل هذا الانتقال في الثورة الصناعية ونمو الرأسمالية واعادة توزيع الطبقات الاجتماعية على شكل جديد وبمفاهيم اخرى .

كذلك كان نشوء وتطور الرواية الواقعية في الظروف الخاصة التي عاشتها اروبا خلال القرن التاسع عشر . فهل نجد في العالم العربي ، وفي مصر بصورة خاصة ، ما يساعد على ظهورها ورواجها ؟

هذا مما لا اشك فيه ، لان بلاد الشرق عاشت هي ايضا فترات من التطور الشامل ، فانتقلت من عهد الى عهد وتفكك المجتمع القديم ليحل محله مجتمع جديد . ولربما اكتسى هذا التطور ، من الجانب الظاهري على الاقل ، صورة اقوى واوضح مما وقع في البلاد الاوربية . فلا ننسى ان التحول كان فجائيا في البلاد العربية وان الركود والجمود الذي اخلدت اليهما طيلة قرون انقلبا فجأة الى تحرك وحيوية .

لقد كانت الاجيال فيما سبق تتلاحق دون ان تختلف مع بعضها في اي شيء ، لا في العقلية ولا في اسلوب الحياة ولا في التقاليد المهنية . فكأن الزمان وقف وكأن سنة التطور تعطلت .

لكن الذين كانوا يعتقدون ان الشرق هو هذه الصورة الراكدة الهادئة ، كانوا واهمين . فخلف ستار السكون كان التاريخ يتحرك ، وما ان دفع عجلته للدوران حتى اخذت تدور وتدور بسرعة تتجاوز حدود الخيال . فاذا جيل اليوم لا يتفاهم في شيء مع جيل الامس ، واذا جيل الغد ينظر باستغراب ممزوج بنوع من الاستخفاف الى جيل اليوم وكأنه يقول له : تعتقد انك خطوت الخطوة الحاسمة ، ولكنك واهم . انك لا زلت في مؤخرة القافلة .

ولكن التنافر بين الاجيال ليس الا مظهرا من مظاهر التغير التي دخلت على التنظيم الاجتماعي . فالمجتمع يفقد الاستقرار الذي كان « يتمتع » به ايام الانحطاط . فالسكان في تزايد مطرد ، وسبل الاسترزاق تتعدد وتتنوع . والى جانب الفلاح والتاجر والصانع التقليديين تظهر وجوه اخرى . فهنالك

صاحب مزارع القطن الشاسعة ، ورجل الاعمال ، والتاجر بالجملة ، ورب المعمل الكبير ، وصاحب السفن ، ورجل الاملاك والعاطل ، والطالب والعامل ، والسياسي المحترف ، والبرلماني المتلمظ ، والموظف المترفع الخ ... كما ان المدن تتحول في حجمها ودورها الاجتماعي . فليس هنالك اي سبيل للمقارنة بين القاهرة ، مثلا في مستهل القرن التاسع عشر وفي وقتنا الحالي . فالعلاقات الاجتماعية تتعقد وتتنوع . والمصير الفردي يتعلق بشبكة عديدة الخيوط تذهب في اتجاهات متباعدة واحيانا متناقضة .

تصوير للانسان يرتبط بظاهر المجتمع ويجتنب باطنه

هذا الواقع الاجتماعي الجديد ، الذي يتمثل في التطور السريع والتباين بين عقلية الاجيال والتعدد في اشكال الناس وطبقاتهم والتعقيد في الاتصال والعلاقات بينهم ، قل من الكتاب، وخاصة الروائيين العرب ، من وقف عليه اهتمامه وخصه بنشاطه وافرغ عليه من فنه صورة تشخيصية حية تجمع بين صدق الحدس وجمال السبك . وبدون ان نغمط شيوخ كتابنا من امثال طه حسين وتوفيق الحكيم حق السبق الى هذا الميدان ، فاننا نعتقد مع ذلك ان نجيب محفوظ قد اخذ مستقره من بين الجميع في احسن مكان . فهو مقتنع اشد الاقتناع بأن الموضوع جدير بأن يفرغ عليه الانسان كل حياته ، وان يحشد له كل قواه الفكرية . فالاهتمام بالواقع الاجتماعي ليس عنده تعريجا من تلك التعريجات التي يقوم بها بعض الكتاب حينما يريدون ان ينوعوا انتاجهم او ان ينشدوا الراحة في الانتقال من لون الى لون . بل انه هو الاساس بالنسبة اليه .

ويزيدنا يقينا بامتيازه في هذه الناحية انه لا يقدم لنا الواقع الاجتماعي على شكل شرائح اختارها بشيء من التحكم والاستبداد ، بل انه يتركنا نلمس هذا الواقع في كثافته الحقيقية ، وفي سائر ابعاده . فهو ملاحظ وملاحظ يتوفر على آلة تصوير قوية ودقيقة ، بحيث يضع اشخاص الرواية واحداثها في مواقع اجتماعية مضبوطة .

ما هي الصورة التي يخرج بها عن المجتمع ؟ وما هو مقدار وصوله الى الحقيقة ؟ وما هو الفن الذي ينشأ عن هذا الرسم الذي يحاول جهده ان يكون واقعيا ؟ ذلك ما سنتصدى الآن للجواب عليه .

قبل الادلاء بالجواب ، يجب ان نلفت النظر الى ان الرواية الواقعية ليس من شأنها ان تكون دراسة علمية للمجتمع ترتكز على منهاج مضبوط وتحليل شامل ، بل هي تحاول ان تقلد الحياة في حركتها وفي عدم انضباطها بحيث لا تعطينا كل اسرارها دفعة واحدة - وانما هي لمحات متسلسلة تكشف لنا في صورها القوية جوانب طريفة من الواقع . وفي الاخير تتكون لدينا من تلك الصور المختلفة صورة اعم واكبر واعمق عن العالم كما يتصوره الكاتب . وهذا اتجاه يفرضه الفن الذي يختلف عن البحث النظري في كونه يريد ان يجمع في كل خطرة من خطراته بين الحقيقة والجمال .

ولذلك فان نجيب محفوظ يندفع بنا من اول وهلة وسط غمرة الحياة ليقف بنا بصورة اتفاقية امام اي بيت من البيوت التي تحفل بها القاهرة ، حيث تبتديء القصة ، قصة اسرة وقصة اشخاص . ومن هناك ينفذ بنا الى الشارع والمقاهي والصالونات والمجامع الخاصة والعامة . فنتعرف بالتدريج على هذا المجتمع المصري ، الذي له ملامحه وسماته .

لكننا نشعر ونحن نتجول معه في القاهرة انه حريص قبل كل شيء على ان يثير انتباهنا للمشاهد الخارجية اكثر مما يريد ان ينفذ بنا الى ما وراء تلك المشاهد . نعم ، انه يحلل نفسية الاشخاص ويصور طباعهم وانفعالاتهم الباطنية . الا ان هذا كله لا يجعلنا نلمس دائما الاسباب الاجتماعية العميقة التي تفسر تصرفهم وسلوكهم . والعطف الذي يشمل به كل ابطاله يميل به الى ابراز جانب الخير في اشخاصهم اكثر من جانب الشر ، الذي هو الجانب المخبوء ، العميق . فكأنه يسايرهم في حياتهم الظاهرية دون ان يتشكك كثيرا في ما تنبيء عنه .

ولذلك ، فنحن لا نجد ، مثلا ، اي كبير اثر لعاطفة الحقد في روايته ، مع ان هذه العاطفة لها في الحياة دور لا يقل عن عاطفة الحب . مما ينجم عنه شيء من الفتور في القوة الدرامية الحوادث وتعارك الاشخاص ، وانما هو تدخل مفاجيء ياتي من الاقدار ، وهكذا نجد رواية بين القصرين « تختتم بسوت فهمي » في مظاهرة وطنية ضد الانجليز ورواية « قصر الشوق » تنتهي بمرض الاولاد الصغار وموت بعضهم . واما « السكرية » فهي سلسلة من الوفيات والجنازات التي تنزل وسط القصة وكأنها لازمة تتردد في انشودة . وبديهي ان الاحداث المستقلة عن ارادة الانسان والبعيدة عن مسؤوليته لا يمكن ان تنفخ في القصة اي روح درامية .

هذا الرداء من الوداعة الذي يلقيه نجيب محفوظ على ابطاله ، يمنعه كثيرا من الغوص على بواطن الاشياء ومن السير مع الحقيقة الاجتماعية الى ابعد مداها . فنحن لا نشاهد ، مثلا ، الدور الذي يلعبه المال في هذا المجتمع المصري الجديد الذي يجتاز مرحلة تحول كبيرة . حقا ، انه يقدم لنا التجار ورجال الاعمال ، ولكنه لا يكشف لنا عن دورهم الاجتماعي ولا يبين لنا وضعهم الحقيقي بين هذين القوتين الكبيرتين اللتين تتصارعان في البلاد : قوة الاستعمار الانجليزي ومساعديه من الحكام والسياسيين ، وقوة الشعب المصري المتطلع الى حريته . وبالجملة ، فهو بدل ان يرسم لنا في حقيقتهم

التاريخية ، يكتفي بأن يصفهم وسط عالمهم الانسانية المنفصلة . انه يراهم كذرات منعزلة ، لا كجزء من مجموع .

كذلك الشأن حينما يحدثنا عن صراع الجماهير ضد الاستعمار . فنحن نسمع جلبة المتظاهرين وهتافاتهم ونحس بهول المعركة وخطورتها ونتأثر لمشاهدها الملحمية ، ولكن اذا اردنا ان نترك هذه المظاهر الخارجية لننفذ الى نفسية الشعب والفئات المختلفة التي تمثله لنرى في اي موقع ينزل هذا الصراع وما هو المغزى الذي يحمله ، فاننا لا نكاد نظفر بشيء . وكنا نود لو ان روح الشعب نطقت في تلك الصفحات البديعة واعربت بشعورها الساذج والصادق عن متناقضاتها وآمالها واوهامها . وهذا ما لم يكن ، لان الشعب ظل كبطل صموت لا يصدر عنه الا هدير غامض لا يفهم .

يمكننا ان نقول ، اذن ، ان نجيب محفوظ يرى الافراد في ذاتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية الظاهرية اكثر مما يحاول ان يكشف لنا وضعهم الاجتماعي الحقيقي الذي لا تعلن الظواهر عنه دائما . وهذا ، طبعا ، جانب من النقص نأخذه على فنه الروائي ، لاننا كنا نود ان ننزل معه الى اعماق الواقع الاجتماعي حيث تبدو الحقيقة الانسانية في كمالها .

واقعية تبرز عبثية الوجود

فاذا عدنا الى المستوى الذي احب ان يظل فيه ، مستوى الفرد والظواهر الاجتماعية ، نجده توفق كثيرا في تصوير الاشخاص والفرق بين الاجيال والمجتمعات الخاصة . ويحمل فنه في هذه الناحية نكهة فلسفية ممزوجة بشيء من السخرية تلتقي مع العبثية او مع الوجودية في احيان كثيرة .

ولنتذكر كيف يقدم لنا الجيل القديم في صورة اشخاص مقبلين بجد على نوع حياتهم معتدين بأنفسهم يحكمون عقولهم في كل شيء ، ويؤمنون بانهم هم اصحاب الرأي السديد ، رغم جهلهم وعزوب الزمان عنهم . الست تشعر ، وانت تنظر اليهم من زاويتك الخاصة ، بشيء من الاشفاق عليهم لانهم يمثلون نوعا من البشر سينقرض عما قريب ؟ الست تتأمل وجوههم كما لو كنت امام تحف اثرية نفيسة تنطق عن ازمان اخرى ويبدو لك ان من الواجب صيانتها ؟

اشفاق يثيره في نفسك ما تشعر به من ان وجود مثل هؤلاء الاشخاص اصبح ضربا من الشحب في هذا العصر الجديد الذي غزا بمنطقه القاسي كل ركن في العالم ، دون ان يترك اي بقعة صغيرة تحظى بشيء من الوداعة وتعيش في ظلال الخيال والشعر . انه عصر اليقظة الكبرى ، عصر وضعت فيه كل القيم في ميزان الشك والنقد .

فاذا انتقل الى الجيل الذي يليه والذي هو جيله ، نشعر بان الكاتب توفق الى حد كبير في تصوير ذلك العالم الجديد الذي يخلقه شباب العصر . وندرك مدى التغير الذي دخل على الاشخاص سواء في طبائعهم او عقليتهم او مشاغلهم او اسلوب كلامهم .. ولكن هل استطاع هذا الجيل ان يعطي معنى لحياته ؟ هل استطاع ان يخرق حجب العبث الذي يحيط به ويسيطر على نفسه ؟

كل الرواية تبرهن من الاول الى الآخر ان لا . الا ان العبث هنا اصبح شعورا يخامر نفس الاشخاص وينبثق في وعيهم ، فهم يعيشون معه في سريرتهم ، خلافا لما كانت عليه الحال في الجيل السابق الذي لم يكن واعيا به وكان يرى لوجوده معنى وهدفا .

ولنلق نظرة قصيرة على قصة كمال ابن السيد احمد عبد الجواد . فهو يتلقى تربية تقليدية متينة الى جانب الثقافة العصرية ، ويبدأ شبابه متشبثا بالدين ، وفيا لتعاليمه ، قائما بفروضه . ويظل كذلك ما دام لم يتجاوز محيط اسرته . وما ان خرج الى المجتمع وبدأ يعاشر اقرانه حتى دخل في تجربة جديدة كانت محكا لشخصيته . وكفاه ان يعيش مغامرة غرامية بريئة انتهت بالفشل ، واطلع فيها على الجانب الشيطاني في الانسان ليمتلكه اليأس ويثور على كل ما تلقاه في تربيته الاولى . ويركن الى الفلسفة عساه يصل منها الى حقيقة جديدة ، ولكنه لا يرتطم الا بالعبث .

لم تعد عليه تجربته الفلسفية باي خير ، حيث لم يجن منها الا الحيرة والتردد امام مشاكل الحياة التي تعرض له . فلا هو استطاع ان يتجه في عمله اتجاها جديا ، فيصبح فيلسوفا حقيقيا يبحث في مشاكل الفلسفة بدون يأس ولا كلل . ولا هو استطاع ان يحافظ على حماسه الوطني ويساهم في العمل السياسي ، كما كان في شرخ الشباب . ولا هو يقدم على الزواج ، مع توفر الفرص ووجود الامكانيات . ورغم انه رجل نقي السريرة ، طيب مع اسرته ومع المجتمع ، فهو يظل اجنبيا عن الجميع يسايرهم ويعايشهم دون ان يشاركهم من قلبه في شيء . فهو معهم لانه لا يستطيع ان يفعل غير ذلك . وهو يظهر

الصدق والاخلاص ، ولكن من نفس سادرة لا تؤمن بأي شيء .

تلك هي قصة كمال . ولعل الكاتب عند ما يعرضها علينا ، اراد ان يثير امامنا مشكلة المثقف في مجتمع متخلف كالمجتمع المصري . فالمثقف عند ما يبلغ حدا من اليقظة والوعي هو الذي يشعر بالمتناقضات التي تحيط به ، وهو الذي يعيش في باطنه ثورة دائمة على الوان الظلم والسخف والفساد التي يراهـا في المجتمع . وهو الذي ينتابه الاحساس بالغربة كلما عاد بفكره الى ذلك العالم المثالي الذي يتصوره من خلال تأملاته ومطالعاته .

حقا ، اراد نجيب محفوظ ان يصـور وضعية المثقـف في البلد المتخلف . ولكنني اعتقد انه ذهب الى ابعد من ذلك . فقد ساقه منطق الحوادث في الرواية الى مشاكل وحقائق اعمـق . انه يضع في شخص كمال مشكلة الوجود الانساني ، فنحن كلما التقينا مع الشخص في فصل من الرواية لا نفتـرق معه دون ان تبقى نقطة استفهام مسطرة في اذهاننا . فالحيرة التي يتقلب فيها كمال منذ ان قضى الشك على يقينه حيرة وجودية . ونحن ونحن نتتبع مراحل القصة ان نجيب محفوظ غير قادر على ان يتخذ موقفا مضبوطا ازاء كمال : اهو معه ام عليه ؟ لا ندري . وكل ما يتراءى لنا هو ان الكاتب يعيش مع كمال في حياتـه الداخلية اكثر مما يعيش مع غيره من الابطال . ولست اشك في انه وضع في شخص كمال ، بأسلوب صقله الفن ، صورة حيـة لبعض المشاكل الفلسفية التي عرفها والتي ما زالت تساور عقله لانها من النوع الذي يستعصي الجواب عنه .

يزيدنا يقينا بان نجيب محفوظ احب ان يسير في هـذا الاتجاه الفلسفي كونه لم يجعل هذا الطابع الوجودي سمة خاصة بكمال ، بل اراد ان يسم به الجيل كله . ويمكننا ان نقول ان روايته تحمل في ثناياها دراسة عن الشبـاب البورجـوازي في مصر . وهي دراسة حرية بان نوجه لها النظر .

(يتبـــع)

ســلا : محمد زنيبــر

« أراه غبـاري ، ثم قـال لـه : الحق »

كـان السري الرفاء من مداح سيف الدولة بن حمـــدان ، ممدوح أبي الطيب المتنبي ، وجرى يوما ذكر ابي الطيب ، وبالمجلس السري الرفاء ، فأطـــال سيـــف الدولـة الثنـاء عليـــه ...

فقـال له الرفاء : « اشتهي ان الامير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائد المتنبي لاعارضها ، ويتحقق الامير بذلك أنه أركب المتنبي في غير سرجـه » .

فقال لـه سيف الدولة على الفور : « عارض لنا قصيدته التي مطلعها :

لعينيك ما يلقـى الفـؤاد ومـا لقـي ✻ وللحـب ما لم يبـق منـي وما بقـي

فقال السري : « تكتبت القصيدة ، واعتبرتها في تلك الليلة ، فلم اجـدها من مختارات ابي الطيب ، لكن رايته يقول في آخرها عن ممدوحيه :

اذا شـاء ان يلهـو بلحيـة احمـــق

اراه غبـــاري ، ثـم قـال لـــه : الحـــق

فقلت : « والله ما اشـار سيف الدولة الا لهـذا البيت » .

حاجة حياتنا الأدبية الى عنصر المرأة

للأستاذ عبد العلي الوزاني

الظاهرة التي تستوقف الباحث في الادب المغربي الحديث ـ من بين الظواهر الاخرى ـ قعود المرأة المغربية عن المشاركة في الكتابة والانتاج . وهي ظاهرة ترجع في اسبابها العميقة الى كون المرأة المغربية لم تلج باب المدرسة الا في وقت متأخر بالنسبة للذكور من المغاربة . وذلك نتيجة للمجتمع الجامد الذي كان ينظر الى تعليم البنت على انه جريمة خلقية ، وتصرف يتنافى مع الوقار ومكارم الاخلاق ، قاصرا المرأة على البيت ، لا تتجاوزه الا للضرورة الملحة . وكان الاستعمار يستفيد من هذه العقلية الجامدة ، فيشجعها وينميها حتى تبقى المرأة المغربية في ظلمات الجهل ، لانها اذا استفاقت من سباتها العميق وخرجت الى الحياة العامة ، وادركت حقوقها وواجباتها ، استطاعت ان تكون جيلا حيا جديرا بتحمل اكبر المسؤوليات ، وفي ذلك خطر عليه كل الخطر . وكانت النتيجة ان الحياة الثقافية في المغرب بقيت مفتقرة الى مشاركة المرأة ، لتساعد الرجل على حمل اعباء الثقافة ـ وما اكثرها واجلها ـ وعلى اداء رسالة الادب الهادفة الى توعية الجمهور والسمو بمداركه الى جو مشرف واسع .

ومع ان هذا التعليل لهذه الظاهرة له وجاهته التي لا تنكر، فالشيء الذي لا سبيل الى الشك فيه ان هذا السكوت من المرأة المغربية وعدم اقتحامها الميدان الادبي ، لا يتناسب مع الفرص التي هيئت لها منذ ان اصبحت تدخل المدرسة ، وتنال الشهادات، وتشغل وظائف الدولة ، الى ان اصبحت تتولى مهمة التربية والتثقيف المدرسيين ، وتساهم في نشر المعرفة بين ابناء الجيل . فنظرا لكونها لم تلج باب المدرسة الا منذ وقت متأخر ، نلتمس لها العذر اذا لم تستطع منافسة الرجل ومجاراته في الانتاج الادبي ، لعدم تكافؤ الفرص بين الطرفين . ولكن هذا المبرر لا يؤخذ به عند ما نرى سكوتها المطلق ، وانصرافها التام عن المشاركة الادبية . ذلك لانها لم تستفد لحد الآن من مؤهلاتها الثقافية ، ولم تتجه بها نحو استقطاب الفن الادبي . فالمرأة المغربية المثقفة سلبية الى ابعد الحدود من الوجهة الادبية لحد الآن ، في حين انها تملأ جهاز الدولة الحكومي ، وتشغل وظائف عديدة في مختلف المؤسسات العامة ، نجحت فيها نجاحا محققا واعطت الدليل على جدارتها بتلك المهام التي اسندت اليها .

فنحن نجدها تقريبا في كل ميدان ، باستثناء الميدان الادبي الذي لم يحظ منها بأدنى اهتمام .

ولعل هناك من يحاول ان يذكرني باسم نسوي واحد او اسمين يظهران في فترات متباعدة في صحيفة من الصحف ، ولكن ما نسبتهما الى مئات النساء المثقفات اللاتي عند بعضهن مؤهلات ثقافية طيبة ، لو وجهت الوجهة الادبية لآتت ازكى الثمرات ؟

هل يفسر سكوتها على انه نقص في الموهبة ، او على انه علامة جمود في الطبع ؟ وكيف يستقيم ذلك للعقل الحصيف ، والواقع يشهد بان المرأة المغربية تمتاز بالذكاء الحاد ، والحيوية الفائضة ؟ وهذه اعمالها في الميادين الاخرى شاهدة على ذلك . فهل في ظرف وجيز استطاعت ـ رغم ما يقف امامها من عراقيل ـ ان تتطور هذا التطور الملحوظ ، وان تحل محل الاجنبيات في الادارة العمومية ، للمساهمة في تسيير شؤون الدولة الى جانب الرجل . وبالرغم من كون تجربتها في ذلك لا زالت في طور التكوين ، فقد خطت خطوات لا بأس بها ، تنبيء بما ينتظرها من مستقبل زاهر في هذا المضمار . وبصفتي امارس مهنة التعليم فاني الاحظ ان الفتاة في مدارسنا الثانوية تنافس الطالب الفتى منافسة قوية ، حتى انها لتظهر عليه احيانا وتنتزع منه الصدارة في الفصل ، الامر الذي يدل على حسن استعدادها وعلى مواهبها الطبيعية الطيبة . نعم قد يكون لشعور التحدي اثر في هذه المنافسة ، ولكن ما كان لها ذلك لو لم تعتمد على استعداد طبيعي حسن .

وقد يعترض معترض بان مسألة الانتاج الادبي مسألة موهبة ، من نوع خاص ، ولو توفر البعض من مثقفاتنا عليها لخضن الميدان الادبي بدافع من الاحساس الفني القوي ، الذي يبحث بطبيعته عن سبيل للتنفس . ولكن هذا الاعتراض غير وجيه ، لانه من غير المعقول الا تعطى كل مثقفات المغرب موهبة ادبية واحدة ، بل انا اعتقد ان هناك الكثيرات من الموهوبات ممن خلقن للأدب والفن ، ولكنهن ساكتات ، هذا السكوت الذي كاد ان يكون تاما ، لعلنا سنحاول ان نتبينها فيما يلي من هذا البحث .

واعراض المرأة المغربية المثقفة عن الميدان الادبي يدخل ضمن ازمتنا الادبية الحالية ، ويخضع للعوائق الكثيرة التي تقف في وجه ادبائنا جميعا . ولكن بالرغم من ذلك فلا شك في وجود بعض الاسباب والعوائق الخاصة بالمرأة المغربية ، الى جانب تلك العوائق المشتركة . وعلى هذا يمكن الحديث عن جمودها الادبي ضمن الحديث عن التخلف الادبي العام عندنا ، ويمكن الحديث عنه باعتبار ظروف المرأة المغربية نفسها ، وامكانياتها في الوقت الراهن .

فانا ارى ان هذا السكوت الادبي من المرأة المغربية له عوامله النفسية التي لا تجحد . فالمرأة عندنا ــ مثقفة وجاهلة ــ تشعر بكثير من العقد النفسية ومن مركب النقص ازاء الرجل ، بحكم ما في نفسها من رواسب انحدرت اليها من الماضي البعيد والقريب ، وجاءت انعكاسا لأوضاعها الاجتماعية التي تحتاج الى كثير من ضروب الاصلاح . فكل العوائد والتقاليد المغربية تنشيء المرأة عندنا ــ منذ طفولتها الباكرة ــ على الشعور بالنقص ، وبأنها اقل من الرجل في جميع الخصال والصفات . ولذلك فهي حتى عند ما تصير مثقفة وربما تفوق بعض الرجال المثقفين علما ودراية ، تبقى تلك الرواسب تعمل عملها فيها ، وتجعلها دائما تشعر بانها دون الرجل في جميع شؤون الفكر والثقافة . واذن فهي لا تجد الشجاعة الكافية للمجاهرة بآرائها متحملة مسؤولتها امام جمهور القراء . والرجل بدوره ربما كان مسؤولا الى حد ما عن بقائها في هذا الوضع لانه لا يحاول ان يشجعها ويشعرها بشخصيتها لاعتبارات مختلفة . ولم توجد عندنا بعد تلك المثقفة الادبية التي تملك شيئا غير قليل من الجرأة يدفع بها الى الانتاج الادبي المتصل ، والى اسماع صوتها للآخرين في عزم وثقة بالنفس ، ولا اقول بغرور مصطنع يجنح بها الى التنطع والقفز الطائشين .

وشعور المرأة بشخصيتها متوقف على التربية المنزلية والاجتماعية والمدرسية التي ما زالت عندنا تنتظر كثيرا من الاصلاح والتعديل . فما دامت التربية عندنا على ما هي عليه الآن ، فلنكن على يقين من ان المرأة المغربية ستبقى دائما تشعر بالنقص الكبير ازاء الرجل ، الامر الذي يكبت ملكاتها ، ويكتم انفاسها ، وبذلك قد تبقى حياتنا الادبية محرومة من ذلك الانتاج النسوي الذي لا غنى عنه في كل نهضة ادبية مرجوة . ولكن لا يفهم من هذا اننا نعفي مثقفتنا من اية مسؤولية ، ونلقي المسؤولية كلها على الوسط ، فلو انها عملت على اكتساب شيء من الجرأة وروح الاقدام والمغامرة ، والنزوع الى التحدي لكان في امكانها ان تكون الآن شيئا آخر في الميدان الثقافي والادبي . ولكنها رضيت بالواقع ، مستسلمة لوضعها الراهن ، مستكينة لقدرها المكتوب .

ولا ننسى في هذا الصدد عاملا آخر في عدم تجرا المرأة على ولوج الميدان الادبي ، وهو ان نساءنا المثقفات لم يكون لحد الآن جمعيات نسوية لها انديتها الخاصة ، قصد مدارسة شؤون الفكر والثقافة وتنظيم الجهود وتنسيقها حتى لا تبقى جهودا فردية مبعثرة . نعم عندنا بعض الجمعيات النسوية ، ولكنها لا تخدم غرضا ادبيا بالمعنى الذي تريده . ولو استطاعت المرأة ان تتكتل في شكل جمعيات ادبية لا تبثق عن تكتلها الشاعرة والقاصة والكاتبة ، ولاستطاعت المرأة المغربية ان تعتمد على سند من بني جنسها في الميدان الادبي ، غير شاعرة بالغربة او وحشة الانفراد ، حتى اذا فرضت احترامها على جمهور القراء ، زايلها مركب النقص او كاد ، وشقت طريقها في صمود وعزم .

وهذا لا يمنع المرأة المغربية من المشاركة في رابطة ادبية تضم الجنسين . فانا انما اريد ان تكتل المرأة في شكل جمعية نسوية محضة من شأنه ان يسند موقفها ويكسبها شيئا من الثقة بالنفس في الوقت الراهن ، حتى تقوى على خوض المعترك الادبي والى جانبها اسماء فلانة وفلانة وفلانة من الاديبات المنتجات ، لتتأنس بها في الحياة الادبية . وبمرور الزمن تاخذ عقدتها في الانحلال ، ثم تنسى انها امرأة تنتج ، ليبقى في ذهنها انها عصب حي في الكيان الادبي ، يسنده ويقويه .

والمرأة فنانة بطبعها ، متعشقة للجمال في مختلف صوره والوانه . تحب الجمال في نفسها وفي الآخرين ، وفي كل ما يحيط بها . ولذلك فهي تعنى بكل انواع الزينة ، وتبدع في تأثيث بيتها ، واعداد مائدتها ، وتهيم بجمال الطبيعة ، تحاكي وروده وازهاره تطريزا على ثوبها ، ووشيا في حللها ، ولها قدرة عجيبة على التمييز بين شتى انواع الجمال ، وعلى ضم الاشباه والنظائر بعضها الى بعض . فلا غرابة اذن اذا كانت المرأة مغرمة بالفنون الجميلة ، تبدع فيها وتجيد بحكم مؤهلاتها الطبيعية من ذوق رقيق ، وخيال جميل ، وعواطف مرهفة . والادب هو ارفع هذه الفنون ، لانه يستفيد من ميزات الفنون الجميلة الاخرى . والمرأة عند ما تتعاطى الادب ، انما تستجيب لطبيعتها الفنية ، وتعيش في مجالها الحيوي . واذكر من الادب فنين على الخصوص ، يستهويان المرأة ، وقد اقامت

الدليل على التمكن منهما في اقطار اخرى قديما وحديثا ، وهما : فن الشعر وفن القصة . فالشعر موسيقى وانغام وأخيلة بديعة ، وعواطف متأججة . والقصة مشاهد من الحياة في نطاقها الواقعي ومجالها الاسطوري . الاول يرضي في المرأة هيامها بالغناء ، والثاني يرضي فيها كلفها بالقص ، وتتبع الاحداث والاخبار في الزمان والمكان ، اذ المرأة قاصة بطبعها ، وجل احاديثها ضروب من القصص ، وفنون من الرواية .

الا ان الملاحظ ان المرأة – وقد يشاركها الرجل في هذا – تعنى بالجمال كمادة ، قبل ان تعنى به كروح ، وذلك تابع لاسلوب تربيتها ، ومبلغ المجتمع من الرقي ، ومقدار ما حصلت من ثقافة . فهي اذا كانت بسيطة الثقافة مالت ميلا كليا الى الفنون التي عمل الجسم فيها اكبر من عمل العقل ، من رقص وغناء وما الى ذلك ، اما اذا كانت متقفة ثقافة عالية ، فانها تستهويها الفنون التي تعتمد على العقل والذهن وكل الملكات الروحيـــــة .

وبناء على هذا ، فنحن عند ما ننظر الى المرأة المغربية المثقفة من هذه الزاوية نجد انها بسيطة الثقافة بالرغم مما قد تكون حاملة من شهادات . فهي لا تقرأ ولا تساير التيارات الادبية والثقافية . وهنا نلتقي مع الكثيرين من المثقفين المغاربة . ولكن مهما كان اهمالهم للقراءة ، فلا شك انها اشد منهم اهمالا لها . ولذلك فهي قد ظهرت في ميدان الرقص وميدان الموسيقى والغناء ، ولم تظهر في الميدان الادبي لحد الآن . لان هذا الميدان يحتاج الى الثقافة الرصينة ، بعكس الرقص والغناء مثلا ، فهما يتوقفان على رشاقة في الجسم او مهارة في الصوت ، ثم يأتي التمرين المستمر ، لاستغلال هاتين الميزتين ، فاذا بنا نرى الراقصة المبدعة ، والمغنية المتفننة . نعم قد تحتاج المغنية الماهرة الى ثقافة ادبية لتذوق الكلام الجميل الذي تتغنى به ، فتؤديه اداء يتفق ومعانيه ، ولكن هذا شيء ، والاطلاع الادبي والثقافي الواسع الدقيق الذي يكون الادبية شيء آخر .

واذا شئنا ان نكون صرحاء مع انفسنا فيجب ان نعترف بان المرأة المغربية المثقفة – نظرا للأغلبية – اذا قرأت فقراءتها قل ان تتجاوز دائرة خاصة ، وهي مجلات الأزياء الجديدة ، واخبار نجوم السنما ، والقصص الجنسية الرخيصة . ومعلوم ان الادمان على قراءة هذه التفاهات والسخافات يجمد الفكر ، ويقتل الموهبة ، ويعطل الاحساس الفني ، ويفسد الذوق الجميل . وهذا الادمان تنشأ عنه عادة عقلية بالغة الضرر ، وهي التعود على النظر السطحي ، وعدم رياضة الفكر ، حتى اذا حاولت المرأة – او الرجل – مرة ان تتناول انتاجا دسما لتقرأه ، عجزت عن الارتفاع الى مستواه ، ولم تقو اعصاب فكرها على فهمه واستساغته ، فترمي به جانبا شاعرة الخيبة والفشل . ظاهرة يلاحظها كل من جلس الى بعض مثقفاتنا ، وهي انهن يعرفن عن عبد الحليم حافظ ، ونجاة الصغيرة ، وبرجيت باردو ، وصوفيا لورين ، وغيرهن من نجوم العين والاذن ، اضعاف ما يعرفن عن شوقي وحافظ والعقاد وطه حسين وتيمور والحكيم وغيرهم من اعلام الادب العربي في هذا العصر ، ودعك من ادباء الطبقة الثانية او الجيل الجديد ، فهن يجهلنهم كل الجهـــل .

وكل من له اتصال ببعض باعة الكتب والصحف والمجلات ، يمكنه ان يعرف نوع الانتاج الذي تستهلكه المثقفة المغربية ، فهو في الغالب لا يتجاوز الاصناف التي اشرت اليها .

ولا شك ان هذه السطحية الثقافية ، وهذا الاعراض عن الادب الرصين ، من الاسباب الهامة التي قعدت بمثقفتنا المغربية – واستعمل الثقافة هنا مع التجوز – عن المشاركة في الصحافة الادبيـــة .

وانا استسمح تلك القارئة الدؤوب المجدة ، والتي ربما قرأت هذا الحديث ، فظنت اني اهملها من حسابي ، واني اتجنى عليها ، فانا انما اتحدث عن الاغلبية الساحقة من مثقفاتنا اللاتي لا تكون نسبتها اليهن الا نسبة واحد الى مائة ، وهي نسبة بالغة الضآلة تكاد تتحول الى عدم عند النظر والتقدير .

فليت حياة مثقفتنا خارج المدرسة تكون امتدادا لحياتهن داخلها ، فهن في المدرسة مجدات غالبا ، متتبعات لدروسهن باهتمام ، ولكن ما ان يغادرن المدرسة ويحصلن على وظائف ، حتى يتغير كل شيء . واعتقد ان من الطلبة الذكور من يتصرفون هكذا بعد مغادرتهم مقاعد الدرس .

ومهما كانت اسباب اعراض المرأة المغربية المثقفة عن الانتاج الادبي ، فانها لخسارة كبرى تصيب حياتنا الادبية ، الا تشارك المرأة فيها ، مساهمة منها في تنويرها واتحافها بالانتاج الجميل . فالمرأة – بوصفها الجنس الآخر – لا بد ان يكون لها رأي خاص في كثير من الشؤون الاجتماعية ، ولا سيما بالنسبة الى مثل مجتمعنا الذي ما زال لم يغير من نظرته للمرأة الا قليلا . فما احوج المرأة الى ان تسمعنا صوتها ولهجتها لتدافع عن حقوقها ، وتقنع المجتمع بأهميتها ومكانتها في الحياة .

والمرأة اذ تنزل الى الحياة الادبية بمؤهلاتها الممتازة ، ومواهبها العالية ، تكون باعثة على انتفاضة الادب وتوجيهه ، محركة لكثير من الهمم ، مثيرة عددا من الملكات . واعتقد ان لو كانت عندنا ادبية واحدة من هذا الطراز ، لكان ظهورها سندا لحركتنا الادبية في سيرها البطيء ، ولربما استطاعت ان تكون كعائشة بنت طلحة او سكينة بنت الحسين في القديم ، او كمي زيادة في الحديث ، ادبية ملهمة ناقدة ، تجتمع حولها

جمهرة من الادباء ، فيتنافسون في التقرب منها هذه المنافسة الادبية الرائعة ، التي لا تعتمد الا على القلم السيال ، والذهن الخصب ، والذوق الجميل . فحقيقة الامر ان الرجل مغرور بنفسه ، ويود دائما ان يكون مقبولا في عين المرأة ، ان لم تقل محط اعجابها ، فهو اذا تعرض للاختلاط بها في الحياة الاجتماعية ، في النادي او قاعة السينما ، او الادارة او اي موضع آخر ، اهتم بهندامه واناقته . وهو اذا اختلط بها في الحياة الادبية اهتم بأناقته فيما ينتج من ادب ، فصاغ ابدع الشعر ، وكتب اروع النثر ، ارضاء لغروره ، واشباعا لرغبته في ان يكون موضع اعجاب المرأة . ومن يستطيع ان يجادل في كون الرافعي والزيات واحمد رامي واحمد لطفي السيد وغيرهم كانوا مدينين للمرأة بجزء مهم من انتاجهم الحافل ، ما كان له ان يوجد ليملأ قلوبنا وعقولنا لذة وامتاعا ، لولا ايحاء المرأة والهامها الشاعر قصيدته والكاتب رسالته او مقالته ؟ .

والمرأة عند ما تتحول الى اديبة مجدة ، تخصص جزءا مهما من حياتها في البيت للقراءة المستمرة ، والكتابة المتصلة ، فتجعل من بيتها موئلا للأدب والعلم ، مرسلا لأشعة الثقافة . ومن ثم فأبناؤه يشبون على اكتساب عادات ثقافية تؤهلهم لغد ناجح . فأكبر ما يجعل ابناءنا لا يميلون الى القراءة ، ولا يجعلونها هواية لهم ، هو انهم ابناء بيوت لا تقرأ ، ولا تجعل الكتب ارفع انواع الأثاث .

ومن هنا ندرك كل الادراك مقدار افتقار حياتنا الادبية الى هذا العنصر الهام : عنصر المرأة ، لتساهم في تطوير الادب المغربي الحديث ، وفتح آفاق جديدة امامه ، ليتفتح وينهض من خموله ، ويلتحق بالركب الادبي الذي لا يعرف التوقف ابدا .

وهنا اهمس في اذن اصحاب الصحف والمجلات ان يدعوا الزهور تتفتح ، بتشجيعهم لكل مثقفة مغربية تستنشق في انتاجها رائحة الموهبة ، ووجدت من نفسها الجرأة على ان تطرق باب الصحافة الادبية ، قصد اذاعة افكارها بين الناس .

وبعد ، فالمثقفة المغربية مدعوة اليوم الى ان تفكر في مستقبلها الادبي تفكيرا جديا ، ملتمسة الوسائل المختلفة لمجاهدة العقبات ، حتى يتأتى لها ان تقوم بواجبها في حقل الادب والثقافة ، كما قامت بواجبها في ميدان العمل والادارة . سلاحها في خوض هذه المعركة ثقافة واسعة تشد من عزمها وتضبط خطواتها على الطريق، وتقيها شرور الزيغ والانحراف، ثم تكتل داخل هيئة ادبية تنسق فيها الجهود . فاذا هي فعلت فما اكثر ما تستطيع ان تقدمه لجمهور القراء من صور الحياة والناس . وما اكثر النواحي الخفية من حياتهم والتي هي اقدر على تصويرها ، بحكم انها المرأة ذات قدرة على فهم قلوب النساء ومشاعرهن ومطالبهن ، وبحكم انها اجتماعية اكثر من غيرها . وتحضرني الآن تلك القصص الشيقة الممتازة التي كانت تقدمها لقراء (الهلال) الاديبة المصرية بنت الشاطئ، تحت عنوان (صور من حياتهن) هذه الصور التي بلورت فيها الكاتبة الألمعية جل المشاكل الاجتماعية والنفسية التي تتخبط فيها بنات جيلها من مثقفات وجاهلات . فلماذا لا تقوم المثقفة المغربية التي تملك حسن الاستعداد بمثل هذا العمل ؟ .

فاس : عبد العلي الوزاني





ابن عربي شيخ الصوفية الاكبر

للدكتور: عبد الله انيس الطباع

في طرف دمشق ، الفرة الخضراء المسبلة هي شيء من دعة وكثير من رفق على هضاب الارض التي استحالت الى غوطة فيحاء طوقت المدينة العربية الخالدة ، وطرزت جنباتها بالحقول النضرة ، وترست فيما حولها شبه دائرة زمردية تتسع كلما انطلقت عن محيطها حتى تضيع على اطراف الارض حيث لا يقوى بردى نهرها اللجيني ان يمدها بدفق من سخائه بعد ان قهرته يد الانسان ومزقته جداول في ارض الغوطة الفيحاء .

قلت في طرف دمشق الفرة الخضراء ينهض مقام الشيخ الاكبر ، والبحر الزاخر في المعارف الالهية ، ومحي الدين ، ابي بكر محمد بن علي بن احمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المشهور بابن عربي .

تعرف المحلة التي ينهض بها مقام شيخ الصوفية القطب بمحلة الشيخ محي الدين ، حيث تقوم في قلب دمشق حياة زاخرة بالحب الالهي والصلاح .

مع غروب شمس كل خميس يلتقي المتبتلون ، والنازحون حول مقام الشيخ الاكبر في حلقات ذكر تمتد الى الليل ، بعد طواف متتال حول المقام الاقدس ، في شبه حركة ولا حركة وعلى صوت واحد عميق متفجر من اعماق النفس التي استكانت واستجابت في كثير من فهم ورجاء الى هذه الادعية المتعالية المطيبة بذكر لله .

لقد احب الشيخ الاكبر الله ، وعشق ذاته الالهية عشقا ، انتهى دون سائر الصوفية الفلاسفة الى تقرير وحدة الوجود ، واخراجها في مذهب فلسفي ، استمده من القرآن الكريم ، والحديث ، وعلم الكلام ، ومن مذاهب فلسفية مختلفة ، كفلسفة المشائين ، والافلاطونية الحديثة ، والعلوم الباطنية والرواقية ، ومذهب الاشراق وغيرها ، وطبع كل ذلك بما كان ينبع في اعماقه من حب وايمان وقد امتزجا بعلم خالص ابدعه ابن عربي وجعله مثله الاعلى في حياته المتبتلة .

كأني بالمؤمنين الذي يطوفون بالمقام يذكرون الله ويذرفون الدمع ، يبتهلون في ادعية حرى كأني بهم وقد اساء اسلافهم الى العلم الاسلامي الشامخ يوم قتله نفر منهم ، بعد شطحه من صوفيته المتدفقة « انتم وما تعبدون تحت قدمي هذه » . ولم يفهموا عنه ما يريد كأني بهم في ادعيتهم وطوافهم وخشوعهم وتقواهم يكفرون عن الخطيئة التي ارتكبوها وهما منهم وجهلا . ليلتئذ في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ستمائة وثمان وثلاثين للهجرة ، الف ومائتين واربعين للميلاد اطبقت عينا الامام الاكبر وقد بدت على البؤبؤ من خلال انفراج يسير في الجفن المسبل صورة حزينة ضاحكة من هؤلاء الذين لم يفهموا بعد منهج القطب شيخ الاسلام ابي بكر محمد ابن علي الحاتمي .

ولد ابن عربي في مرسية مدينة في شرق الاندلس على ضفاف نهر خير ، ونشأ في اسرة غنية موسرة ، وفي بيت حسب وتقى وذهب به اهله وهو بعد طفل الى اشبيلية وهناك قضى سنوات طفولته وصباه ولا بد انه درس علوم الدين والادب دراسة شاملة كما يؤكد المستشرق الاسباني كونثالث بالنسيا ، وفي اشبيلية ايضا قرأ القرآن ، والحديث ، ودرس الفقه على يد احد تلامذة ابن حزم صاحب المذهب الظاهري في الاندلس .

لم يعرف عنه وهو في شرخ الشباب انه كان ميالا الى الزهد والصلاح ويبدو انه كان على غرار ابناء الاعيان والملوك، مترفا في حياته ، مقبلا على الحياة حتى سمع صوتا يهز اعماقه وقد امسك بكأس من راح « يا محمد ! ما لهذا خلقت » . عندها يرمي القدح ، ويخرج مدهوشا وقد كتبت له حياة جديدة بعد ان قضى اياما اربعة في قبر مخسوف ، قرب نهر جار ، لا يخرج منه الا للصلاة .

يؤكد النقاد وفي طليعتهم المستشرق الاسباني آسين بلاثيوس ان ابن عربي منذ ان تزوج بمريم بنت محمد بن

عبدون بن عبد الرحمن الباجي تغير مجرى حياته الشخصي لان امرأته ضربت له المثل الصالح في التقوى والورع .

من المؤكد ان ابن عربي عند ما استكمل عدتـه بعد ان لازم نفرا من الصالحيـن ، ومارس حياة التصوف مع شيـوخ كثيرين ، واخذ عنهـم من رياضات الصوفيـة وعلى الاخص من عجوز تدعى نونة فاطمة بنت ابن المثنى القرطبية ولازمها خادما ومريدا مدة عامين وشاهد بنفسـه ما كان يجري على يدها من ظواهر التنبؤ الغريبـة ، طوف في بـلاد الاندلس والمغـرب وتونس واقام في بجاية وهناك تزوج زواجا صوفيا بكل نجوم السماء والحروف كلهـا ، وفي تونس الف كتابـه « انشاء الدوائر الاحاطية على مضاهاة الانسان للخالق وللخلايـق » . وفيه شرح تصوره المعقد الملتوى للكون بواسطة اشكال هندسية .

في سنة خمسـمائة وثمان وتسعين للهجرة ، الف ومائتين للميلاد توجه ابن عربي الى مكة وجاور فيها وأسر بحب ناظم ابنة ابي خاشة ، امام مقام ابراهيم ، الحـب الذي اوحى اليـه موضوع كتابه « ترجمان الاشواق » .

الف ابن عربي كتبا كثيرة منها : « مشاهد الاسرار » و « رسالة الانوار » و « السياسة الالهية » و « ذخائر الاعـلاق » وهو شرح على كتابه ترجمان الاشواق الذي يعتبر من اشهر كتبه فضلا عن كتاب « الحكمة الالهامية » الذي رد فيه على الفلاسفـة ونقض آراءهم على طريقة الغزالي في كتاب « التهافـت » الى جانب نصوص الحكم ، والفتوحـات المكيـة الذي ضمنه كـل ارائه ومذهبه وقدم فيه فلسفته في الفقه والشريعة الاسلامية .

في دمشق ، البلد الذي انتهى اليه ابن عربي قدر له فيـه ان يرى الذات الالهية وفيها قدر للعالم الاسلامي الشامـخ ، ان ينتقل الى الملأ الاعلى ، الى السماء .

الدكتور عبد الله انيس الطباع

ليس احترام مكة مقتصرا على المسلمين ، بل، وانما احبتها العرب في الجاهلية كذلك ، نرى ذلك في قول مضاض بن عمرو حين يحن اليها عندما نفته خزاعـة مـع قبيلته ، فاشرف عليهـا مـن جبـل وقـال :

كـأن لـم يكـن بيـن الحجـون الـى الصفـا
أنيـس ، ولـم يسمـر بمكـة سامـر

واستطـرد فقـال :

وسحـت دمـوع العيـن تبكـي لبلـدة
بهـا حـرم أمـن ، وفيهـا المشاعـر

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

- 3 -

جيـــل ثـــان :

قبل محاولتنا الحديث عن احفاد جيل 98 ، نرى انه لا بد ـ حتى تكتمل الحلقة ـ من التعرف على نهضة ثقافية وفكرية شهدتها اسبانيا ، في مطلع هذا القرن ، وتألف من بناتهـا جيل آخر اعقب جيل 98 ، فسماه بعض النقاد « الجيل الثاني »، وسماه آخرون « الجيل الوسيط (*) » ، وقد لاح هذا الجيـل في آفاق الحياة الثقافية والفكرية والادبية عند ما كان افراد 98 ليسوا مستعدين لان يكونوا آباء ـ بمعنى الاشراقي التوجيهي ـ لأحد من الناس ، ذلك لانه اذا كان من بين العناصر المكونة للاجيال عنصر « الزمنية » فان اعضاء هذا الجيل عاصروا وعايشوا زعماء 98 ، ومؤرخو الادب الاسبانـي الحديـث يذكرون بان الاعمال الادبية الاولى التي سالت بها يراعة الكاتـب الكبيـر اورطيكا ايكاسيط ، وهو احد اعلام الجيل الثاني ، يرجـع تاريخها الى سنة 1902 ، وهي بذلك قد تكون سبقت او عاصرت الاعمال الاولى التي كتبها كل من « فايي انكلان » و « باروخا » و « أثورين » وغيرهم من زعماء 98 (*) .

ومن ثم ينكر بعض النقاد وجود الجيل الثاني ، ويزعمون بان الجيل الذي اعقب جيل 98 هو جيل الاحفـاد ، ولا وجـود لجيل ثان او وسيط ، واما الاعضاء الذين يضمون تحت لواء هذا الجيل فهم في الواقع ليسـو الا افـراد من 98 ، ولكن الذيـن يعترفون بوجود الجيل الوسيط كحقيقة ثابتة في تاريخ الادب الاسباني الحديث لا يعيرون كبير اهتمام لعنصر « الزمنية » الذي رأينا انه ينفي وجود هذا الجيل ويعتبر اعضاءه افرادا من 98 باعتبار انهم عايشوا هؤلاء وعاصروهم ، ويذهبون الى القول بان التكوين الثقافي لأفراد هذا الجيل ، وهو احدى مميزاتهم الواضحة ، الملموسة ، لا يمت لأعضاء 98 باية صلة .

لقد اتجه افراد الجيل الثاني الى «الاوربية» Europeismo واذا شئنا اصطناع لغة الاقتصاديين قلنا بان هؤلاء استوردوا من اوربا لوطنهم الثقافة الرفيعة والفكر العميق ، وحقيقة ان سابقيهم من زعماء حركة التجديد وجيل 98 اتجهوا هم الآخـرون الى نبع « الاوربية » ، يغترفون منه ، اذ اندفعوا خارج حدود البلاد يبحثون عن غير الموجود في الداخل ، بيد ان الذي يلفت نظر لباحث هو ان اطلاع الوسيطين على الثقافة الاروبية ومعرفتهـم بها بلغ من العمـق والشمول درجـة لم ترق اليهـا محاولات السابقين في ذلك المجال ، ومضرب المثل في هذا الكاتب العملاق اورطيكا ايكاسيط ، فهو قد اقام في المانيا سنوات ، تعمـق ـ اثناءها ـ في ثقافة هذه البلاد وتبحر في فكرها ، ودعاه ذلك الى ترجمة اشهر المفكرين الالمان ، وبفضل اورطيكا ايكاسيط جعل الكتاب الاسبان يهتمون بالافكـار وكانـوا من قبلـه لا يهتمون الا بالاحاسيس وتلمس الاشياء ، وليس يعني تعمـق ايكاسيط في الثقافة الالمانية وتبحره في فكرها جهله لانحـاء اخرى من الثقافة الاوربية ، فهو قد اقترف من الثقافة الفرنسية ولم ينس نصيبه من الثقافة الانجليزية ، ومثله اغلب افراد هذا الجيل ، فقد كانوا جميعهم جامعيين ، شبابا اساتذة ، تحركوا بثقة واعتداد في عالم الثقافة عارفين « الى اين يذهبـون ومـا يريدون » .

وهكذا نرى انه اذا كان العنصر الزمنـي قـد قارب بين هؤلاء وبين جيل 98 وجعل موضوعاتهم مشتركة ، فان العنصـر الثقافي باعد بينهم وبين افراد 98 ، وجعل تأثيرهم التاريخي والاجتماعي ارحب واعمق من تأثير سابقيهم .

واذا كان جيل 98 قد اعطى ، بحتمية عظيمة ، للغنائية الاسبانية قمما شديدة الروعة ، فائقة الجمال ، وكذلك فعـل

(*) سموه بهذا الاسم لانه عاش بين جيلين : جيل 98 وجيل الاحفـــاد « 20 ـ 1936 » .

(*) انظـر : G. T. Ballester, Panorama de la Literatura espanola contemporanea, T. I, p. 235.

احفاده ، فان الجيل الوسيط لم يترك لنا رصيدا غنائيا يحسد عليه ، ولعل ذلك يعزى الى عمق الثقافة وشمولها عند اغلب افراده ، فهي التي قادتهم الى البحث الادبي والتاريخي والنظر الفلسفي والفكري ، فهو ، اذن ، جيل من المفكرين والبحاث والقصاصين الذين تميزت الرواية الاسبانية عندهم بالعنصر الفكري والنظر الفلسفي وليس جيلا من المسرحيين والشعراء الغنائيين ، فالباحث عن مساهمة هذا الجيل في المسرح لا يلفي شيئا يذكر غير الاعمال المسرحية التي كتبها كومس دي لاسرنا Gomes de la Serna (1891) والمسرح الاجنبي الذي ترجمه الى الاسبانية ريكاردو بيقة وافكار حول الفن المسرحي كان ينشرها بعض افراد هذا الجيل ، كما نجد عند اورطيكا ايكاسيط ، واما النشاط الغنائي لأعضاء هذا الجيل ، فهو لم يواز — كما وكيفا — قمم خوان رامون خمنيث والاخوين ماتشادو من جيل 98 ، وفيشنطي اليكسندري وخيراردو دييكو وفدريكو كارسيا لوركا من الاحفاد .

وطالما ان النثر هو الميدان الذي يصول فيه الفكر ويجول، فالمقالة كانت هي القالب الادبي ، السيد والمفضل عند هذا الجيل، ومن ثم توفرت للنثر الاسباني عوامل الارتقاء واسباب التطور ، فوجد كتاب ناثرون من امثال اوخنيو دأرس وكابرييل ميرو واورطيكا ايكاسيط وبريس دي ايالا « ارتفعوا بالنثر الاسباني الى قمة لم يكن لها مثيل منذ القرن السادس عشر (*) » .

اعضاء هذا الجيل :

1 — المقالة: Ensayo منويل اثنيا Manuel Azana (1880 — 1940) اوخنيو دأرس Eugenio D'Ors (1882 — 1954) (*)خوسي اورطيكا ايكاسيط José Ortega y Gasset (1883 — 1955) امريكو كاسطرو Americo Castro (1885) منويل كارسيا مورنطي Manuel Garcia Morente (1886 — 1942) سلفادور دي مادارياكا (*) Salvador de Madariaga (1886) كركوريو مارانيون Gregorio Maranon (1933 — 1960) فرناندو فيلا Fernando Vela (1888) بدرو مورلاني ميشلنا Pedro Mourlane Michelena (1888 — 1955 ، كوربوس باركا Corpus Barga

ب — البحث التاريخي والادبي : La investigacion historica y literaria

منيندث ايلايو Menéndez y Pelayo — منيندث بيدال (*) Menéendez Pidal مكيل اسين Miguel Asin — ادلفو بنيا سان مرطين Adolfo Bonilla San Martin خوليو (*) كاسارس Julio Casares (1887) — مكيل ارطيكاس Miguel Artigas

اكوسطين (*) كونثاليث دي امثوي (1881 — 1958) Agustin Gonzales de Amezon انخيل (*) كونثالث بالنثيا (1889 — 1949) — فدريكو (*) دي انيس Federico de Onis (1885) .

ج — قصاصون وروائيون Novelistas y Narradores

كابرييل ميرو Gabriel Miro (1879 — 1930) — بريث دي ايالا (1880 . 1962) فيثنطي ريسكو Vicente Risco (1884) خوليو كامبا Julio Camba (1882) — وثيسلو فرنانديث فلوريث Wenceslao Fernandez Florez (؟ 1884 2) اوخنيو نوال Eugenio Noel (1885 — 1936) — رامون كومث دي لاسرنا Ramon Gomez de la Serna (1891) طوماس بوراس Tomas Borras (1891) .

د — شعراء غنائيون Poetas liricos : ليون فليبي Leon Filipe (1884) — مورنو فيا Moreno Villa (1889 — 1954) — رامون دي باسطرا Ramon de Basterra (1887 — 1928) .

(*) انظر : G. T. Ballester, Panorama de la Literatura espa nola contemporanea, T. I, p. 238.

(*) هو ابن الكاتب الشهير اورطيكا مونيا Ortega Munilla

(*) هو احد الكتاب الاسبان الذين ذاع صيتهم خارج اسبانيا.

(*) يعد من اشهر الدارسين الاسبان على الاطلاق في العصر الحديث ، حاز خمس عشرة دكتوراه من مختلف الجامعات ، وله في رفوف المكتبة الاسبانية عدد من الكتب ، في شتى انواع المعرفة ، يربي على السبعين .

(*) اشتغل بالنقد الادبي ، ثم اتجه مؤخرا الى الاشتغال بفن تأليف المعاجم Lexicografia واعظم عمل قام به في هذا المجال هو تأليفه : المعجم الايديولوجي للغة الاسبانية . Diccionario ideologico de la Lengua Espanola

(*) ناشر وناقد للمؤلفين الكلاسيكيين ، درس الكاتب المسرحي لوبي دي فيكا وكتب عن حياته وادبه ، واهم عمل اصدره عن هذا المسرحي الفذ هو : لوبي دي فيكا في رسائله Lope de Vega en sus cartas .

(*) تلميذ اسين بالثيوس ، نشر كتابا عن : « تاريخ اسبانيا المسلمة » Historia de Espana musulmana وكتابا آخر عن : « تاريخ الادب الاسباني العربي » Historia de la Literatura hispano-arabiga

(*) ينتمي الى مدرسة منيندث بيدال ، وبجانب بحوثه التاريخية اثرى ميدان الدراسات الادبية ، ومن كتبه : «مقالات حول معنى الثقافة الاسبانية » .

يضاف الى اولئك مجموعة الشعراء العنادل Poetas Canarios وهم على التوالي : الونسو كيسادا Alonso Quesada وطوماس موراليس Tomas Morales وفرناندو كونثاليث Fernando Gonzalez وخوسي دل ريو سانث José del Rio Sanz

جيل الاحفاد :

وهو اسم اطلقه على هذا الجيل الكاتب الفيلسوف مكيل دي اونامونو ، وهو قصد بذلك الى ان افراد هذا الجيل احفاد له ولمن عاصره من كتاب وشعراء جيل 98 ، لانهم غرس طيب من اغراسهم ، وغصن مزهر تدلى من دوحتهم .

ويتحدث الاستاذ الشاعر الناقد دالسو ألونسو في فصل عقده عن هذا الجيل في كتابه : « شعراء اسبان معاصرون » Poetas espanoles contemporaneos فيذكر بان جيل الاحفاد لم يظهر في الحياة الادبية والثقافية عقب كارثة وطنية كتلك التي ظهر على اثرها جيل 98 واعطت الامل لتفكير افراده ، وانما ظهوره كان نتيجة صداقة ربطت بين مجموعة من الشعراء والكتاب فقاربت بين آرائهم وافكارهم وجعلتهم يشتركون في الاغتراف من منابع متشابهة ، فتناظرت ثقافتهم ، وتشابه الهامهم ، وجاء شعرهم متضمنا للعقلية التجريدية ومصوغا في قوالب استوحوها من الادب الشعبي القديم .

ولقد رأينا ان الجيل الوسيط الذي اعقب جيل 98 كان يتألف في الاغلب ، من المفكرين الذين انصرفوا ، تحت تأثير ثقافتهم الواسعة ، العميقة ، الى كتابة البحث التاريخي والادبي والفكري . او تدبيج روايات فكرية خالصة ، وبذلك لم تتحقق للغنائية الاسبانية طفرة ، اي طفرة ، على يد افراد من هذا الجيل ، غير ان احفاد 98 استطاعوا ان يتموا تشييد الصرح العظيم للغنائية الاسبانية الحديثة ، ذلك الذي وضع لبناته الاولى زعماء التجديد وزخرف جدرانه وزينها بأروع الصور واجملها، افراد 98 . وان العطاء الذي قدمه هؤلاء الاحفاد للغنائية والايادي البيضاء التي اسدوها اليها هي التي لفتت انظار مؤرخي الادب الاسباني الحديث ونقاده ، فتحدثوا عنها بشيء غير قليل من الاكبار والاعجاب ، وهذا الاستاذ ك. طورنطي بايطير يصف فترة حياة هذا الجيل بانها « تعد فريدة من نوعها في تاريخ الغنائية الاسبانية ، وفترة يمكن ان توازي في غنى وثراء شخصيتها بأوائل القرن السابع عشر (✶) » .

وكيف لا يكون الامر كذلك وقد شهدت الفترة التي عاشها هذا الجيل مولد دواوين شعرية رائعة من مثل : « Presagio ودأمس الفرح Vispera del gozo لبيدرو ساليناس ، وقصائد خالصة Poemas puros) و (الريح والشعر El viento y el verso) لداماسو الونسو ، و (اغنية الزوجة El romancero de la novia) و (واشعار انسانية Versos humanos) لخراردو دييكو ، و « انطباعات ومناظر Impresiones y paisajes) و (كتاب القصائد Libro de poemas) و (واغان غجرية Romancero gitano

و (قصيدة الى والت ويتمان Oda a Walt Whitman) لفديريكو كارسيا لوركا ، و (بحار في الارض Marinero en tierra) و (والعاشقة La amante) و (فوق الملائكة Sobre los angeles) لرفائيل البرطي و (التدمير او الحب La destruccion o el amor) و (سيوف كشفاه Espadas como labios) لفيثنطي اليكسندري ، وغير هذه من دواوين الشعراء الآخرين كخورجي كيلين ولويس ثرنودا ومنويل الطلاكيري واميليو برادوس وخوسفينا دي لاطوري وغيرهم (✶) .

واذا كان بعض النقاد يذهبون الى الزعم بان نشاط جيل ادبي انما يقاس بعدد المجلات التي يصدرها ، فان حياة هذا الجيل قد شهدت ميلاد مجلات يخطئها العد ، وبالرغم من ان اغلبها لم يعمر طويلا فهي ، مع ذلك ، تعكس النهضة العظيمة التي تحققت للشعر الاسباني في تلك الفترة من الزمن ، وان القارىء الباحث ليعثر في كل عدد من اعداد تلك المجلات على شاعر مجيد وقصيدة رائعة .

ومن اهم المجلات التي عمرت طويلا ، وكان لها تأثير شديد في الحياة الادبية باسبانيا المعاصرة : مجلة الغرب Rebista de Occidente وكان يشرف عليها الكاتب الناقد الاستاذ اورطيكا ايكاسيط ، وقد نصب نفسه على صفحاتها — كما يقول الاستاذ ك. ط. بايطير (✶) — دليلا ومدافعا عن الجيل الجديد ، وتاتي بعدها في الاهمية : « الجريدة الادبية La Gaceta literaria » ، وكان يتولى الاشراف عليها الاستاذ الكاتب خمينيث كابايرو ، وفي الدرجة الثالثة من الاهمية تاتي مجلة : Cruz y Raya (زائد وناقص — او — له وعليه) .

✶) انظر G. Torrente Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, T. I, p. 297

✶) انظر : Gerardo Diego, Poesia espanola contemporanea (antologia), p. 559 y sig.

✶) انظر : G. T. Ballester, Panorama de la literatura espa nola contemporanea, T. I, pK 289.

واذن ، فنحن امام جيل غنائي عظيم ، استطاع افراده بالتفافهم حول علم الشاعر الفذ لويس دي كونكورا اي اركوطي واستلهامهم لشعراء الاغاني القدامى واقتفائهم خطوات شحرور كاستليا انطونيو ماتادو ، وترسمهم آثار طائر « مغير » الغرد خوان رامون خمينيث (✶) : استطاعوا نتيجة لكل ذلك ان يقدموا لمحراب الغنائية الاسبانية عطاءات هي من اروع واعمق ما سالت به حناجر الغنائيين ، وانبجست به نفوسهم في كل زمان ، وفي كل مكان .

والواقع ان اروع قسم من الغنائية الاسبانية الحديثة يمثل خوان رامون خيمنيث الحجر الاساسي في بنائها الشامخ ، فهو قد احتله مبكرا بالمدرسة الحديثة ، تلك التي كان روبين داريو زعيما لها واماما ، ثم لم يلبث ان نفض عن قلمه التزاماتها وآثارها ، ليضحي الابن المفضل لجيل 98 ، والرائد الاستاذ لجيل الاحفـــــاد .

ومن اجل ذلك كان تأثير خوان رامون خمنيث قويا ، عميقا في افراد هذا الجيل من امثال الشاعر بدرو ساليناس الذي يقول عنه خيراردو دييكو في كتابه : « الشعر الاسباني المعاصر ـ منتخبات ـ » بأن اسمه ظهر ضمن اتباع مدرسة خمنيث منذ سنة 1920 ، والشاعر رفائيل البرطي الذي يحدثنا عن الشعراء الذين اقتفى آثارهم وتوهج الاعجاب بهم في اعماقه ، فيقول : « ان الشعراء الذين استفدت منهم وما ازال احفظ لهم اعجابـــا عميقا ، هم : مكيل فيثنطي والرواد المجهلون للاغاني الاسبانية وكارسيلو وكونكورة ولوبي وبيكير وبودلير وخوان رامون خمنيث وانطونيو ماتادو (✶) » .

ومن الذين تأثروا بخمنيث فيما انشأوه من ادب وشعر، الشاعر دامو الونسو الذي يعترف بان شاعر مغير هو اعظم بطل في عالم القوافي اقتدى به (✶) ، ومنهم ايضا خورجي كيليـن وفيثنطي اليكسندري وخيراردو دييكـو ، واميليو پـرادوس ومنويل الطولا كيري (✶) الذي يقول : « ان شعري يبـدو متأثرا ، بالدرجة الاولى ، بشعر خوان رامون خمنيث » .

ومنهم ايضا ، الشاعر الغرناطي العظيم فديريكو كارسيا لوركا ، الذي تأثر بنرجسية خمنيث الروحية ، فترقرقت في اعماله الادبية .

وبالجملة ، فان اغلب الاحفاد تفيأوا ظل سنديانة الشعر الاسباني المعاصر ، خوان رامون خمنيث ، وتزودوا من بيادره بزاد غير ضئيل .

على انه تنبغي الاشارة الى امرين :

اولهما ، هو ان هؤلاء الشعراء الاحفاد اذا كانوا يعدون تلاميذ لخمنيث ، وهم كذلك بالفعل ، فانهم استطاعوا ان يثبتوا شخصيتهم المستقلة فيما كتبوه من ادب ، وانشأوه من شعر .

واما ثانيهما ، فهو ان ما ذهب اليه بعض الكتاب (✶) من انطونيو ماتادو يعد تلميذا لخمنيث امر ليس تنهض بـه الحجج الساطعة ، القاطعة ، وآية ذلك ان كـلا من الشاعرين ، خمنيس وماتادو ، يعدان ، معا ، تلميذين للشاعر الكبير روبين داريو ، وهما ، معا ، القيا البذار الذي نبت وارتفع بشكـل رائع حول علم كونكورا او تحته على حد تعبير الاستاذ جان كامب . وعلى ضوء هذه الحقيقة يصح القول بان اولئك الشعراء الاحفاد كما يعدون تلاميذ لخمنيث يعدون تلاميذ لأنطونيـو مـاتـادو .

✶ ✶ ✶

ولكن ، هل اقتصر نشاط افراد جيل الاحفاد على العطاء الغنائي ، ام كانت لهم صولات وجولات في غير هذا المجال من مجالات الانواع الادبية الاخرى ؟

ان الذين تصدوا للحديث عن هذا الجيل يؤكدون جميعهم بان افراده ، اقتحموا بعنف ، الحياة الثقافية ، حاملين شعارات جامعية مختلفة ، بمعنى انهم عند ما اشرقت الآفاق الثقافيـة باسبانيا كانوا يمتلكون رصيـدا من الثقافـة الرفيعة جعلتهم ينهضون بدور طليعي عظيم في محاولة تطوير الحياة الثقافيـة والايديولوجية باسبانيا القرن العشرين ، وساق ذلك طائفـة منهم ، من حيث تريد او لا تريد ، الى ميادين البحث والتنقيب، ومجالات الاطلاع والنقد ، واشتغل اغلب افراد هذه الطائفـة بالتدريس في اهم جامعات اسبانيا او غيرها من البلاد الاوربية والامريكية . وكتبوا مؤلفات ممتازة في فقه اللغة Filologia والنقد الادبي والفني وتاريخ الادب ، ونشروا دراسات تاريخية وادبية حول اعلام من الادب الاسباني ، كما ترجموا روائع من الآداب الاجنبية الى الكلمة الاسبانية .

تطوان : حسن الوراكلي

(✶) انظر : Damaso Alonso, Poetas espanoles contemporaneos, p. 174.

(✶) انظر : Gerardo Diego, Poesia espanola contemporanea, p. 425.

(✶) انظر : Damaso Alonso, Poetas espanoles contemporaneos, p. 178.

(✶) انظر : G. T. Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, T. I, p. 331.

(✶) انظر : E. Correa Calderon y Fernando Lazaro, Antologia literaria, p. 196.

مأساتنا الثقافية وأثرها في الإنتاج والنشر

للأستاذ : مصطفى الغربي

ان من الاجتماعات العفوية الودية التي احسبها من اجمل المناسبات ، واعتبرها من احسن الصدف التي دعتني لاثارة ذكريات عزيزة لدي عن الحياة الثقافية في بيئة الجيل المتعلم بماضينا القريب ، واكتمال حيويتها فيه النادرة المثال . والتي اراها من اجل البواعث الطيبة واسماها الموحية لذهني صورا حية صادقة مجيدة عن هذه الحياة الطافحة بكل ما يدعو للاكبار والاعجاب ، رغم العراقيل التي كان الاستعمار يبتدعها اذذاك ـ ويغذيها بمكايده الخاتلات ، ورغم المثبطات العديدة التي انبنت على التخلف السائد في الاوساط ، والتي تركزت اسسها بسبب تخيم الامية في جميع ربوع القطر ـ اجتماعي ـ اخيرا على غير موعد سابق بثلة من ذوي الصفاء والعلم والفضل في بيت احد الاخوان امتاز في وسط اقرانه بنشاط مستمر في التنقيب منذ ما يقرب من الاربعين سنة ، وانكبابه على مطالعة الكتب والمراجع المختلفة لاجتناء معلومات تاريخية وادبية وفقهية وغيرها كي يبلغها للعموم تدريسا وتأليفا وكتابة في الصحف واذاعة على الأثير .

نعم كان هذا الاخ كلما زرته ـ في هذه الايام ـ يبدي الي رغبته الملحة في تخريج كتاب له ، واخراجه لعالم النشر تضم دفتاه وفيات اعيان من رجالات الرباط وفضلائه وصلحائه ونبذ من حياتهم ، واثناء هذا الاجتماع اظهرني على مقدمة الكتاب المتضمنة لمحتوياته والغاية من تأليفه ، وابان عن امله في طبعه ـ قريبا ـ ان ساعدته على ذلك الظروف والامكانيات فأبديت له مخاوفي كما ابداها اخواني المجتمعون عن تفكيره في هذه المغامرة من جديد ، ولم يتعظ بما سبق له من مثيلاتها حيث طبع بعض تآليفه ، ولم يلق لها سوقا للتوزيع ولا باعة للترويج كالواقع لغيرها من التآليف التي لم يفكر اصحابها في الحسابات ، ولانظروا في العواقب ، فغامروا في طبعها فأخفقوا كل الاخفاق في استرداد ثمن ما انفقوا على الاقل !

هذا وانجر حديثنا ـ والحديث ذو شجون ـ الى الكلام على الحياة الثقافية بالمغرب ومأساتها المؤلمة التي تجتازها حاليا والمحن العظمى التي تكابدها بمرارة في اوساط النخبة المتخرجة التي هجرت مسامرة « الكتاب » والمذاكرة حوله والتعليق على مضامينه ، لما قضت وطرها منه ، واستغنت بما حصلت عنه ، واكتفت بما اجتنته من حقوله الخصبة لغاية احراز شهاداتها المطلوبة ، والادبار الكبير الذي تعانيه باشد ما يكون من انواع العناء ، واقواه في اندية الطلاب الجامعيين ومحافلهم المليئة بكل انواع النشاط والمظاهر الحيوية خلا ما يدعو للمسابقة في الميادين الثقافية ، على اختلاف تخصصهم زاعمين ان الشغل الشاغل الذي يعوقهم عنها هو مقررات البرامج « الثقيلة » الداعية اليها امتحاناتهم كما تقاسي اهمالا وقلة اهتمام ونفورا لا نظير له يستوجب الاشفاق والرثاء في مجتمعنا المتعلمة بصفة عامة ، بل وفي احضان الشعب الكريم الطموح قد لقيت كراهية ايضا واشمئزازا من مناهجها التثقيفية وعزوفا عن برامجها التربوية الاساسية وابتعادا وهروبا من المواسم المرصودة لتعليمه ، فهي بعد ما كانت تامل في هذا الشعب الابي المتطلع للمعالي كل الامل والخير ، للاضطلاع بسوقها والنهوض برواجه والعمل على ذيوعها في بيئاته المتعطشة الجديبة ، والاعتماد عليه في الاقبال والعطف والميول الزائدة لانقاذها من مأساتها التي تتخبط فيها ، والمساعدة على اعادة مجدها في نفاق « الكتاب » وانتشار الصحافة ، رجعت تجر اذيال الخيبة والحسرة ناعية سعدها ونادبة حظها يأسا وقنوطا من هذه الحالة الشاذة التي تحياها ، وتتقلب فيها شقوة لنبذ ذويها المتنكرين لفضلها العميم ولمآثرها الحميدة ، تنكمش وتنزوي للوراء مضطرة لتسكن في غرف مهملة مظلمة بصورة مكدسة فوق رفوف مهجورة ، يعلوها الغبار وتهددها الأرضة وبسبب جوها داء الخناق ، تسودها الوحشة ويحوطها الكساد لقلة الطالبين وانعدام الراغبين ، كل هذا لما وقع من ادبار النخبة المثقفة عنها والاخفاق المرير والفشل الذريع في نجاح تعليم هذا الشعب الامي المسكين القراءة والكتابة في الحملات الكبرى لمحاربة

الامية التي استعدت قيادتها للغزو والقضاء على الجهالة من اوساطه بافواج من جنود العلم المتطوعين واقتحام قلاعها الجافية بطلائع من المعلمين بالمدارس الرسمية تحدوهم العاطفة الجياشة ، ويقودهم الحماس الفياض ، وتدفعهم بقوة غامرة ونشاط للعمل حرارة الموقف في بداية العهد الاول من الاستقلال ، تحت اشراف لجان اختيروا للتسيير ومراقبة تطبيق البرامج ، وعينوا لتحقيق الغايات المرومة من هذه الحملات في رفع مستوى هذا الشعب ذكرانا واناثا من بوءرة الجهل الضيقة الموبوءة الفاسدة الهواء ، واعلاء مداركه القصيرة وتوجيهها الوجهة المثلى الى ميادين العرفان الفسيحة النقية الصالحة الموائمة لكرامته الانسانية ، واللائقة بمكانته المحترمة والمتفقة مع طور حياته الاستقلالية ، ومتطلباتها الملحة للتقدم به حثيثا الى الامام في صفوف الركب المدني ·

حقا ان هذه الظاهرة لعجيبة ــ وايم الحق ــ تستوقف قارئي العزيز للتأمل في غرابتها وتدعوه للتساؤل عن الاسباب والعوامل الباعثة لها ، والناتج عنها هذا الركود الثقافي المزري بوضعيتنا الحالية · والخمول العام المؤلم الجاثم بسببها كالكابوس الثقيل الظل على النفوس ، ينفرها من كل جو ثقافي يحبذ لها ويقر بها الى عالم « الكتاب » ذي الجودة والمتانة ، او يولعها بالجولان في ميدان الصحافة ذات الطابع المفيد ، بل يصدها عن كل ما يمت لها بأقرب صلة ، ويحبب اليها الركون للدعة والجموع والانشغال بتوافه الحياة وسفاسفها، وقضاء ثمين الاوقات في لعب سلبية المغزى عديمة المرمى سمجة المسعى ، تهدر من اجلها الطاقات النافعة ، وتشل العقول الواعية وتفل في مجالسها الهمم الدراكة ، وتركد فعاليتها الوقادة في بيئة وخيمة يحفها الكسل المميت ·

اجل في هذه الفترة الحاسمة من عهدنا الجديد الحامل لكل وسائل التثقيف ، والعامل بحماس على احداث حركة علمية تزداد نموا سنة عن سنة ، يتجلى مظهر هذه المأساة بأسلى واظهر ما يكون هذا التجلي في جميع اوساطنا المثقفة ، رغم امتلاء المدارس ابتدائية وثانوية بمئات الالوف من التلاميذ ، واكتظاظ المعاهد والكليات بألوف من الطلاب ، ورغم تكاثر الرواد يوما عن يوم قصد الاطلاع والاستفادة على الخزانة العامة وفروعها التابعة لها باصقاع المغرب ، ورغم تصاعد عدد مستعيري الكتب منها المتزايدة طلباتهم ــ آنا بعد آن ــ في الارتفاع لا نشاهد في هذه الافواج التي يكبر عددها وينمو بغزارة كل سنة ، والمقبلة على التعليم بنهم وشره ، وعلى الدراسات المختلفة التخريجية عدا اقلية ضئيلة جدا من هواة القراءة واصدقاء الكتب توجد اشتات من بين صفوف هؤلاء الطلاب الكثر ، الذين لا يمكن ــ طبعا ــ ان تزدهر بهم حياة الثقافة بالمغرب ، ولا يكون لهم ادنى تأثير في تنشيط حركة التأليف وتقويتها ، ولا اي سبب مجد كاف يساهمون به

لانتشار الصحافة والتأمين على حياتها المادية ، ولا تستطيع دور النشر والطباعة ببلادنا ان تصمد بدخلها النزر الطفيف المستفاد من هذه الاقلية على مقاومة الازمات الخانقة المتوالية عليها او يتأتى به المغالبة والصبر والثبات على هذه الحال،حيث ان الامر بلغ مبلغا قصيا من الاستفحال ، داعيا الى الافلاس فالافقار فالاقفال ، فلقد بلغني عن احدى دور النشر والطباعة الشهيرة بالدار البيضاء وهي « دار السلمي » تلك الدار التي ساهمت في خدمة النشر بعدة مطبوعات مدرسية وادبية وتاريخية وغيرها ، فان اصحابها ينوون ــ اخيرا ــ التخلي عنها لعجزهم عن التسيير وتسديد النفقات اللازمة بسبب تراكم هذه المطبوعات لديهم التي لم يجدوا لها سوقا ينفس عنهم الكربة ، ويخفف حوازب هذه الازمة ، كي يستطيعوا استئناف نشاطهم من جديد، وما احسب ان في البلاد دورا خاصة اخرى تهتم بطبع الكتب الثقافية والنشرات العلمية ، لا تشتكي مثل شكواهم ، ولا تكابد مثل مكابدتهم ، فالمشاهد العيان ابلغ دليل من اوضح بيان ، وكذلك باعة الصحف والكتب لولا المؤلفات المقررة في حصص الدروس ، والمراجع المحتاجة اليها في التخريج ، وبيع الادوات المدرسية ما استطاعت ان تواكب على هذا الامر وتواظب على مهنتها المكتبية باستمرار · وتتغلب على العوائق وكساد السوق، وتفتح الباب في وجوه زملائها ·

حقيقة ان الدولة قد عملت على تنمية هذه الحركة العلمية بكل ما يساعدها على السير الى الامام ، واستخدمت في ذلك جميع الوسائل المشرفة التقدمية في تعضيدها ومساعدتها المساهمة الفعالة الايجابية في توطيد ميادينها الثقافية ، باحداث مراكز للبحوث والدراسات المختلفة من الاهمية بمكان ، تشغل مستوى علميا عاليا تستطيع ان تضاهي بدوره الهام ما لدى المراكز العلمية في الشرق العربي الادنى من تركيز البحث ووحدة الموضوع المتسم بالعمق في التحليل والنضج الدراسي ، كالمركز الجامعي للبحث العلمي والمركز الوطني للتعريب ، فلقد احدثنا بنشراتهما ، وما طبعا من كتب صدى مستحسنا واثرا بليغا عميقا في داخل المغرب وخارجه لدى البيئات المثقفة، كما عزز نشاطهما المجدي المتداول وقوياه باصدار مجلتين باسميهما « اللسان العربي » لمركز التعريب و « البحث العلمي » للمركز الجامعي ، وان عددهما الاول والثاني ليدلان الدلالة الكاملة على المسعى الحميد والمطلب المفيد في تنمية حركتنا الناهضة ، وتوسيع ميادينها بالوان من القول الطريف الجيد والبحوث ذات النزعة العلمية ، حاملة اسماء شخصيات لامعة ، لهم تضلع في الفن المهتمين به ، وتوسع في المعرفة ، ووضوح في التبليغ ، من رجالاتنا المغاربة وغيرهم كما ساهمت ايضا المطبعة الملكية مساهمة طيبة مباركة في احياء بعض تراث اجدادنا القيم واخراجه لعالم النور رغبة في الافادة ولاقامة الدليل القاطع والادلاء بالبرهان الساطع ، على ما لهذه الامة المغربية من مفاخر وما تم في العصر الاسلامي الزاهر ، فضلا عما اعادت لنا بعملها الجليل

في السير المطرد المنتج ، من تاريخ تلك العهود الاولى الثلاث المجيدة للطباعة والنشر بالمغرب « المحمدي » « الحسني » « الحفيظي » زيادة على ما يقدمه لتقوية هذه الحركة مركز الشؤون الاسلامية — منذ نشأته — التابع — الآن — لوزارة عموم الاوقاف من خدمات جلى محمودة ، ومبرات مشكورة في اعتنائه الكامل — مرة مرة — بنشر تراث مكين لرجالات من الاعلام في طبعات محترمة ، ولقد توج نشاطه — اخيرا — في صرف همته السامية لتكريس العمل على طبع كتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » للقاضي عياض احدى الشخصيات المبرزة المغربية المتضلعة الفذة الفريدة في قوة المدارك ، واتساع المعارف ، وطلاوة الانتاج ، وكتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد » ليوسف بن عبد البر القرطبي مفخرة المغرب على المشرق في حفظ الحديث ومعرفة تراجم الرجال ، ذي المكانة الادبية الكبرى والاتجاه العالي في الجمع والتصنيف ، ولقد كان لنبا نشرهما صدى مستحسن عظيم في جميع الاوساط المعتنية بالتراث العربي الخالد في الشرق والغرب ، تلكم الامنية التي طالما خامرت اذهان علماء مختصين لتحقيقها من بداية عهد الطباعة العربية في المغرب وخارجه ، واراد هذا المركز العلمي الاسلامي ان يحققها على يده وبجهوده ليضيفها لصفحات مبراته في صفحة ذهبية ، فضلا عن المجلة الغراء « البينة » التي كان يضطلع بمهمة نشرها اول عهده ، وقد توقفت من عددها العاشر لاسباب مادية عن الصدور ، بعدما تركت بحوثها القيمة اثرها العميق في الالباب ، وبعدما استولت دراساتها الاسلامية — المتصفة بالوعي والنضج والبعد عن الجمود — على النفوس والتي نرغب في الحاح ونرجو العمل من المركز للتغلب على هذه المصاعب المادية كي تستأنف هذه المجلة الثمينة البعيدة المرمى النبيلة المغزى نشاطها من جديد لتعزيز ميداننا الاجتماعي الساعي في تكوين جيل مثقف ثقافة عربية اسلامية ، ومحصن عن الزيغ والميع والجحود . اما منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ومنشورات معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان ، فمما تعتز به المكتبة المغربية ، ويعد من الحسنات الكبرى لحركة النشر بالمغرب من نواحي الطبع ، والتحقيق ، وحسن الاختيار لمجموعاتهما المنشورة في العهدين السابق واللاحق من الذخائر والعيون الصافية المنبع من تراث الاجداد والمعاصرين ، التي ينبغي ان تزدان بها مكتبات الطلاب الخاصة ضمن منشورات المراكز الاخرى ، وضمن امهات الكتب والمراجع ذات الجودة والقيمة الحديثة والقديمة ، وتكون لهم كمورد عذب سائغ خالص غير مشوب — في اماكنهم وفي متناول ايديهم تزيد في معناهم ، وتعلي تفكيرهم وتنمي ثقافتهم للوجهة الحق البناءة ، تخلق منهم لبنات متينة التركيب صلبة المبنى قوية المعنى ، صالحة في تشييد صرح نهضتنا الحديثة ، وعلاوة على هذا فلقد ساندت هذه الحركة العلمية النامية مساندة جلية وزارات ومصالح حكومية باصدار مجلات شهرية ونشرات دورية ، فوزارة الشؤون الخارجية اصدرت مجلة « المغرب » ثم تعطلت مدة لتستأنف نشاطها — الآن — من جديد، تبعا لمؤسسها الممثل الشخصي لجلالة الملك ، ولوزارة التربية الوطنية مجلتها ووزارتي العدل والبريد ومصالح « الشرطة » و « التعاون الوطني » و « الاذاعة » مجلتها ايضا . اما وزارة عموم الاوقاف فلمجلتها « دعوة الحق » دور كبير هام يتمثل باجلى مظهر في هذه المساندة القائمة بها التي تساعد اجل مساعدة على تسهيل المجالات وفتح الابواب ، امام اقلام الكتاب على اختلاف المشارب ، وتشجيعها على البحث والدراسة المكنوزة في صورة « مقال » منذ ما يقرب من الثمان سنوات ، وتعتبر بحق مجموعاتها من اثمن الوثائق في هذه الحقبة لتاريخ تطور فن « المقالة » في ادبنا المعاصر ، كما ان ديوانها يقدم للباحث — احيانا — مختارات تشع منها ومضات نيرة من الشعر الجيد ، تصلح ان تكون كمرجع لدراسته على ضوء الاحداث والوقائع التي مرت مسرعة منذ بزوغ فجر الاستقلال .

هذا ولا ريب ان قارئي العزيز بعد هذا العرض عن حياتنا الثقافية ومأساتها الحالية يدرك لا محالة انها انبثقت عن ندرة هواة الاطلاع واصدقاء الكتاب وزملاء الصحيفة ، وتضخمت محنتها المؤسفة وتكاثر مفعولها السيء في الاوساط المتعلمة لانعدام تشجيع الافراد والهيئات الحرة القائمة على تسيير حركة النشر ومساعدتها في تنشيط الانتاج ، ولهذا فلا يمكن ان ينحسم الداء ويقضي عليه نهائيا ، وتسترد حيوية هذه النهضة الثقافية من جديد ، ولا تستعد لاسترجاع عهدها السابق المجيد في حلة تصطبغ بصبغة التفتح ، وتتسم بروح التطور مع شمول حركتها لجميع الاوساط بكثرة المعاهد الحكومية والمراكز الدولية والنشرات المجانية ، ولا يتسنى لها ذلك ايجاد بيئة حية تزدهر اسواقها العلمية بازدياد الرواج على تباين الانتاج ، ولا يتأتى انقاذها — بمنشورات ممنوحة — من هذا الجدب العقيم الذي اوقعها في معرفة الخصاصة والفاقة والاحتياج ، فحالة مأساتنا في هذا المجال تشبه الى حد بعيد امة متخلفة تسعى لرقيها وانتعاش اقتصادياتها ورفع مستوى مجتمعاتها ، اقتصارا على ارصدة تولدت من تبرعات وديون متراكمة متباعدة الآجال ، تفتخر بمعالم عمرانها الممتازة بالمآوي الخيرية الضخمة ، والملاجيء والمستوصفات الاحسانية الفخمة .

حقيقة فقيام الدولة بهذا الاسهام الجلي في تعضيد الميدان الثقافي ، رغم جلالة قدره وعلو شأنه وسمو غايته ونبل مقصده في خلق دعاوة طيبة حسنة لهذه الحركة في الخارج ، وتكوين نخب من طلابنا المتخرجين يستطيعون النهوض بشؤون الادارة لكانة تتفق مع ما تقتضيه وضعيتنا الاستقلالية ، ويتطلبه تطورنا النامي المطرد لا يؤدي — حتما — مع هذا العمل الجليل ، النتيجة المطلوبة في احداث وعي شامل يدعو لرواج النشر ويرمي

لتشحيذ الاذهان ، ويستحث اقلام الكتاب للتنافس في الانتاج والتسابق في ميدانه الفسيح ، والتعالي به الى الاتقان والجودة ، والتسامي به عن الضحالة والرطانة الى ذاتية الاسلوب المتصفة بعمق الفكرة واكتناز الفائدة ، او يساعد على انهاض المغرب وتقدمه وسيره بصفة عامة سيرا متناميا من جميع النواحي لحياة اكمل وافضل ، ولا يتيسر — ايضا — به ابداع جيل مثقف ثقافة كاملة الجوانب تتعب ذوي المطابع وتضنيهم في تحريك دواليبها باستمرار قائلا لها هذا الجيل المتوثب المتطلع ، هل من مزيد من الجديـــــد ... ؟ !

نعم فما دام القارىء يقتصر — اعتمادا — في تثقيف نفسه على الاستعارة من المكتبات الخاصة والعامة ، ويركن — اتكالا — الى التزود بالمعرفة على ما تجود به المؤسسات العلمية ، ويضن بمشاركته في ازدهار هذه الحركة وانسائها بجزء ضئيـــل من مصروفه اليومي تتكون به مكتبة — تكبر مع مراحل الحيـــاة — في بيئة يستفيد منها واسرته ، ولو باشتراك في صحيفة او مجلة ما او شراء كتاب في الشهر على الاقل ، خربت طبعا — ولا بد — دور النشر والطباعة ، وحول باعة الكتب والصحف دفة متاجرهم الى سلع اجدى لهم وانفع ، وصرت تسمـــع يوما بعـد يوم ان الصحيفة الفلانية توقف صدورها للعجز المادي ، وان المؤلف الفلاني ، احجم عن طبع كتاب ثاني ، خشية ان يلدغ من جحر الافلاس مرتين ، لينتج عن هذا — للواقـــع المخجـــل — نضوب معين الاقلام وتحجر الافكار ، وخمود العقول ، وركود الهمم ، وفقر الميادين الثقافية ، وتحول انديتها من طراوة الوان القول الناضجة المحيية ، فيستطيب الكل السبات . ويستكينون للخمول ، ويستلذون حياة الفـــراغ ، ويستمرؤون الدعـــة ، ويرجحـــون جانب الماديات على جانب المعنويات ، ويستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ، فتعم ربوع البلاد امية الفكر والجهالـــة المركبة ، وتسود الاوساط السذاجة والغفلة ، ويعلو في المجتمع انصاف المتعلمين ، ويتربع كراسي الارشاد والتعليم فئة تغتصب — ظلما وسدى — اوقات الطلبة والمستفيدين .

وعلى اي حال فلقد ادركت كما ادرك غيري من ابنـــاء الجيل المتعلم بماضينا القريب ، انه كانت هناك حركة علميـــة ناهضة مزدهرة ، تخط طريقها بعزائم رواســـخ ، تلفت نظـــر الباحث وتجر تأمله للاستغراب رغم المقاومة الاستعمارية والمحاربة الجدية من قادة جيش الاحتلال في القضاء على حياة الفكر ، وما يدعو لوعيه وتنويره ، ورغم ما كان يتخلل سماء هذه الحياة من سحب مظلمة ارادت ان تحجب عنها نور اليقين وحرارة الايمان بالقوة الغاشمة ، نفقت في سوقها الكتب على اختلاف الفنون ، وراجت فيها الصحف يومية واسبوعية وشهرية الصادرة بالمغرب وخارجه بين عامة الشعب ، على تباين نزعاتها ، تنفد طبعاتها في اقرب زمان ، ويخرج بائعوها كل واحد منهم العشرات بل المئات في اقل الساعات ، واحيانا الالوف لدواعي المناسبات ، لا تسمع شكوى من طابع ولا بائع الا شكوى عدم ارضاء طلبات الراغبين المتكاثرة ، وكان هذا النهم واللهف على الاطـــلاع ، يظهر باجلى مظهر في فاس ومكناس وتطوان وطنجة والرباط وسلا والدار البيضاء ومراكـــش وآسفـــي والجديدة ، وتعمر مجالس الشباب — اذ ذاك — وندواتهم الادبية ، بل محافـــل اعراسهم ونزههم في البســاتين ، مساجلات ومطارحات شعريـــة ونثرية عامرة مكنوزة بالمعارف ، واناشيد وطنية حماسية فياضة بأنبل العواطف ، لا تبعد اهميـــة هـــذه المجالس والنـــدوات والمحافل عما يبلغنا عن الاقطار الاخرى التي قطعت اشواطا في ميدانها الثقافي ، وتـــثار فيها — ايضا — احاديث رائقـــة عن الاحوال السياسية الداخلية والخارجية في شكل موضوعي ومنطقي مقبول يعزب عن التحزب وعن ضيق النطاق المحلي ، ويبتعـــد مرماه عن الغايات ، مفعم بالمقارنات الدالة على استيعاب المعلومات واستحضارها لدى النقاش والمذاكرات .

واخيرا فاني ارى قارئي العزيـــز لا يسمـــح لي بعرض عوارض مأساتنا دون تشخيص دوائها ، اجل فهناك عدة اسباب وعوامل شتى نتجت عنها هذه المأساة الثقافيـــة التي نحياهـــا — الآن — وتتقمصنا محنها المؤلمة ، منها نفسيـــة مبنيـــة على تعقيدات الحياة الحديثة ، والصراع القوي من اجلهـــا ، الـــذي نفضل فيه السهولة على الاجهـــاد ، ومنها بيئية تتضـــح في حياة التخلف والمظاهر الرجعية ، والنظريات الجامدة الى الوراء ، ومنها اجتماعية يظهر اثرها في تفاحش الامية وانتشار العادات السلبية التي تمتاز بالهزل والتوافه وسفساف الامور ، ومنهـــا سياسة تدعو للانحياز والاستئثار والمحسوبية ، وترمي لغايـــة محدودة وهدف خاص وغيرها من الاسباب ، يجب ان يعالـــج الكل في دراسة على حدة ، اعتزم ان افرد لها مقالا آخر بحـــول الله وتوفيقه ، ان نكتشف من خلال سطوره — معا — دواءنـــا المطلـــــــــوب .

مصطفى الغربي

التعريب أبعاده وإمكانياته

للأستاذ : حمادي الحلو

سؤال ما فتيء يلقى منذ بداية هذا القرن ، اي منذ نهضة العرب الحديثة ، وهو هل ان اللغة العربية عجلة قمينة بان لا تترك العرب في مؤخرة ركب الحضارة ... ولعمري ان المداد الذي سود الصفحات الطوال ، سجل ما يكفي للدلالة على ايجاب هذا السؤال .

على ان هناك ملاحظات يسجلها المهتمون بالتعريب ، اود اثارتها في هذا المقال ، عل صداها يكون له رجع كفيل بان يجد لها حلا مقبولا ، ومن هذه الملاحظات ، ابعاد التعريب في العالم العربي على العموم ، وامكانيات في دول المغرب العربي على الخصوص ، التي ابحرت بسفينة التعريب .

والابعاد المعروفة عند دراسي الهندسة هي الطول والعرض والعمق او الارتفاع ، وهذه هي المقاييس التي اريد ان اسبر بها غور الكلمة العربية واقيسها عرضا وطولا .

وعند ما استعمل كلمة مقياس « الطول » ، اعني بذلك المدى الذي تقطعه الكلمة العربية ، للتعبير عن المعنى الكامل للشيء الذي يراد التعبير عنه ، وهنا يجب التأكيد ــ وهذه حقيقة يلمسها الذين يعرفون غير اللغة العربية ــ ان الكلمة قد تذهب مدى اطول ، للتعبير عن شيء ما في لغة دون اخرى ، وهذا يفسر ظاهرة ادخال كلمات اجنبية عند التحدث باللغة العربية ــ وحتى الدارج منها ــ كان المتكلم يشعر ، وهو يتحدث ، ان الكلمة الاجنبية المستعملة ، تحمل بفعالية اكبر ، المعنى الذي يريد التعبير عنه ــ .

ان مسألة بعد الطول ، تتفاوت فيه اللغات ، فبينما نجد ان اللغات الغربية ، قطعت شوطا بعيدا في التعبير الصحيح عن الخطوات العلمية التي جرها التقدم الصناعي والتقني ، نرى ان اللغات الشرقية لا تتوفر في غالب الاحيان على نفس يمكنها من التعبير بدقة عن المعنى او الشيء المراد تعريب كلمته ، ونحن نجد في العربية مثلا اسمين او اكثر لشيء واحد ، كتسمية العرب الشمس بذكاء او الغزالة وهذا على الخصوص في الاشياء التي عرفها العربي القديم ، كما نجد معنيين لكلمة واحدة كما سيأتي ذكره عند تعريب بعض الكلمات الاجنبية نعجز ان نجد لتعريبها كلمة واحدة ، فنذهب الى شرح الكلمة الاجنبية باكثر من كلمة عربية واحدة ، وقد لا يؤدي الشرح الطويل مع ذلك المعنى التام للكلمة الاجنبية فها كلمة Infrastructure لم تترجم الا بكلمتين هما « التجهيزات الاساسية » او « المقومات الاساسية » بدل ان توجد لها كلمة واحدة ، وغيرها عدة ، تحتاج الى اكثر من كلمة عربية لتعبر عن مدلولها ، Bonnterie مثلا ، التي ترجمت ب « ملابس الاطراف » او ك Quincaillerie التي يترجمها القاموس ب « الآلات الحديدية او النحاسية المستعملة في البيوت او في بعض الحرف » او كلمة Vulgarisation التي عربت ب « تقسية المطاط بالكبريت » او كلمة Sardinier الجد بسيطة التي ترجمت ب « مركب لصيد السردين بالشباك ».

* * *

نتطرق بعد الطول لبعد العرض ، فنلاحظ ان الكلمة العربية الواحدة ، قد تنطبق على فسيفساء من المعاني ، فهذا كلمة « عين » تطلق على عضو البصر ، ومنبع الماء ، والمال وشريف القوم ... الخ . بينما نجد في اللغة الاجنبية كلمة خاصة بكل من هذه الاشياء التي عبرت عنها العربية بكلمة واحدة.

انه نقص في اللغة العربية يجب تلافيه

انا لا انكر ان في هذا النقص ميزة قد تساعد البعض من الشعراء على اللعب بالكلمات في تصفيف ابياتهم عند ما يربطون الموسيقى ــ موسيقى الكلمة ــ بالمعنى ، ولكن الضرر الحاصل من هذا النقص اكثر من النفع ، واجدر بنا ان نعمل من اجل تنمية اللغة العربية بايجاد كلمة لكل معنى او شيء .

ناتي بعد هذا الى بعد الارتفاع او العمق ، وبالعمق نعني المراتب المختلفة لمعنى الكلمة او ما يعبر عنه ب Nuances ، فاننا نجد المترجم ينقل كلمة اجنبية الى العربية دون ان تؤدي الكلمة العربية كل معنى الكلمة الاجنبية ، في حين نجد ان هناك فروقا تبعد او تقرب بين كلمتين اجنبيتين تعنيان معنى واحدا بدرجات مختلفة ، نجد ان في العربية كلمة واحدة فقط لهذين المعنيين المتقاربين ، مثل ذلك كلمتي Force - Puissance فكلتاهما تترجم بكلمة « قوة » او « باس » ولكنهما في لغتهما تعنيان شيئين متباينين .

وهذا دليل آخر على ان في اللغات الاجنبية ما وصل الى درجة في الثروة والصقل ، لم تصل اليها اللغة العربية .

ان من المتطلب في المتكبين على التعريب ان يتوفروا بالاضافة الى معلومات ضافية في اللغة العربية والاجنبية ، على حاسة خاصة تمكنهم من ان يقيسوا هذه الابعاد عند تعريبهم لكلمة ما .

* * *

ننتقل بعد هذا الى موضوع الامكانيات المتوفرة للمغرب ، والاطار الذي يتهيأ له العمل فيه .

فمن حيث الامكانيات ، يمكن ان نخرج بخلاصة كناسة فنقول ، ان للعرب كل Sweeping conclusion الامكانيات لربط اللغة العربية الى قاطرة القرن العشرين ، ولاعطاء الكلمات العربية ابعادا متساوية للابعاد التي تتوفر عليها بعض اللغات الاجنبية الاخرى .

فاللغة العربية لن تعجز عن اللحاق باخواتها لغات الغرب، والمثل الذي ضربته العبرية في هذا المجال جدير بالملاحظة ، واسوق هذا المثل ، لاننا نحن العرب ، بذلنا جهدا اهم من جهد العبريين ، ولكن جهود المعربين مشتتة ، فهناك مبادرات في الشام ومصر والعراق ، بل حتى من هنا في المغرب العربي ، ولكن هذه الجهود يمكن اعتبارها عملا معادا ان لم يكن بعضها سببا من اسباب عرقلة التعريب ولنضرب لذلك مثلا ، فهؤلاء كتاب مصر عربوا كلمة Civilisation بكلمة مدنية ، وكلمة Culture بكلمة حضارة ، بينما اولئك في العراق عمدوا الكلمة الاولى حضارة والثانية ثقافة ، وبدل ان تهتم المجامع العربية والمؤتمرات بتبني كلمات جديدة نراها تسعى للتوفيق بين التعريبين المتباينين ، ولا يخفى ما هناك من نزعات في تبني الكلمات المعربة ، فكل — وهذا من الطبيعة البشرية — يرتئي ان اقتراحه هو الاجدر بمحل العناية ، واقرب الى الصواب .

ولعل السبب في اختلاف هذه المحاولات ، سعة الافق الذي تعرف عليه المعربون العرب ، فالذي يعرف الجامعات الغربية ، يعرف ان الاساتذة هناك ، قد يعطون مدلولا لكلمة ما، يختلف عن المدلول المتعارف عليه ، فيزيد او ينقص عن مدلول القاموس وفي غمرة الحماس والاعجاب بالاستاذ ، نجد حوارييه من العرب يقلدونه عند التعريب ، فيعطون بدورهم مدلولات تختلف في الدرجة لا في الطبيعة ، للكلمة التي يعربونها .

ومن المستحسن ان يسعى العرب لتنقيل — Canaliser (وهذه كلمة اقترح ادخالها للعربية) — مجهوداتهم في التعريب، عبر توحيد المجامع العربية ، فلا تدخل الكلمة القاموس ، الا من باب المجمع الموحد .

* * *

واطار التعريب يحيط بالمدرسة ثم الادارة ، والوسيلة تختلف من رقعة الى اخرى في العالم العربي وهي في المغرب العربي سياسته ، حيث يجب ان تاتي بواسطة التشريع ، تسنده الزامية القانون .

ونحن في محاولات التعريب يجب ان لا ندير ظهرنا كليا للتراث العربي ، ففي عيونه ما يساعدنا على ربط لغتنا بعصر السفن الفضائية ، فبالامس القريب فقط ، وجدت — وانا اقرأ مقامات الحريري — ان العرب افردوا كلمة لرقصة « التويست » Twist قبل ان تعرف هذه الرقصة في العالم الغربي ، والكلمة هي « الزفن » ويكفي ان تتصفح المنجد ، لتعلم ان هذه الكلمة هي التعريب الصحيح لكلمة « التويست » .

ان في الامكان ان ناتي بابدع مما كان ، شريطة ان تتضافر الجهود وتشحذ الهمم .

حمادي الحلو

حاجتنا إلى تفكير مغربي

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

- 2 -

تعرضنا في الجزء الاول من هذا البحث الى ضرورة رجوع رجال الفكر والادب الى المجتمع البشري الذي يعيشون فيه حتى يستطيعوا ان يتجاوبوا مع الطبقات التي يتكون منهــا وحتى لا يكون انتاجهم صدى لآداب اجنبية لاتتفق وميول هاته الطبقات الشيء الذي يجعل منه انتاجا سلبيا لا يؤدي الغاية المتوخاة من كل عمل ادبي يرمي الى اصلاح المجتمع بعرض ادوائه الاجتماعية واضراره المتفشية في مختلف الاوساط وايجاد الحلول الناجعة التي تفعل مفعولها التلقائي في نفوس المواطنين الذين يتلقفون هذا الانتاج الفكري بغية دراسته وتدبيره وكأنهم يتلقون دروسا مفيدة في شتى الميادين .

وقد تعرضنا كذلك الى وجود فريقين من رجال الفكــر يحتكران ميدان نشاطنا الادبي والعلمي ويستحوذان على اذهان القراء الذين نتوفر عليهم . وقد وجد الفريق الاول ضالتــه في الدراسات التاريخية والابحاث العلمية ذات الطابــع اللغوي او التشريعي بينما وجد الفريق الثاني لذته في الاكباب على الخزانة الغربية الاوربية والامريكية في كثيــر من الاحيــان والاسيوية والروسية في بعض الاحيــان وعرض ما تنتجــه على جمهــور المــواطنيــن .

ومما لا ريب فيه ان لكل من الفريقين حسناته وسيئاتــه ومناقبه ومثالبه فالحنين الى ماضينا المجيد امر محمود في حــد ذاته والرجوع الى تراثنا العربي الاصيل شيء جدير بالتقديــر والاحترام لاننا بهذا الرجوع وهذا الحنين الى عهــود ازدهار ثقافتنا نستطيع ان نربط واقعنا وحاضرنا بماضينا كما نتمكن من الاستعداد الى المستقبل الذي لا بد سيحل سواء بالنسبة الينا او بالنسبة للاجيال التي ستاتي بعدنا .

ولكن حركتنا الادبية الحاضرة ووضعيتنا الثقافية الحاليــة لن تستفيد شيئا جديدا من التغنــي بامجادنــا الغابرة والتمتع بمحاسنها الفتانة ما دام ذلك يبعدنا عن الاهتمــام بالتجــارب الجارية في بلادنا والمشاعر التي تختلــج في نفوس المواطنيــن والمشاكل التي تعترض سبيل عيشهم وطرق حياتهم ، فالثقافــة الحق هي التي تستطيع ان توجد لنفسها تجاوبا مع الجماهيــر البشرية التي تنتشر بينها والانتاج الفكري الصادق هــو الذي تتردد اصداؤه في قلوب المواطنين وتختمر آثاره في نفوسهم ، فوقف الثقافة على افكار اكل عليها الدهــر وشــرب وراء آراء اخنى عليها الدهر ونظريات جثم عليها الليل بكلكله لن يورث في البلاد الا جمودا فكريا قد يضر بهذه الثقافة نفسها لانه سوف لا يشارك باي قدر في رفع مستوى جماهيرنــا وتطــور عقليــة اخواننا المواطنين .

وقد اصبحنا نشعر اليوم بخطر هذا النوع من الاجتــرار وضرر هذا الشكل من التكرار حتى صرنا نخاف على مستقبــل الثقافة كلها في ربوع بلادنا وقد ظهر نقص هــذا النــوع من الثقافة عند ما تسلمنا مقاليد امورنا وحملنا ادوات البناء كمـــا تبين فقر هذا النوع من الانتاج الخالي من كــل روح جديـدة تنفخ في المواطنين الرغبة في القراءة والمطالعة وليس معنى هذا ان هذه الثقافة لا فائدة فيها وانهــا تضــر المجتمــع وتسيء لاصحابها كلا ثم كلا ان هذه الثقافة جليلة القدر عظيمة المقــام قد ادت لنا اجل الخدمات في فترة كنا احوج ما نكون فيها الى زاد عربي اصيل وتراث اسلامي اثيل خصوصا عنــد ما حــاول المحتل ان يجردنا من شخصيتنا ويقتل فينا الشعور بقوميتنـــا ويبعدنا عن ماضينا المجيد . وقد كانت هذه الثقافة آنذاك سلاحا فتاكا وقف في وجه ادعياء الثقافة الجديدة ودعاة طمــس معالم وجودنا وصدهم عن المس بهذا التراث والعبث به وبامجــاده وخيرة ممثليه ، وقد يكون لهذه الثقافة دورا لا زال يتعين عليها ان تلعبه اليوم وبعد اليوم وهو تكويــن المواطنين وتهذيــب الناشئين وتقوية الشعور الوطني عند المتعلمين حتى لا يخرجوا الى معترك الحياة الا بعــد الحصول على رصيد مهم منها يؤكــد لهم دائما ضرورة اعتبار الثقافة العربية الاسلامية الاصلية كالمشرب

الاول الذي يتعين ان لا يحيد عنه كل مثقف عربي ومعين زاخر يجب ان يكون المورد الاساسي لكل من يحاول ان يفرض وجوده الثقافي في لغة الضاد . ولكن هذه الثقافة يجب ان لا تظل شغلنا الشاغل بالليل والنهار : فيها ننتج وحولها نكتب وبواسطتها نفكر وبوضعها نحلل وامجادها نترجم واعلامها نمجد ومعانيها نستوعب كما ينبغي ان لا تبقى مادتنا الخالدة في الغدو والآصال والحل والترحال ، ذلك ان فنون القول لا تعد ، وضروب التعبير لا تحصى،ومواضيع الدراسة والتحليل لا تستقصى، خصوصا بالنسبة لبلاد فتية كبلادنا لا زالت تعيش تجارب قاسية ، وتعرف معارك حامية ، يجب ان يهتم بدراسة جوانبها المثقفون ، وان يهتبل بجزئياتها وعموميتها المفكرون ويعكف على تفاصيلها المنتجون. اليس من العار مثلا ان لا نجد من يهتم بدراسة التطورات السياسية التي عرفتها بلادنا منذ فجر الاستقلال حتى الآن وانما ياتي اجنبي غريب الوجه واليد واللسان لدراستها ووضع كتاب جليل عنها ؟ اليس من العيب الكبير ان لا ينتصب احد المفكرين الى تحليل اوضاعنا الاجتماعية وعللنا وامراضنا التي لا تحصى ولا تعد ؟ اوليس من النقص الكبير ان لا نلتفت الى طوائف في مجتمعنا تعيش عيشة البؤس والشقاء والضنك والحرمان فنحاول ان نخفف من وضعها الاليم ونعرض امرها على جميع المواطنين؟ فهذه مدن القصدير تعيش في هرج ومرج وتعج بآلاف المواطنين . فمن منا ادار وجهه نحوها وتعمق وضعيتها واخرج لنا قصيدة ذاتية او قصة شخصية تصور آلامها ومصائبها ان المواضيع شتى اذا ما قرر عزمنا على طرقها ولكن امرها متوقف على هذا العزم الصادق . وقد يخامر البعض ان اصحاب هذه الثقافة التقليدية عاجزون عن طرق هذه المواضيع والاشغال بهذه الاهتمامات ولكن اصحاب هذا الرأي واهمون لان الوقوف على امراضنا الاجتماعية والتناقض الموجود في مجتمعنا ايسر للبحث واسهل من القيام بدراسات تاريخية حضارية قد يتطلب عرضها وحصرها من المراجع والوقت ما يكفي عشره او جزء من عشره لدراسة الاوضاع الاجتماعية والتطورات السياسية والتقلبات الغريبة التي تهز مجتمعنا وتعتمل في كياننا وسيكون لعلمائنا الافاضل حصة الاسد اذا ما رضوا وقبلوا ان يهتموا بهذه النواحي بالاضافة الى اهتماماتهم الاخرى . فلو قر عزم علمائنا على محاربة الادواء الاجتماعية بطرق عصرية ووسائل حديثة لساهموا مساهمة فعالة في تطورنا الفكري الجديد اكثر مما قد يساهمون فيه بوعظهم وارشادهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على الطريقة القديمة التي تعتمد على الوعظ والارشاد والوعد والوعيد والتحذير والتهديد والتي لا تتوصل الى نتائج تذكر ولا تفضي الى عواقب محمودة الاثر . فلو اقبل هذا الفريق من المواطنين المثقفين ومن حملة الاقلام على صب ما يعتلج في نفوسهم وما يتردد في صدورهم وما تطمح اليه قلوبهم وتستهدفه عقولهم في قوالب فكرية جديدة وفنون انشائية جديدة تطفح بانتاجات ذاتية وكتابات فردية تنم عن شخصيتهم و « ذاتيتهم » ووسائل تعبيرية عصرية لا اثر فيها للنسخ المكررة والافكار المجترة وفي اسلوب موثق خال من التكلف بريء من الحشو لا تظهر فيه اقوال فلان وكلمات فلان – اقول – لو اقبل هذا الفريق من المثقفين ثقافة متينة لا سبيل الى نكرانها الى هذا النوع من الانتاج المفيد للقوا من عامة المواطنين اقبالا عظيما وتنويها كبيرا لان التجاوب سيحصل آنذاك بينهم وبين بقية المواطنين الذين سيجدون في كتاباتهم ما يتفق وحاجياتهم وما يتمشى ومشاغلهم داخل البيت وداخل المتجر او المصنع او المعمل او المجتمع بصفة عامة . وسيصبح اعضاء هذا الفريق من المثقفين ملتزمين بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى لانهم سيكتبون كتاباتهم وهم يحملون افكارا يريدون الدفاع عنها وتمكينها من نفوس القراء وغايات نبيلة يخدمون من اجل الوصول اليها واغراضا سامية يسعون في سبيل تحقيقها . وتلك لعمري اقدس مهنة يمكن ان يسخر لها القلم الذي لا يطاوع اربابه الا اذا كان هؤلاء الارباب يعرفون ما يفعلون ويدركون ما ياتون وما يذرون : اما الخطب والمواعظ فقد ادت مهمتها في وقتها ولم يبق لها مفعول في هذا العصر الذي تطور فيه الفكر البشري تطورا عجيبا جعله لا يقبل الا ما كان يتجاوب مع غاياته ومراميه وكذلك الامر بالنسبة للدراسات التاريخية والابحاث اللغوية وكل ما له صلة بالتراث القديم فقد ادى مهمته فيما مضى اي يوم كنا في حاجة الى اثبات شخصيتنا الوطنية ووجودنا القومي وفي وقت كانت فيه ايادي المستعمرين الاجانب تحاول ان تقضي على كياننا القومي وتستبدله بكيان اجنبي بعيد عن ديارنا غريب عن اهلنـــــا .

وليس معنى هذا ان من واجب علمائنا ورجال البحث فينا ان يطووا صحفهم ويجمعوا اوراقهم ويتركوا هذا الميدان للاقبال على ميدان الانتاج الذاتي . كلا . ان على الباحثين ان يواصلوا مجهوداتهم الخاصة وينقبوا عن مظاهر حضارتنا ولكن عليهم ان يدركوا ان ذلك لا يخرج عن نطاق الغاية العلمية المحضة انه بعيد كل البعد من ان يتجاوب مع مشاعر المواطنين ، لا فرق في ذلك بين المثقفين منهم وغير المثقفين لان القليل من المثقفين هم الذين يقبلون على هذه الدراسات والابحاث اما غالبية المثقفين فيفضلون الانتاج الفردي الذي يسبح فيه خيال الكاتب وتبرز فيه ملامح وجوده وتتفتق فيه ذهنية صاحب القلم . ولعل اصدق مثال على ما ذكرنا هو شخصية فقيد العلم والادب عباس محمود العقاد . فمما لا اشكال فيه انه شخصية بارزة في ميدان الفكر والثقافة وانه ترك تراثا ضخما ينيف على الثمانين مؤلفا تختلف حسب محتوياتها وقيمتها الفنية . وقد اجمع الذين رثوه على انه خير مثال للاديب العربي المنتج في القرن العشرين ومع ذلك فقد استطاع بعض من بكوه بدموع حارة ان يقولوا فيه قولة صدق وهي ان العقاد رغم المكانة التي احتلها في ميدان الانتاج ورغم التحليلات الجديدة التي عرف بها والدراسات الطريفة التي قام

بها والابحاث الجليلة التي قدمها سوف لا يخلد الا بانتاجه الذاتي اليسير بالنسبة لجميع التراث الذي خلفه لان هذا الانتاج الذاتي هو الذي سيجعل العقاد يحتل مرتبة ما في ميدان الفكر العربي . فلولا « سارة » اليتيمة ولولا « دواوينه الشعرية » التي تطفح بشعور فياض ولولا بعض المقالات والخواطر التي ترك فيها الحرية لقلمه ليعبر كما يشاء عن مشاعره الخاصة واحساساته الذاتية – اقول – لولا هذا النوع من الانتاج الذي نستطيع بواسطته ان نعرف العقاد لما كان للعقاد وجود خاص وكيان قائم يعرفنا به وبمدرسته الكبرى وليس العقاد الذي يليق ان يكون وحده مثالنا الحي في هذا الباب فامامنا عدد من الشعراء والكتاب في اوربا وامريكا وحتى في افريقيا لم يحتلوا مقاما مرموقا الا بواسطة انتاجاتهم الذاتية التي تتجلى في دواوينهم ورواياتهم وقصصهم والتي تعبر لنا بكل وضوح عن وجودهم الخاص وكيانهم الذاتي الذي يمثل امامنا كلما قرأنا لهم قصة او رواية او ديوانا ذلك ان هذه الرواية او القصة او المسرحية او الديوان تكون لنا صورة صادقة عن حياتهم الخاصة وتعطينا نظرة كاملة نستطيع بواسطتها ان نعيش مع الشاعر او الكاتب تجاربه الشخصية ونحس معه بنفس الانفعالات والتاثيرات التي كانت تهزه كلما راود القلم للكتابة والنظم .

ومن البديهي ان هذا الشعور الفردي الذي يخامرنا ونحن نقرأ انتاج كاتب من الكتاب او شاعر من الشعراء يختلج في نفس مختلف القراء الذين لا يقبلون على قراءة انتاج ما الا اذا استحوذ هذا الانتاج على مشاعرهم وعز كيانهم وتجاوبت افكاره مع حشو حناياهم وانصهرت مع اعماقهم وسوف لا يحصل كاتب من الكتاب على النجاح المأمول ولا يتوصل الى ايجاد عدد كبير من القراء المعجبين به والمقدرين لجهوده الا اذا كرس قواه وعبأ طاقته لمخاطبة هؤلاء القراء بكل ما يتفق واهتماماتهم وينفعل مع مشاعرهم . والكاتب الحق من توفر على قلب يخفق لخفقان مجتمعه وذهن وقاد يدرك مشاغل قومه فيعكف على عرضها بكل نزاهة وتجرد وتفان واخلاص محاولا اصلاح ما هو جدير بالاصلاح وعلاج ما يمكن علاجه دون ملل ولا عياء والشاعر الحق من تغنى باهازيج بني وطنه اولا وباغاني الانسانية المحيطة به في القرب والبعد ثانيا . وما نقوله عن الكتابة والشعر قد ينطبق بصدق على كل مظاهر الفن من موسيقى ورسم ... ومما لا ريب فيه ان سبب انحراف جماهير المواطنين من رسامينا ورجال الموسيقى عندنا ترجع الى انصراف هؤلاء الرسامين الى الاشغال في اطار مدارس فنية عنا وعن جماهيرنا الشعبية كما ترجع في قضية الموسيقى الى وقف هذا الفن الرفيع على مواضيع سئم منها الشعب وضجر منها المواطن العادي ضجره من البلوى والوبال . الفن الخالص لايقبل ان يعرض بثمن بخس في اسواق التملق والزلفى والميع والخلاعة وانما يقبل ان يكون اداة تخدم المجتمع ومصالح المواطنين وتتناسب وميولهم وبيئاتهم .

ويحسر الفنانون الذين يظنون ان الشعب لا يقبل على انتاجهم لان هذا الشعب في نظرهم لا زال منحط المستوى الفني وانه بعيد كل البعد عن تذوق الفن الرفيع . فما دامت القطعة الموسيقية او اللوحة الفنية او الانتاج الادبي سواء كان نظما ام نثرا يتجاوب مع شعور المجتمع فان المواطنين سيقبلون على على ذلك الانتاج على اختلاف مستوياتهم الثقافية وبيئاتهم الاجتماعية . فكم من قطعة شعبية تهتز لها نياط قلوب كبار الادباء وعظام الفنيين والعلماء . وكم من قطعة يظن صاحبها انها مثال في السمو والعلو العلاء ولكنها لا تحظى بالتفاتة من احد لان صاحبها لم يراع عند وضعها التجاوب الضروري بين انغامها او الوانها او سطورها وبين الاوتار الانسانية الخفاقة بين كل جناح . وتلك لعمري عقدة المأساة الادبية والفنية التي نحياها اليوم تتجلى لنا في ابتعاد الكتاب والشعراء ومجمل الفنانين والرسامين والمصورين من الشعب فانت تجد هذه المأساة في الموسيقى العهيدة عندنا والجديدة كما تتجلى لك في انتاج الكتاب والشعراء الاتباعيين والمجددين ، وكما تقف عليها في محاولاتنا الروائية والمسرحية الكلاسيكية تلاحظها في ابحاثنا التاريخية وكل ما له اتصال بعيد او قريب بتراثنا الفكري والحضاري وكما تواجهك في الحفلات والمواسم الادبية على قلتها تعثر عليها في خطب الجمع التقليدية التي اصبحت بمثابة نسخ مكررة لا تنفخ روحا في سامع ولا تترك تأثيرا في حاضر .

* * *

لقد سبق لنا ان تعرضنا في الجزأين الاول والثاني من هذا البحث الى ضرورة تشبع المثقف في بلادنا بفكر مغربي حتى لا يبتعد في انتاجه الفكري وعمله الادبي عن الوسط المغربي وحتى يحصل بينه وبين المواطنين تجاوب متين ورباط مكين وحتى يكون لنشاطه الفكري اثر فعال في تحسين احوال المجتمع ورفع مستوى الطبقات الاجتماعية في مختلف الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كما تعرضنا لظهور فريقين من رجال الفكر والادب في صفوف المثقفين المغاربة حيث بسطنا القول حول الفريق الاول من هؤلاء المثقفين الذي تجند اصحابه الى احياء تراثنا القديم وابراز مقوماتنا الثقافية وانكبوا بكل اخلاص وحسن نية على الدراسات اللغوية والابحاث العلمية في التاريخ والادب والعلم بصفة عامة .

وقد ظن ارباب الفريق الثاني ان الحل ايسر مما يتصور فاقبلوا على الانتاج الاوربي ظنا منهم ان الخير كل الخير في اتباع اوربا الفكرية كما كان الخير في اتباع اوربا الاقتصادية والصناعية . وقد واجه ارباب هذا الفريق الادب الاوربي بكل ما يستحقه من العناية وما يتطلبه من الرعاية وانصروا في حلبة التيارات الادبية التي تتصارع في اوربا والموجات الفكرية التي تغمر هذه القارة حتى اذا ادركوا سر عظمة الكتاب الاوربيين وسبب نجاحهم بعد ما ارتموا في احضان انتاجاتهم وارتووا من

حياض افكارهم ارادوا حمل كل ذلك الى بلادهم وغرسه بين مواطنيهم متناسين ان البذور لا تنبت صالحة الا في ارضها وان محاولة غرسها في بقعة اخرى تتطلب من الاحتياطات والامكانيات ما يعسر تحقيقه في كثير من الاحيان .

وقد ساعد الحظ هذا الفريق من المواطنين المثقفين فزخرت المجلات الثقافية عندنا بانتاجاتهم المحترمة وغنيت الصحف الوطنية بمقالاتهم المتعددة وقصصهم الكثيرة ومما زاد اعضاء هذا الفريق ثقة بانفسهم وايمانا بكتاباتهم ما نشاهده اليوم من اقبال دور النشر في الشرق العربي على هذا الادب الاوروبي والامريكي وعرضه على القارىء العربي في حلل مختلفة وانواع متباينة حتى يجد لذته فيه وبغيته منه . وقد اعتقد انصار هذا الفريق ان خير طريق لنمو الادب العربي وتطوره هو اتباعه لطرق الآداب الاجنبية واستعابه لمدارسها الكبرى وتجاوبه مع تياراتها المختلفة واتجاهاتها المتعددة .

والحقيقة ان هذا الاعجاب بالثقافة الاجنبية لا يخلو من خطر لانه يدعونا الى تقليد الاجانب ويخلد في نفوسنا آثار الاستعمار الفكري الذي كان ارباب الفريق الاول من مثقفينا من اشد خصومه واعدائه كما يربي فينا الاعراض عن شؤون مجتمعنا وقضايا اخواننا المواطنين . اليس من ترف التفكير ان تجد كتابا مغاربة يوقفون نشاطهم الادبي على دراسة مؤلفات سارتروايونيسكو وسيمون دوبوفوار وكامو ويونغ وجاسبير الخ ... ويتكلمون بسهولة عن الوجودية والسوريالية وغيرهما من المدارس الادبية الاوربية والمذاهب الفكرية الاجنبية ؟ اليس من ضروب الترف الثقافي ان نكثر القول عن الالتزام حتى يجرفنا تياره القوي ولا نحاول تطبيق هذا الالتزام على انتاجنا؟

اليس من ارستقراطية التفكير ان نقوم بتحليل شخصيات مسرحية اجنبية ونعرض عن الشخصيات التي تلعب دورا عظيما في مجتمعنا ووسطنا ؟

ان دراسة الآداب الاجنبية قصد الوقوف عليها وعلى الوسائل الفنية التي استعملها اصحابها امر لا ينكره الا مكابر وان الارتواء من معين الثقافة غير العربية بغية معرفة اساليب التفكير عند الامم التي سبقتنا في مضمار الحضارة الجديدة والتمدن الحديث لا يضير مثقفينا في شيء . ولكن الواجب يقضي بان لا يدفعنا هذا الى تهافت قد يبلغ مبلغ العبادة بحيث يصبح كل ما هو غير ذلك طعاما غثا لا يسمن ولا يغني من جوع .

واذا كنا قد اخذنا باسباب التطور الصناعي والتقدم الاقتصادي اللذين عرفتهما اوروبا فان ذلك يرجع لكون اوروبا عرفت الآلة قبلنا ورأت البخار واستعملته في فترات كنا لا نزال نغط في نومنا كما يرجع الى ان الآلة والبخار لا يتطلبان اصالة في الوجود والايجاد بل يكفي ان تتوفر وسائل صناعتهما لأحد من الناس ليصبح صاحبهما الاول وربهما المسؤول . اما في ميدان الفكر والادب فان الامر يتعلق بمقومات عديدة يتعين احترامها وعدم الخروج عنها . ومما لا ريب فيه ان اولى هذه المقومات الشعور الانساني الذي يغمر مجموعة ما من البشر تعيش في بقعة ما وفي وسط ما ، اما ثانية هذه المقومات فهي اللغة التي لا يمكن ان تتجاوب مع هذه المجموعة البشرية الا اذا كانت تعبر عن مشاعرها وعواطفها والا اذا كان كل حرف منها يجد صداه القوي ومفعوله المتين في نفوس افرادها واذا اضفنا الى اطار هذه المقومات اصالة التفكير عند هذه المجموعة وميول اصحابها واهدافهم وغاياتهم واسباب وجودهم وعوامل تطورهم وكيفية عيشهم ومميزات احوالهم الاجتماعية ادركنا ان الادب بمفهومه الكامل لا يمكن ان يوجد في بيئة من البيئات الا اذا كان محافظا على هذه المقومات متوفرا على الشروط التي تتطلبها والظروف التي تحيط بها .

اذن فوجود ادب مغربي صميم متوقف على ادباء ومثقفين يعتبرون الحقيقة المغربية بعد ان يدرسوا جوانبها ويلموا بجزئياتها ويسبروا اغوار اعماقها وينصهروا في بوتقتها ويحيطوا بجميع عناصرها وسوف لا يكتب الخلود لهذا الادب كما هو الشأن بالنسبة للآداب العالمية الا اذا كان ادبا ذا كيان خاص ووجود شخصي ، وسوف لا يستطيع النقاد ان يتكلموا عن ادب مغربي الا اذا كان هذا الادب يتحدث عن المجتمع المغربي ويهتم بالتجربة المغربية . اما اذا كان هذا الادب مدينا لوجودية سارتر او كان نسخة مكررة صادقة كانت ام ممسوخة من الآداب الاجنبية فانه لا يحظى ابدا بوجود ذاتي وكيان شخصي لانه سيكون بعيدا عن الذاتية الوطنية غريبا عن ملامح مجتمعنا .

وقد سرني جدا المقال القيم الذي كتبه استاذنا واخونا محمد زنيبر في العدد الثالث من مجلة « اقلام » تحت عنوان « الواجب الاول على الكاتب : العودة الى المجتمع المغربي » والذي رد فيه باناة وتبصر على انصار هذا التهافت على ثقافة اوربا وادبها موضحا الاخطار الجسام التي يمكن ان تنتج عنه ومبينا بعد هذه الثقافة الاوربية وهذا الادب الاوربي عن آفاقنا ومشاغلنا الفكرية بالمغرب . وقد استغرب الاستاذ زنيبر ان يكون عدد من الكتاب الاجانب الفوا الروايات والقصص والرحلات والابحاث المختلفة عن المغرب ، بينما نرى كتابنا الوطنيين ينصرفون عن مجتمعهم ليكتبوا عن آداب البلاد الاوربية كما ذكر الذين قد يرون في هذا العمل تبادلا ثقافيا دوليا بان (هذا التبادل غير مقصود وهو على اي حال صفقة فيها غبن لنا)

وبعد ان حلل الاستاذ زنيبر كيف ان الكتاب الاوربيين اهتموا بادى ذي بدء بالكتابة عن بلادهم تساءل عما يمكن ان

يستفيده القارئ المغربي من قلق «جيد» وحيرة «ووجودية «سارتر» و«كامو» وعما يمكن ان يهم جماهير القراء المواطنين من المذاهب الفكرية والادبية كالسريالية والدادائية والرمزية وغيرها ثم قــال :

« بل لا بد ان تكون لنا نحن ايضا تجربة قومية صحيحة نابعة من حياة مجتمعنا وصراع جماهيرنــا ومشاكل وطنـنــا وعقلية شعبنا والتفاعل مع ماضينا وحاضرنا . وما علمنا ان جيدا وسارترا او كاموا وموررياك حينما يفكرون او يكتبون كانــوا يتناسون الواقع المحيط بهم ، ومن ذلك الواقع الخاص الذاتي الضيق استطاعوا ان يصعدوا بفنهم وعبقريتهم الى القيم الانسانية. افلا نستطيع . نحن ، من جهتنا ، ان نكتشــف الانسـان في طرافته المتجددة ، من خلال تجربتنا في عقر ديارنــا ووســط خيامنا واكواخنا ودورنا ؟ .... »

ولعل الاستاذ زنيبر خير من يعتمد في هذا المضمار لانــه يعد من الشباب المغربي المثقف الذي اغترف من هذه الثقافــة الاوربية حتى ارتوى من معينها الفياض ولكنه ما ظن يوما من الايام ان هذه الثقافة قد تتجاوب ورغبات الجماهير المغربية بل كان يعتقد دائما انها بعيدة عن ديارنا بعد ابنائها عن بلادنا . لهذا نجده يتسلح بثقافة عربية متينة جعلته لا يخرج عن وسطـه المغربي ولا يرضى بان يكون آلة اجنبية تتحرك في بيئة محددة المعالم واضحة الملامح .

وقد احسن الاستاذ زنيبــر صنعا عنــد ما رد الامــور الى نصابها واكد لارباب هذا الفريق الخطر العظيم الذي يهــدد ثقافتنا والذي يمكن ان يتسببوا فيه .

حقا . ان تطور العلاقات الدولية يفرض على جميـــع الشعوب ان تتعارف وتتحالف كما يفرض على الثقافات المختلفة ان تتصل وتتفاعل ولكن هــذا التطــور لا يفرض على الامــم والشعوب ان تقضي على شخصيتها بل ان هذا التطور لم يتم على الصعيد الدولي الا لتؤكد كل امة وجودها وتفرض ذاتيتها .

وكيف تستطيع امة من الامم ان تفرض هذا الوجود اذا ما لم تفرضه بأدبها وثقافتها خصوصا اذا كانت ضعيفة الجانب من الناحية العسكرية ومقصوصة الجناح من الوجهة الاقتصادية انها مهمة عسيرة لن يستطيع القيام بها الا المثقفون الذي يشمرون عن ساق الجد ليقدموا للامم والشعوب الاجنبية صورة صادقة من بلادهم ومجتمعهم بواسطة مؤلفاتهم التي تصور مشاعر مواطنيهم وانتاجاتهم التي تعتبر مرآة تنعكس عليها الحيــاة الاجتماعيــة في اوطانهم وديارهم . اما ترديد ما يروج في الاقطار الاخرى فلا يخرج عن اطار الاجترار والتكرار .

وخلاصة القول فان بلادنا اثناء هذه الظروف في حاجة الى تفكير مغربي ينبع من صميم المجتمع ويتجاوب مع امانــي جماهيرنا الشعبية وآمالها ويصعد من اعماق مثقفين وطنييـــن يجعلون همهم الوحيد وشغلهم الاكيد التعبير عن مشاغل المواطنين واحوالهم الاجتماعية حتى تجد كتاباتهم اصداء داخــل حــدود الوطن اولا وخارج بلادنا ثانيــا لان الشعــوب لا تنتظــر من الاجانب ان ينبغوا في علومها ويبرعوا في آدابها ولكنها ترمق بعين الحذر والاكبار كل تجربة وطنية تجري في اقطار اخرى حتى تقف عليها وتستفيد منها .

والمفكر المغربي الصادق هو الذي يستطيع ان ينغمر في مشاغل مجتمعه ويندس بين صفوف الجماهير ليستخــرج منهــا خلاصة تجربة شعبية وعصارة فكرية لا تخرج عن الاطار الوطني .

نعم . ان من واجب المثقفين ان يكونوا بمثابة المشاعل التي تضيء الطريق للجماهيــر ليهدوهــا الى السبيل القويمــة ويشجعوها على المضي قدما اليها ويشعروها بالاخطار التي قد يشعرون بها ، كما ان على المفكرين والمثقفين ان يكونــوا في مقدمة شعوبهم حتى لا تظل هذه الشعوب الطريق وتسير نحــو المستقبل وهي تخبط خبط عشواء ولكن هذا لا يمنعنا من التذكير بقولة ماركس الخالدة : « يجب على المثقفين ان يسبقوا شعوبهم في الطريق ولكن ينبغي ان لا يتعدى هذا السبق خطوة واحدة » ذلك ان ابتعاد المفكرين بخطوات قد ينسيهم ان وراءهم شعوبا تترسم خطاهم ، وتتطلع الى لقياهم وتتمنى ان تتملى برؤيـة محياهم ، ولعل هذا ما حدا بالصينيين الى اتخاذ المثل التالــي رائدا لهم في حياتهم : « ان الشعب بالنسبة للقادة والمفكريــن كالماء بالنسبة للاسماك اذا خرجت منه انقرضت وماتت » .

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

ظلال لغوية في الأمثال المغربية

للأستاذ : عبد القادر زمامة

في البحث المنهجي عن الامثال المغربية الذي نشرت ــ مدخله ــ مجلة ــ البينة ــ في شهر اكتوبر 1962 م اشرت الى التسجيل الحي الذي احتفظت به هذه الامثال لجانب مهم من لغة التخاطب في المغرب ، باعتبار المثل مرآة تنعكس على صفحتها ظلال لغوية واجتماعية واخلاقية وتاريخية ...

وفي هذا الفصل عن الامثال المغربية نتناول ظلالا لغوية احتفظت بها هذه الامثال وهي في حاجة الى مزيد من الدراسة والبحث لتفهم الرواسب اللغوية التي ما زالت محتفظة بوجودها رغم تطاول العصور والازمان . واذا قلنا الرواسب فاننا لا نعني شيئا زائدا على المدلول اللغوي لهذه الكلمة .. اذ من المعلوم ان هذه الكلمة اصبحت لها دلالات اخرى في بعض الاقلام ...

فعند ما نسمع المتحدث المغربي يتكلم واصفا او مخبرا او ناصحا او متهكما نجد ان هناك الفاظا وتعابير وكنايات من صميم اللغة العربية الفصحى تاتيه عفوا ولا سيما حينما يعمد الى ضرب الامثال والامعان في استخلاص التجارب والتشبيهات ... وهذه امثلة لذلك :

— 1 —

يتحدث المغربي عن قوم حضروا بقضهم وقضيضهم فينقل ذلك الى صورة موثرة لها ظلال لغوية فصيحة فيقول :

« جاو ساقة ومقدم »

فهذه الصورة صورة جيش عربي خماسي الكتائب : جنحان، وقلب ، ومقدمة ، وساقة ... واذا حضر من الجيش مقدمته وساقته فلا شك انه حضر باجمعه فالكلمتان : ساقة . ومقدم . ظلال لغويان قديمان من صميم الفصيح ، والتعبير ، جار على الالسنة المغربية في الحواضر والبوادي ، مستعمل استعمال الكنايات المفهومة المدلول الاجمالي .

— 2 —

يتحدث المغربي عن وعاء او اناء مليء حنطة او شرابا او طعاما فيقول :

ــ طاق ما حمل

ويحكي الضيف ما لقيه من الاكرام عند مضيفه ويصف صحاف الطعام بانها ــ طاقت ما حملت ــ

والغريب في الامر ان التعبير المغربي احتفظ باستعمال كلمة ــ طاق ــ الشيء بمعنى قدر عليه وهو من الفصيح الذي يكاد يكون مهجورا في الاستعمال لان المستعمل بكثرة هو ــ اطاق ــ الرباعي . لا ــ طاق ــ الثلاثي .

— 3 —

ويتهكم المغربي بمن يهدده او يتوعده فيقول له :

ــ طيل في الماء حتى يقسح ــ

فكلمة ــ يقسح ــ مضارع قسح بمعنى صلب ، وهي كلمة قاموسية تكاد تكون مهجورة الاستعمال ولكنها رسبت في التعبير المغربي منذ اجيال ...

— 4 —

وهناك المثل المغربي الذي يتمثل به كل من لم يجد خيرا عند اهله وذويه ووجده عند غيرهم :

ــ البراني للبراني رحمة ــ

فالبراني نسبة الى البر على غير قياس وهي تعني الاجنبي، عكس الجواني التي تعني الداخلي نسبة الى الجو على غير قياس ايضا ... ويروى : من ــ اصلح جوانيه اصلح الله برانيه ــ

— 5 —

ويتحدثون عن الرامي الماهر الذي يصيب هدفه عند الرمي فيقولون في ذلك :

شـــواه ... :

اي اصاب مقتله وارداه قتيلا ... وهذا الاستعمال هو ما ذهب اليه بعض اللغويين واختاره المجمع اللغوي بالقاهرة في — المعجم الوسيط —

وان كان صاحب القاموس المحيط يرى ان — شواه — لا تعني اصابة المقتل وانما تعني اصابة — الشوى — اي الاطراف ...

— 6 —

ويصفون الملحاح الحريص على الشيء فيقولون :

حرسي ، او مدرسي .. !

فكلمة — حرسي — تعني الشخص المنسوب الى الحرس فهو اذن شرطي مكلف بمهمة يريد انجازها من غير هوادة .. : وكلمة — مدرسي — تعني الشخص المنسوب الى المدرسة وهو الطالب الذي يكون عادة حريصا على انجاز ضرورياته بتيقظ وحدة ...

والتعبير باخذ صيغة الاستفهام ... كأن المتكلم به يقول لمخاطبه : أأنت شرطي ... ام طالب ... ؟

— 7 —

وينصح المتكلم غيره بالاقلاع عن العجلة في استرضاء الغضبان الساخط الذي لا يزيده الاسترخاء الا تطاولا وجبروتا فيقول له :

« خليها في جواها ... »

والجواء كما في القاموس المحيط : شبه جورب لزاد الراعي ... فهو اذن كيس او غشاء كان مستعملا عند العرب بهذا اللفظ ...

والاستعمال المغربي جعل الجواء بمعنى غشاء السكين او غمد السيف . وكان هذا الاستعمال شائعا الى درجة انهم سموا صاحب هذه الحرفة : جواي وجمعوه فقالوا : جوايين ، وهم المحترفون بصناعة الجواء ...

وما زالت سوق الجوايين معروفة بهذا الاسم الى الآن ، وبها بعض بقايا هذه الحرفة ... في مدينة فاس ...

— 8 —

وتجدهم يتهكمون على المتعاظم المتغطرس المتعالي فيقولون له :

— السلام على الرخ العالي في البرزخ —
وكل من — الرخ — و — البرزخ — شهير في اللغة .

— 9 —

وعند ذكرهم لبحث كل انسان عن رفيق او صديق او مخالط يشابهه في الغنى او الفقر او الخير او الشر يقولون :

— الذهب يفتش على الذهبان ، والقمل يفتش على الصيبان —

ومعنى المثل ان الطيور تقع على امثالها

والذهبان جمع مفرده ذهب ، المعدن المعروف ، والصيبان جمع مفرده صؤابة وهي بيضة القمل ...

وقد احتفظ هذا المثل بجمع الذهب على ذهبان ، كما احتفظت بقعة معينة في مدينة فاس باسم : — سويقة الذهبان — وهي مجاورة لحي — الصاغة —

وكل من الصاغة — جمع صائغ — وسويقة الذهبان — جمع ذهب — كان في تاريخ فاس القديم مكانا لصياغة الحلي وبيعه

— 10 —

— بع التبان وزد في راس المال —
والتبان : سراويل قصير كما في القاموس المحيط

— 11 —

— كل دواي مسوس —

يعني كل مهذار لا ينال من الناس قبولا ولا انصاتا فهو بمنزلة الطعام — المسوس — اي الذي لا ملح فيه .

والاستعمال العربي الفصيح لهذه الكلمة هو :
1 — انها على وزن فعول كصبور
2 — انها تعني الماء بين العذب والملح
والاستعمال المغربي جعلها دالة على الطعام الذي لا ملح فيه

— 12 —

ويظهر انسان التمنع من شيء مع انه مرغوب فيه محبوب لا وجه لكراهته ولا لعيبه فيقال اذ ذاك :
— آح بالنخالج : الزبدة حرشا ، والسكر مالح .. ! —

فكلمة جرشاء مؤنث اجرش وهو لفة الخشن . والمادة لغوية قاموسية ، وكلمة مالح : وصف اختلف فيه اللغويون قديما بين مثبت ومنكر ...

— 13 —

وعند التحدث عن شيء جميل مع وجود عيب فيه يقولون :
— كل زين فيه لولا ... —

وبعضهم ينطق به — لولة — ولا شك ان حرف — لولا — دال في الفصيح على امتناع شيء لوجود علة او شيء في معناها..

— 14 —

ويتحدثون عن السفيه السباب اللعان الذي لا يجيبه الناس استهانة به فيقولون :
— كلب في الساجور —
وكلمة — ساجور — كلمة قاموسية معناها خشبة تعلق في عنق الكلب ... وسجره شده بها ...

— 15 —

ويتهكمون بالانسان الحديث عهد بالنعمة فيقولون :
— كست الفارة غرارة ، وكسب الفار قطيفة —
وكل من الغرارة . والقطيفة قاموسية

— 16 —

ويقولون في التناصف :
— كلمة شرعية ، اليوم عليك وغدا علي —

— 17 —

ويقولون في تمجيد الكتب :
— الحكمة المخفية ، سيدي خليل والالفية —
وهذا المثل ظل لاهتمام المغاربة الشديد بمختصر الشيخ خليل في الفقه ، والفية ابن مالك في النحو .

— 18 —

ويقولون ايضا :
— بع الدار ، واشر الاذكار —

والاذكار هذا هو كتاب — الاذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار — للامام النووي ، وهو من كتب الوعظ والارشاد التي كانت متداولة بين الناس .

— 19 —

ويقولون للرجل العارف بالاخبار والآثار :
في راسو كتاب — القرطاس —
وهذا ايضا من ظلال الاهتمام بهذا الكتاب

— 20 —

ويقولون عند سقوط الثلج
— اذا ثلجت خلجت —
والقواميس لا تكاد تعرج على — ثلج — المضعف اكتفاء بأثلج ، ولكن مع ذلك لا اراها الا فصيحة ...
واما كلمة — خلج — فهي تعني كون خلجانا وغدرانا من الماء وذلك ما يستبشر به الفلاحون ... وهي بهذا المعنى ليست قاموسية ... ولكن الظل اللغوي يجعلنا نظن انها من الفصيح المنسي ... لا سيما وقد ابيح الاشتقاق من الاسماء الجامدة غير المصدر ...

— 21 —

وهناك ظلال من اللهجة البربرية في الامثال المغربية .. فنجدهم يقولون مثلا :
الشعر في الكنبوش ، والرجل في الهركوس ، لا زين الا زين الخنشوس —

فكل من الكنبوش ، وهو غطاء رأس المرأة ، والهركوس ، وهو الحذاء ، والخنشوس وهو الوجه . كلمات بربرية معروفة .

هذه بعض الظلال اللغوية في الامثال المغربية . وهناك ظلال اخرى نرجو ان نراها في القريب .

فاس : عبد القادر زمامة

صيانة الوثائق وأهميتها في التاريخ

للأستاذ : محمد كليطو

- 3 -

يلاحظ القاريء الكريم في هذا البحث انني ركزت اهتمامي فقط عن الوثائق بدولة اجنبية « وهي فرنسا من حيث نشأتها التاريخية والاطوار التنظيمية التي مرت منها » .

واشير ان ذلك ليس اهمالا مني لتراثنا العربي ولا نكرانا لاهميته ، وانما اردت ان اجعل هذه الدولة كنموذج وكمثال يقتدى به لانها في الواقع قد حازت قصب السبق بالنسبة لجميع الدول في هذا الميدان ، واعطت الدليل على انها دولة فاقت كل الدول فيما يخص تنظيم الوثائق وصيانتها ، واذا ما كنت اهدف من وراء ذلك الى شيء ، فانما اهدف الى ان ابلغ لمواطني الاعزاء الدعوة بضرورة الاهتمام والعناية بوثائقهم ، لان الوثائق في الواقع تعد بالنسبة للدولة وللامة على السواء ، مصدرا اساسيا ، يرجع اليه المهتمون بالتاريخ ، لاستمداد الحقائق التاريخية من شأنها ان تكشف عن حضارة ومجد ما كان في وسعهم معرفتهما لولا هذه الوثائق ، ولاعطيهم — من جهة اخرى — المثال على ان الدولة التي تولي الاهتمام الكبير بتنظيم الوثائق ، وصيانتها هي الدولة التي يخلد مجدها على مر الازمنة والعصور لانها سجل تاريخي تاخذ منه الامم صورا ناطقة عن حياتها الماضية التي مرت خلالها وقائع واحداث لتجعل منها صرحا ترسي عليه مجدها الحاضر .

وهذا الحديث هو عرض لصور سجلتها خلال فترة التدريب التي قضيتها في دار الارشيف الوطنية بباريس وتتناول ناحيتين: 1) الناحية الفنية ، فيما يرجع لطرق تنظيم الوثائق بفرنسا وتبويبها تبويبا فنيا متقنا باحدث الوسائل والطرق العصرية ، 2) والناحية التاريخية من حيث المراحل والاطوار الزمنية التي مرت منها الوثائق بفرنسا ، واشير الى ان هذه الرحلة التدريبية التي مكنتني من تدوين هذه المعلومات التاريخية وافادة القاريء العزيز بها ، يرجع فضلها في الواقع الى معالي وزير التعليم السابق وعميد الجامعة المغربية الحالي السيد محمد الفاسي الذي لم يأل جهدا في اتاحة هذه الفرصة لنا ، وهو الذي لم يبخل بمقابلتنا في فرنسا — حينما كان موجودا هناك 1958 لاجل ربط علاقات ثقافية بين المغرب وفرنسا — رغم ضيق وقته وتعدد مهامه — فقد تقابل من اجلنا مع المدير العام للوثائق الفرنسية م . بريبان (Braibant) لوضع برنامج خاص بنا يتضمن خطه العمل اثناء المدة التي مكثنا فيها بفرنسا وقد استفدنا من ذلك بالفعل وحصلنا على معلومات — نظرية وتطبيقية — ساعدتنا على اتمام معلوماتنا المهنية والقت ضوءا ناصعا على النواحي التي كانت خافية عنا من هذا القبيل .

ومن حقي ان انوه كذلك بالاستاذ السيد عبد الكريم بن جلون الذي لم يتردد في ارسال امين مكتبة وزارته — السيد عبد الكريم الادريسي — صحبتنا لما كان وزيرا للعدل ليستفيد بدوره من هذا التدريب شأن زميله بالمكتبة العامة .

وقد آن لي ان ادخل الى صلب الموضوع وسأشرع في سرد فصول ، قسمتها حسب اهميتها التنظيمية لأتكلم عن كل فصل منها في اسهاب ولكن قبل ان ابدأ في ذلك يجب علي ان اعطي للقاريء الكريم نظرة مبسطة عن تاريخ الوثائق بهذه البلاد وعن الظروف الزمنية العسيرة التي مرت منها لان ذلك سيساعده على تكوين صورة مكتملة الملامح في ذهنه ، وسيمكنه من فهم الجانب الفني لهذا العرض لان فصل الناحيتين — الناحية التاريخية والفنية — وعدم ربطهما لا يفيدانه في اي شيء .

دور الوثائق بفرنسا

فكرت الامة الفرنسية — (بعد نكبة الوثائق بفريتفال بانهزام الملك فيليب اوجيست) ان تجعل فروعا في جميع المدن والقرى ، وان تكون هذه الفروع تابعة للادارة الملكية الكائنة بقصر اللوفر في العاصمة ، ومنذ ذلك الحين ، وعدد الفروع يزداد يوما بعد يوم والوثائق تنمو بكثرة في كل مكان، واسندت مهمة تنظيمها الى رجال اكفاء فقاموا بالسهر عليها ونظموها على الطريقة التي كانت ملائمة انذاك الى ان حان القرن السابع عشر فأنشأ جناح خاص بالمستودع العام للمحافظة على مستندات وزارات : المالية والحربية والشؤون الخارجية .

ولم تكن الوثائق من ذي قبل تابعة لاية وزارة او سفارة بل كانت توزع على مرحلتين ، اذ كانت تدفع منها نسخة للملك ليحتفظ بها ضمن مستندات القصر ونظيرها — اي نسخة عن طبق الاصل منها — يدفع للمركز الدائم او لمقر العمالة ورجال السلط بدعوى انها تحمل اسما من اسماء المسؤولين منهم ولقب المأمورية المسندة اليه فكان هذا الاخير يجد ان ذلك مبرر من

المبررات التي تدعوه الى الاحتفاظ بالوثيقة ، بصفة شخصية ، دون ان يكون له الحق في ذلك .

ولكنه سرعان ما تنبه المسؤولون الى خطورة هذه التصرفات التي من شأنها ان تعكس آثارها السيئة على هذا التراث العظيم فاصدروا امرا يقضي بمنع ذلك وبوضع حد له ويأمر في نفس الوقت بجمع الوثائق المبعثرة وضمها في مكان واحد يكون كمركز رئيسي لها وقد جاء في نصه ما يلي : (لا ينبغي لاي موظف كيف ما كان مقامه ان يأخذ الوثائق ويخزنها على حسابه بمنزله ، ولو كانت رسائل تحمل اسم شخص على رأس ادارة او لقب مسؤوليته المنوط بها على سبيل الافتراض ، فهي ادارية وانها تعتبر ملك للدولة وتحويلها من مكانها يعد اجراما .) وعلى الرغم من هذا كله فقد كانت بعض الشخصيات تستحوذ على الكثير وتحتفظ به لنفسها .

اهمية الوثائق وتقدير المجتمع لها

وما كاد يغرب القرن السابع عشر وتأتي طلائع القرن الثامن عشر حتى كانت الانظار ملتفتة للوثائق ولأهميتها في حقول التاريخ فاصبحت مكان تقدير واهتمام عظيمين من طرف المهتمين بشؤون التاريخ اكثر مما كانت عليه من قبل ، وعرفوا انها بمثابة موسوعة علمية تنطق بحقائق تاريخية هامة وخاصة انها اصبحت في عصر النهضة ذات انظمة وقواعد تيسر لكل باحث العثور على المادة التاريخية التي يريدها الامر الذي ساعده على ان يستخرج منها الشيء الكثير من النصوص التي لها علاقة بالتاريخ على جميع وجوهه ثم ادرج فنها كمادة من العلوم الحديثة فتوسع هذا الفن وانبثقت منه فروع اخرى سأتحدث عنها في الاحاديث المقبلة .

وكانت مدرسة « بينيديكتين »(L'Ecole Bénidictins) ـ وهي اول مدرسة في علم التاريخ بفرنسا ـ تقوم بدور هام وتشارك في هذا النشاط بغية في ازدهار النهضة واحياء للتراث الماضي الغابر فقد فتحت للعموم مخازن مجمع دير القديس مور(Saint Maure) المملوءة بالنفائس ونوادر الوثائق والتي كانت الابواب مقفولة عنها منذ زمن بعيد ولم يسبق لاحد ان عرف ما في جوفها من خبايا واسرار بل حتى البينيديكتيون (Les Bénidictines) وهم اعضاء المدرسة المذكورة ـ كانوا يجهلونها .

وفي الربع الاول من القرن الثامن عشر صمم المفتش العام للمالية والمسؤول عن الوثائق الاستاذ ماشولت ان ينسخ جميع الوثائق النادرة التي اهملت في بعض المؤسسات ولدى بعض الاحتكاريين ولم يسبق نشرها بفرنسا او خارج حدودها .

وقد جند ماشولت هذا نخبة من اهل العلم والناسخين واستغرق نشاط هذا العمل طيلة ثلاثين سنة الا انه لم يعط النتائج المؤمل فيها لكثرة وفرة النفائس العتيقة التي لم تمتد اليها يد العناية من قبل .

« الثــورة والوثائـــق »

حينما اندلعت الثورة الكبرى بفرنسا ، كانت جميع دور الوثائق ـ منها ما هو منظم ومنها ما هو غير منظم ـ مصونة ومحصية . وكان عدد المستودعات يعد بعشرات المئات في جميع الاقاليـــم .

والثورات السياسية بحكم التاريخ تعكس آثارها السيئة على كل مرافق الحياة وتخلف خسائر مادية كبرى في جميع مظاهرها سواء منها الثقافية ام الاجتماعية او الاقتصادية الا ان الثورة الفرنسية في الواقع تذكر لنا المصادر التاريخية للوثائق انها اسندت الى هذه الوثائق يدا بيضاء ، في صيانتها وحفظها ، وهذه المصادر لا تخلو من فصول تنوه بالعناية الكبرى التي اولتها الثورة للوثائق لفائدة المصلحة العامة ، فهي التي جمعت شتات الوثائق المبعثرة من كل مكان ومن دور العظماء والنبلاء واهل الذوات منهم ولاة الامم والبارونات (Barons) ـ وهي القاب تعطى لأنبل النبلاء ـ وادخلت عليها تحسينات ثم الحقتها بسوابقها بعد ما كانت متفرقة ونظمتها تنظيما متقنا .

وفي عهد الثورة ايضا صدر مرسوم يقضي بتأميمها وطبق هذا المرسوم على جميع المؤسسات العامة وحتى على الكنائس التي تدخر الشيء الكثير من الوثائق ، ثم فتح بحث المراد به اكتشاف من لم يمتثل لهذا المرسوم واداته امام القضاء . ولقد امتثل الكل سواء عن طواعية او اكراه ومع ذلك فان بعض الاشخاص وهم من انصار الثورة لم يطبق عنهم هذا القرار فاحتفظوا بصفة استثنائية بما لديهم . وهذه الذخائر لا زالت عند هؤلاء ، وجلها لم يعرف عنه شيء الى حد الآن . اما الحكومة فرغم تأكدها من ذلك فهي لم تشدد عليهم ، لكنها قيدتهم بقرار يمنع بيعها للاجانب وتصديرها للخارج وتركت لهم الحرية الكاملة وفتحت المجال لمن اراد بيعها ، فالحكومة تقتنيها منه بالثمن الذي يناسب اهميتها ويوافق مالكها ، وبالفعل فقد نالت دار المحفوظات الوطنية وفروعها الشيء الكثير من ذلك ثم ان كثيرا من الناس ـ من جهة اخرى ـ قد تبرعوا تلقائيا بوثائقهم خشية ضياعها والادارة لحد الآن تأمل ان ينتبه كل من يملك وثائق الى الفائدة العظيمة التي ترمي اليها الدولة من صيانة الوثائق وحفظها فيسلم كل ما لديه بغية في ان يظل التراث الانساني مصونا من كل تلف .

« الوثائق بعد الثورة »

لقد كتب احد الخصوم من اعداء الثورة وهو المركيز دولا بورد (Le Marquis de Laborcle) الذي اسندت اليه مهمة سامية بدار الوثائق في عهد نابليون الثالث ومؤسس قسم الطوابع التاريخية ، الذي سأخصص للقراء حديثا عنه فيما بعد نظرا لأهمية هذا القسم – فقال :

« لقد فعلت الثورة من اجل المستندات ما فعلته من اصلاحات للجماعات والانديه فبالعنف انقلب الجيل وبالتهور انتهى ، فكان الانقلاب بالفأس والسدد بالمشعل ، كانت الغاية من الاول تحطيم مبادىء العهد البائد ومقاومة كل معاند للثورة ، اما غاية الثاني فقد كانت اثارة مشعل الحرية ليستدل به المرء الى الطريق السوي . فكم من مستندات غالية وثمينة ركمها الدهر منذ امد طويل في قصور العظماء محاطة بسور من الحديد ، فلا باحث يستفيد منها ولا طالب يدرس ما فيها او كاتب يميط عنها اللثام .

ولما بزغ نور المشعل وانار ضوء سماء البلاد ، تمكنت الدولة من الوثائق واصبحت في ملك الامة ، مصونة من التلف منظمة احسن تنظيم ، رهن اشارة كل من يتوقف عليها ويرغب في الاطلاع عليها .

لكن ، رغم هذا كله لم تنج من الفأس نفائس ثمينة (من هذه الوثائق) كان من صالح فرنسا ان تبقى في حيازتها وذلك لوجود رجال من اهل الفساد – ضمن رجال الثورة – ارادوا الانتقام ليسيطروا بحد السيف لضمان الاستقرار خشية من عراقيل تعوقهم لتحقيق اهدافهم ، فكانت الاوراق البالية في نظرهم لا قيمة لها بعد ما دفع كل من كانت لديه جزء منها بكامل الحرية وساد الاطمئنان عليها في البلاد ولم يعد يخشى عليها اي خطر ، لكنها كانت هي ايضا ضحية لاهل العناد وبكل اسف وبدون مبالغة – على حد قول الكاتب – : فانه من سوء الحظ وقع خطأ عظيم وفادح ليس له مثيل ارتكبه المسؤولون عنه . حيث اطاح مشعل الحرية بكثير من الوثائق ، لا ادري أكان ذلك قصد الفرح ام الاقناع لفائدة السلطة وسيطرة النفوذ ام هناك مناورة كانت تسعى لتدميرها ، اذا اتاحت لبعض الاقطاعيين ان يبددوا بمصالح الامة ويحطموا وثائق من تلك المروج تحملت فرنسا وحدها خسارتها حينما التهمت النيران وثائق قيمة لم يعرفها احد من قبل ولم يعلم عنها احد من بعد والشيء المؤسف هو انهم فعلوا ذلك من اجل صنع فسك للمدافع عند ما اعلن الوطن حالة الطوارىء ، وجل هذه الوثائق هو على رق الغزال . اما ما كان مدونا فيها لا يعلم به سوى الله .

وبالرغم من هذا فان الكنز لا يزال غنيا ، فاذا تناول المرء سجل الاحصاء وراجع سلسلة حرف – s – (س) وهي المجموعة التي تحتوي على وثائق اهل الحنطات وتراجمهم والتي طالما دعا بعض المسيرين الى بترها وكانت عدة اوراق منها ضحية للحريق ، فيجد منها بدار الوثائق الوطنية 3984 كرطونا اي (صندوقا) مملوءة بالاضابر ، و 5250 مسجلا جمعت تاريخ حركة الحرف عبر العصور وهي تعد بمثابة تاريخ تطور الاقتصاد الوطني ، ومن هذا العدد الضخم يتضح لنا ان هيجان الثوار قد حافظ على الاصول اكثر مما يقال عنه في الواقع او ما لا يصدق به من الاشاعات التي اكدها لنا التاريخ – ويستأنف الكاتب قوله : ان الهيجان قد حطم اشياء نفيسة ومن جملتها الاوراق القيمة ، الى ان استتب الهدوء ورجع الى نصابه فصدر قرار بتاريخ 20 تموز 1789 ينص بضمانة المستندات واردفه قرار آخر بتاريخ رابع غشت من نفس السنة يتضمن تعيين امين عام على المستندات وهو المحامي للبرلمان ونائب مدينة باريس الاستاذ كاميس « Camus » وهو عالم مشهور من كبار العلماء وقع عليه الاختيار نظرا لاعماله التاريخية المعروفة . وفي 12 شتنبر 1790 وضع كاميس برنامجا جديدا ورسم خطة تنفيذه ، وسمي المستودع الملكي بدار الوثائق الوطنية (Archives Nationales) وانجز ترتيب ما كان متراكما من اوراق المجلس النيابي وبعد ذلك اصدرت الحكومة عقد التأسيس بتاريخ 15 جوان 1794 واسندت مأمورية العمل لنخبة من اهل الفكر لها المام بالتاريخ بعقدة موقتة لتتصفح الاوراق وتضع على طرتها المواضيع تمهيدا لترتيبها ، واثناء هذا العمل كلفت بتصفية كل ما كان يلطخ بسمعة التاريخ في العهد البائد (من ظلم وتعسف) .

وشرعت اللجنة المكونة من تسعة اشخاص وعلى رأسها الاستاذ كاميس في العمل وكان من المعين حسب الاتفاق المبرم ان تنهي هذه اللجنة اشغالها في ظرف ستة اشهر ، لكن استمر نشاطها بدون انقطاع بستة اعوام ولم تنه ما انيطت به حيث انهمكت في وضع الفهارس وترتيب الوثائق واتصال بعضها ببعض وتركت التصفية باعتبار انها عمل تحطيمي على حسب وجهة نظرها . (انتهى)

وبدون ريب فان هذه اللجنة قد احسنت في عملها بمحافظتها على وثائق كان من المقرر تحطيمها وفي هذا الاعتناء قد صانت اسرار وفكرت في ان الحقائق لا تنبذ من عالم الواقع وان لا تمحى من الوجود مهما كان نوعها وشكلها .
الحقائق لا بد منها ولو كانت مرة –

وقد اصبحنا الآن نرى ان التاريخ اخذ يقدر عمل هذه اللجنة التي ابى عنها ضميرها ان تفقد حلقة هامة من تاريخ بلادها ، ثم فرض عليها اخلاصها وامانتها ان تصون ذلك للاجيال القادمة تاركة لها مطلق الحكم والحرية في النقد لم التصرف على قدر ما تمليه المصلحة العامة للبلاد مع ان تصفية جل الوثائق الادارية بعد ما يمر عليها زمن معين فانها امر ضروري ولا بد منه لكون بقائها سيكون سلبي الفائدة وهذا منصوص عليه في تشريع نظام الوثائق .

الرباط : محمد كليطو



- 3 -

بيد ان مثل هذه الابحاث لم تتوفق الى سد الثغرة بين منهجي «تيلور» و «مرغان» ونظريتيهما عن الحضارة ،وقد قامت ثلاث مدارس انثربولوجية كبرى ، كل منها تحاول محو تلك الثغرة ، ولكنها ايضا لم تفلح في ذلك ، بل ان كل مدرسة زادت تعمقا وتخصصا في منهجها الذي ابتدعته لتنتهي بنظريات متباينة تزيد في شقة الخلاف بدل ان تضيقها .

اولى هذه المدارس هي مدرسة التحليل النفسي ، ويتزعمها «فريد» و «رحايم» ، وهذه المدرسة اقرب المدارس الاثنولوجية الفرنسية ، ويقضي منهج هذه المدرسة باستغلال التحليل النفسي وتخيره كوسيلة لتفسير القوى الدافعة للفرد والمجتمع في المراحل الحضارية ، ولما كان «فريد» هو صاحب نظرية « عقدة اوديب » فمن الطبيعي ان يوجه همه ويركز كل بحوثه في تقصي هذه العقدة في المجتمعات معتقدا انها هي المركز الرئيسي للحياة النفسية . ومن احسن كتب فريد الانثربولوجية « التوتم والتابو » وفي هذا الكتاب خلاصة وافية لآراء فريد حول نشوء العقائد والاديان ، فيفرض وجود جماعة بدائية تعيش تحت سطوة اب قاس يحتكر لنفسه كل نسائها ، مما ادى بالابناء الى كره هذا الاب وقتله ، وترك هذه الجريمة في نفوس الابناء شعورا بالجرم لا يمكن تناسيه ، ومن خلال وخز الذنب في النفوس ومحاولة التكفير عن الجريمة يرى فريد القوى الدافعة في تاريخ الانسانية . اما روحايم فقد حاول ان يؤكد في دراسته للتوتمية في استراليا ان من المميزات الواضحة في النظام القبلي الاسترالي وجود طقوس تعرف بطقوس البلوغ ينفصل بمقتضاها الابناء عن امهاتهم ، وخلال حفلات البلوغ هذه تتجلى عداوة تجاه الآباء من طرف ابنائهم بعد ان ظلت مكبوتة في حنايا النفوس . وعلى اي حال ، فان هذه المدرسة لا تفسر ولا تصنع منهجا للانثربولوجيا يمكن الاعتماد عليه لان نظرتها ضيقة ومبدأها يحشرها في جملة المذاهب التي تقف امام الظواهر لتدرسها من وجهة واحدة .

اما المدرسة الثانية فهي المدرسة الوظيفية ، وروادها الاول حاولوا ، عن طريق البحث الميداني ، ان يخلقوا منهجا يربط مظاهر الحضارة المختلفة بعضها ببعض ، وهكذا اتى «بواس» بفكرة النمط المتحكم او النموذج السائد في المجتمع ، وقسم امريكا الى مناطق حضارية ثم درس مدى التبادل والتمثيل والهضم الحضاري ، كما حاول «ريفرز»في دراسته للميلانيزيين ان يربط حضارتهم بالحضارات المحيطة متتبعا في ذلك العلاقات الوظيفية بين مفردات الحضارة . وقد ذهب مالينوفسكي ابعد من ذلك فحاول تفسير النشاط والدوافع المتشابكة والمتفاعلة في المجتمع ، واستطاع هذا العالم الفذ ان يكتشف ويوضح فكرة الحضارة على انها كم حي ، وتجلى على يديه ان لكل وحدة من مفردات الحضارة مفهوما خاصا خلال وظيفتها وعلاقتها ببقية المفردات ، وقد شرع مالينوفسكي بعد هذا الكشف في تطبيق مبدئه لكنه انزلق في اخطاء فادحة اذ حاول تعميم هذا المبدأ الصالح لتفسير حضارة ما كي يفسر به حضارات العالم البدائي قاطبة . وقد انتقده في ذلك العالمتان الامريكيتان«مرغريت ميد» «وروث بنديكت» ،وعلى الرغم من انهما من انصار المذهب الوظيفي التكاملي الا انهما عدلتا الكثير من منهجه ، وقد ارتكز هذا النقد في تخطيء اعتقاد مالينو فسكي في امكان تفسير الزواج في جماعتين مختلفتين بنفس مجموعة العادات التي تقع عليها عند احدى هاتين الجماعتين ، وقد دعت «بنديكت» الى فسح المجال للمقومات المختلفة والظروف التي تكون نسق الزواج في كلتا الحالتين .

ولكن هذا لا يحول دون وضع مالينوفسكي كأحد انثربولوجيي القرن العشرين الاعلام في منزلة تضاهي منزلة

«تيلور» في القرن التاسع عشر. ان مالينوفسكي يعد اكبر داعية الى ان يضطلع الانثربولوجيون انفسهم بجمع المعلومات المتعلقة بالعادات ونواحي الثقافة وبخاصة المادية ثم بدراسة تلك المعلومات دراسة تحليلية تكاملية مجردة مركزة ، وبقول آخر ، فانه كان يرى وجوب الوصل بين الاثنوغرافيا والانثربولوجيا ، ولذا فان اسم مالينوفسكي يرتبط بالدراسات الحقلية الواقعية التي قام بها في مجموعة من الشعوب تسكن بعض جزائر المحيط الهندي وهي التروبرياند . ويعتبر اول عالم ان لم يكن العالم الوحيد في تاريخ الانثربولوجيا – يقضي حوالي اربعة اعوام في مجتمع بدائي واحد ويتكلم لغته فقد امضى سني الحرب العالمية الاولى من سنة 1914 الى سنة 1918 بين التروبرياند وتم كتب عددا كبيرا من الكتب والمقالات تدور كلها حول الحياة الاجتماعية في تلك المجتمعات .

وقد اتبع رادكليف براون المنهج الوظيفي ودعمه في جامعة اكسفورد في حين كان مالينوفسكي ينشره في جامعة لندن . والى براون يرجع الفضل في ادخال اصطلاح « البناء الاجتماعي » الى الانثربولوجيا ، فبعد ان استخدم هذا المفهوم في كتابه عن الاندمان شاع في كتابات تلاميذ واتباع المدرسة وغيرهم . وقد تبلور مصطلح « البناء » في معنى تقسيمات المجتمع الداخلية والعلاقات القائمة فيما بينها . وبهذا التصور للمجتمع عمد الانثربولوجيين الى الاهتمام بالجماعات التي لها كيان ثابت دائم وبالعلاقات الثابتة الدائمة ، وليس العلاقات الجزئية الزائلة والى الاخذ بالاعتبار بالتمايز والتفاضل في في المجتمع على اساس السن والجنس والثروة والسلالة والدين.

وقد خلف براون في كرسي الجامعة تلميذه ايفانز بريتشارد ، بينما حل محل مالينوفسكي العلامة ريموند فيرث . ويتزعم بريتشارد اليوم في بريطانيا الاتجاه المقارن ، ويدعو الى اعتبار الانثربولوجيا اقرب في طبيعتها الى التاريخ مثلا والعلوم الانسانية على العموم ، والى وجوب استخدام المناهج والطرق التي يستخدمها علماء التاريخ في دراساتهم ، وبقول آخر ، الانثربولوجيا فن وليست علما ، ومهمة الانثربولوجي هي دراسة النسق الاجتماعي الذي هو نسق اخلاقي وليس نسقا طبيعيا قصد اظهار التساند والتفاعل القائمين بين النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع ، مع لزوم ان تحظى هذه الدراسة بمستوى معين من التجريد ، فبريتشارد يرى ان الدراسة التحليلية البنائية من هذا النوع ، لن تتيسر الا حين يرتفع الباحث في تفكيره عن مستوى الحقائق والمشاهدات العينية الجزئية او الوقائع المحسوسة . ويواجه بريتشارد تيار مضاد عنيف يتمثل على الخصوص عند بعض العلماء الامريكيين، عند بعض العلماء ينتمون الى مدرسة لندن في الانثربولوجيا ، تحت زعامة فيرث من امثال الاستاذ شابيرا والدكتورة اودري

ريتشاردز ، الذين لا ترتفع كتاباتهم الى نفس المستوى من التجريد والذين لا يزالون يهتمون اهتماما كبيرا بتكديس اكبر عدد من الحقائق العينية الاثنوغرافية في كتاباتهم مع قليل جدا من التحليل البنائي .

واللافت ان الوظيفيين لا يعيرون الجانب التاريخي اهمية كبيرة الا بالقدر الذي يفسر لهم الوظيفة لعناصر البناء الاجتماعي، او يوضح نشأة العناصر الحضارية التي لها فاعلية ايجابية في تحقيق تلك الوظيفة ، فهم يرون انه ليس ثمت ضرورة قصوى لتتبع التطور الحضاري من عصر الى عصر ، فالعبرة بالدراسة التشريحية الفزيولوجية للبنية الاجتماعية ، فاذا كنا بصدد دراسة الزواج فلنبحث عن علاقته ببقية عناصر الحياة الاجتماعية ولا طائل تحت محاولة تقصي اشكاله الاولى وتتبع تطوره .

وقد عبر العلامة فورتيس عن افكار المدرسة الوظيفية بقوله : « ان كل عادة واي نظام ، كيفما كان له وظيفته في علاقته بالنظام العام ، وبعبارة اخرى ، فان فكرة الوظيفة وسيلة للوصول الى نتائج خاصة في حدود رسمته البيئة وحوادث التاريخ والتركيب الفزيولوجي للانسان والحاجة الى اقامة حياة اجتماعية منظمة - وينتج عن ذلك انه لا يمكن فهم اية عادة فهما كاملا الا خلال نشاطها وعلاقتها بين الافراد والجماعات ». وقد ادى البحث في امريكا في هذه النقطة الاخيرة الى دراسة التركيب الاساسي للشخصية .

والواقع ان تبني النزعة الوظيفية وان كان يصلح كأداة فعالة في دراسة الحضارات المختلفة كل على حدة ، ويستخلص نتائج على جانب كبير من الاهمية الا انه لا يصلح اداة لربط سلسلة الحضارات بمجرى التاريخ العام .

والمدرسة الاخرى هي مدرسة الانتشار الحضاري التي تحاول ان تجد حلقات الربط بين مختلف حضارات الارض ، حلقات تنتهي في مجموعها بتاريخ حضاري مستمر ومتصل . وهذه النقطة هي التي تجاهلها انصار مدرسة التحليل النفسي في تأكيدهم ان الدوافع واحدة في كل الجماعات ، والتي تناساها اصحاب النظرية الوظيفية في ادعائهم بان الدوافع تختلف في كل الجماعات البشرية ، ولقد اسس المدرسة الانتشارية في القرن التاسع عشر العلامة الالماني «بروبتيوس» الذي حاول عن طريق المنهج الاحصائي الجغرافي ان يوضح التفاعل بين الحضارات ، ثم جاء غرابنر ، منشيء المدرسة الالمانية النمساوية ، فوزع بعض المفردات الحضارية في العالم ليجد الوسائل الايجابية التي توضح الاتصالات التاريخية والموجات الحضارية . وخلفه في ذلك الاب شميث ثم الاب كوبارز . وخلاصة آراء هذه المدرسة ان هناك اصلا او عدة اصول قديمة جدا للمدنية هاجرت واحتكت

ببعضها مكونة هذا الكم الهائل بين الحضارات الحالية ، فالحضارة ظاهرة سيالة تنشأ وحداتها في بيئة او بيئات معينة ثم ما تلبث ان تتسرب وتنتشر من موطنها الاصلي الى مواطن اخرى ، كما انها تنتقل من الجيل المبدع الى الجيل المقلد ، كانتقال العناصر الحضارية القديمة من مواطنها واجيالها الى مجتمعاتنا الحديثة مثل اختراع الزراعة وتصنيع المواد الاولية .

ان آراء العلماء تختلف فيما يتعلق بالنشأة المستقلة لبعض المظاهر الحضارية فهناك من يرجع مثلا ان اختراع الكتابة والارقام الفلكية قد ظهر في اماكن متفرقة ذات مستويات حضارية متماثلة ، وانتشرت دفعة واحدة ، ومنها انتشرت وسرت الى بقية البيئات والجماعات ، وان كانت تتفق في ان العنصر الحضاري المستحدث لا ينشأ بالمصادفة ، وانما يكون نتيجة لازمة لظروف اجتماعية مستحدثة ، ومعنى ذلك ان الظروف الاجتماعية تنتج الحاجة الى استحداث انماط حضارية وثقافية ، ومن هذا فانه لا يمكن القول مثلا بان الكتابة ظهرت بين الجماعات التي تعيش اساسا على الصيد البري او البحري او قطف الثمار ، بينما يمكن الجزم بانها ظهرت في احدى او بعض الجماعات التي تقوم على الزراعة والتجارة لان ظروف هذه المجتمعات ومقتضيات حياتها تستلزم بالضرورة وظيفة اجتماعية ملائمة للنشاط الذي ترتب على الاستقرار والتوسع في المعاملات والمبادلات .

والمدرسة الانتشارية تتبع المنهج التحليلي المقارن ، وتنظر الى الثقافة ككل مترابط ، وتحاول ان تتبع نشأة العناصر الرئيسية وانتشارها وتداخلها في العناصر الاخرى ، وتدرس الظروف الطبيعية والاجتماعية التي تساعد او تعوق انتشار النماذج الثقافية او السمات الاساسية ، وتحلل مختلف الثقافات لترد عناصرها الى اصولها الاولى المستعارة والخصائص المميزة للثقافة وما ينشأ عن احتكاك والتقاء وصراع الحضارات من آثار اجتماعية عنصرية او اقتصادية او سلالية او لغوية او دينية . وقد نحت المدرسة في المانيا وجهة نظر تجريدية في دراستها للثقافات ومحاولة تجميع قوائم الصفات الحضارية لعدة ثقافات ، وتطلق على اشتراك بعض الحضارات في مجموعة السمات الاساسية المتجانسة اسم المناطق الثقافية ، فهي البيئات التي يظهر من تحليل ثقافتها انها مشتركة او متجانسة ، ويترتب على ذلك تتابع الهجرات الاثنولوجية والسلالية وفقا لهجرة وانتشار وسريان تلك السمات الحضارية .

نجد ان «اليوت شميث» الذي تزعم هذه المدرسة في بريطانيا يهتم بدراسة المومياء المصرية القديمة ، ثم قاده ذلك الى دراسة العادات الجنائزية في مصر الفرعونية ، وتبين لشميث اثناء دراسته تشابه غريب بين هذه الطقوس الجنائزية في مصر وبين غيرها في بلدان اخرى ، وادى به الامر في الاخير الى الاقتناع بان مصر هي اصل المدنية ، ومنها انتقلت الى بقية اجزاء العالم ، وقد بين بان سلسلة من الاحداث ادت الى قيام المدينة في مصر وان الزراعة وعاداتها قد انتقلت من مصر الى شتى الانحاء . وفي سنة 1915 نشر كتابه « المصريون المحدثون » فتأثر به « بيري» وكتب مجلده « ابناء الشمس » سنة 1923 مدعما بذلك نظرية شميث وقد ايده بدوره في ذلك العلامة «ريفرز» . وتلا ذلك نشاط الابحاث والتنقيبات الاركيولوجية في جنوب العراق، واكدت ان حضارة العراق اقدم من حضارة مصر ، وعلى الفور قامت جماعة تؤيد ان سومر هي المركز الاصلي لانتشار الحضارة، وقد انقسمت هذه الجماعة الى قسمين :

القسم الاول يمثله « هوكارت » الذي يقول بان الطقوس البدائية ما هي الا مجرد تقليد لطقوس التتويج ، وبهذا يعتبر الملكية المنبع الذي تستمد منه الحضارات قيمها .

اما القسم الثاني من هذه الجماعة فيتصدره (ردان) و «هيلدي»، وهذان الكاتبان يؤكدان ان سير الحضارة ينطوي على دوافع ومؤثرات من الطبقات العليا ، وانه لم يثبت اطلاقا وجود تأثير من الطبقات السفلى على العليا ، وبذلك يعزو هذان الكاتبان كل القوى المحركة الاصلية في الحضارة الى الطبقات العليا اي الحاكمة ، ويقول هيلدي ان الجزء الاكبر من القصص والادب الشعبي انما يتكون من بقايا ادب وتقاليد الطبقات العليا في المجتمع وليس من خلق العامة ، كما يؤكد رادان ان السحر هو من بقايا الديانات القديمة التي كانت ترتبط في الماضي بالمدنيات .

والملاحظ ان مدارس الانتشار الحضاري تخطيء حين تتبع اصولا واحدة وتغفل التفاعل الحضاري في نظر تأكيد وابراز اثر حضارة طبقات الحكم في سومر .

وهكذا يلاحظ القاريء اننا اشرنا في الجزء الاول من هذا البحث الى ان الحركة الرومانسية اهتمت بالانتاج الشعبي من قصص واساطير وفن ، واعتبرته المفتاح الضروري لفهم الحضارات واصولها ، بينما تخلص من دراستنا لهوكارت ورادان وهيلدي الى انهم يؤكدون ان الانتاج الشعبي ليس سوى بقايا متدهورة من حضارة قديمة تنتهي الى الطبقات الحاكمة ، فهل بدأت

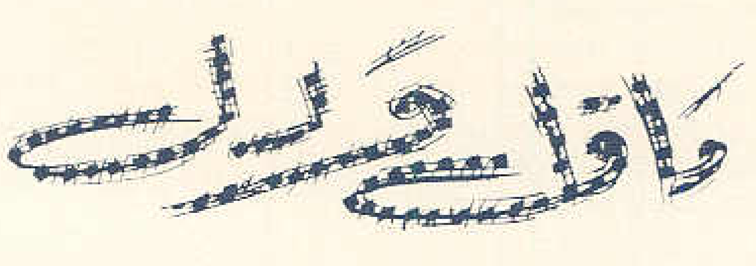
الانثربولوجيا بشيء لتنتهي بنفيه وتكرانه ؟ ام ان هناك وحدات حضارية منعزلة تنفتح فقط لتستقبل المؤثرات الخارجية ، ثم تعود الى الانقباض لتكون وحدات تلقى نفسها بنفسها ، او هي سلسلة من الدوافع والمؤثرات التي بدأت في فجر التاريخ من جماعات حاكمة واستمدت منها الحضارة تيارها القائم المستمر ؟

يتضح مما سبق ان الالمام بجميع جوانب الحضارة الانسانية الماما جامعا شاملا امر عسير بالنسبة لعالم واحد ، والانثربولوجيون الناجحون لا يمكن ان يصيبوا في غير دائرة تخصصهم : « فتيلور » امتازت دراسته حول الدين والاساطير بالاصالة ، و «مرغان» نفذ الى اغوار القرابة والنظم الاجتماعية والسياسية و «بواس» انصبت معظم بحوثه في الادب والفن الشعبي ، فجاءت آية في الجودة ، و «هادن» دارت دراسته حول التكنولوجيا والفن ، بينما اهتم «فورتيس» بالتركيب الاجتماعي كخاصية من خصائص الحضارة ، فتفوق كل في تخصصه ، واخفق حين طمع في تناول كل حضارة الانسان بالبحث لانه كان يسير وفق نظرية مبيتة تقصر عن الاستيعاب الشامل .

الرباط : العربي الزنايدي

زينـــة النســـاء

ذكـرت هنـد بنـت المهلـب النسـاء فقـالت « مـا زيـن بشـيء كـأدب بـاهـر ، تحتـه لـب ظـاهـر » .



للأستاذ: أحمد زياد

قرأت التعقيب الذي تفضل السيد ابن تاويت فكتبه حول ما سماه « بميزان زياد » ، وذلك في العدد الماضي من مجلة « دعوة الحق » ، وترددت كثيرا في التعقيب على هذا التعقيب ، لان السيد ابن تاويت خيب ظني فيه ، ويا للاسف ، ذلك انه كان بودي ان يكون في تعقيبه عالما من العلماء المختصين ، يضفي على اسلوب كتاباته ، حلة العلماء ، ووقارهم ، وعمقهم وتواضعهم قبل ذلك . فاذا به يستخدم سويا للأسف مرة اخرى — اسلوب رواة عنترة بن شداد والملك سيف بن ذي يزان ، ويحيط ما يكتبه بحرمة « الوادي المقدس طوى » .

والواقع ان ما ورد في تعقيب السيد ابن تاويت ، انما هو في نصه واسلوبه عبارة عن « جذبة » . ولقد جرت العادة بان يغض الناس الطرف عن جذبات المجذوبين .

وبعد هذه المقدمة ، اود ان اعقب بدوري على ميزان السيد ابن تاويت ، بالملاحظات الآتية :

1) اشكره على ما تفضل به من ابراز جانب من « حالتي المدنية » .

2) لم اجد تعليلا لعدم معرفة السيد ابن تاويت كتاب « درة الغواص ، في اوهام الخواص » ، مع انه يريد ان يكون مختصا في علم اللغة ، وتقويم الالسنة . ولئن تفضل بتقديم الشكر على ارشادي له لهذا الكتاب ، فانني لا يسعني الا ان اقول : لا شكر على واجب .

3) كان بودي ان يكون تعقيب السيد ابن تاويت تحليليا وعلميا للموضوع الذي ابى الا ان يعقب عليه ، فاذا به يسوق شذرات وفقرات من هنا ومن هناك ، ينصحني في بعضها بان « ارجع السيف الى قرابه » ، في حين انني لم اجرد عليه هذا السيف بعد . ولئن قلت ما قلته في شأن التساهل مع الكتاب فيما يخص اللغة ، فلانني ادرك ان الدين الذي هو دين قد بني على اليسر ، ولن يشاده احد الا غلبه . ومعذرة للسيد ابن تاويت من اجل هذا التقليد .

4) انني لا ارى بأسا من ان ابادل السيد ابن تاويت التصح بمثله واقول له : ان زمن التفاخر بالالفاظ ، ومحاكاة ذي الجنة وعكاظ ، زمن قد ولى وانقضى . واذا كان السيد ابن تاويت يريد ان ينظف اللغة ، التي لوثها الجهل على حد تعبيره ، فعليه ان « يجادل بالتي هي احسن » ومعذرة اخرى من اجل هذا التقليد ، وان يكون موضوعيا فيما يكتبه ، حتى لا تأتي مجهوداته بعكس ما يريد ، فيكون التلويث بدلا من التنظيف . وكان بودي مرة اخرى ان ينتقي السيد ابن تاويت كلماته ، ويختار النظيف من العبارات ، لتكون صفة المبشر مطابقة لمهمة التبشير .

وكان بودي بعد هذا كله ان ادخل مع السيد ابن تاويت في حوار يتسم بالاخذ والرد ، في موضوع محدد الجوانب والغايات . غير ان السيد ابن تاويت لم يتح لي هذه الفرصة ، فلم اجد بدا من اترك السيف في قرابه ، والميزان في جرابه .

وبعد ، فارجو ان لا يثير هذا التعقيب القصير السيد ابن تاويت ، فينفعل مرة اخرى ، ويجذب « جذبة » اخرى . واشكره على دعواته الصالحات ، واعتز بها ، لانه قيل فيما قبل : دعوة « المجذوب ما فيها كذوب » . وليطمئن السيد ابن تاويت ، فانني لا اخرج السيف من قرابه الا في المدلهمات . اما المداعبات ، فانني لا استخدم فيها سوى قضيب الزيتون . واغفر للسيد ابن تاويت ما وصفني به من « الترامي » ، اذ لا حرج في ساعة « الجذب » التي تخيل للمجذوب انه « بالوادي المقدس طوى » . « ومني عليك ايها الزميل ازكى السلام، ومن لساني اطيب الكلام » .

احمد زياد

العدد الماضي ... لكن دون ميزان

للاستاذ : عبد المجيد بن جلون



صدر العدد الماضي من مجلة « دعوة الحق » حافلا بالموضوعات المختلفة تتناول شؤون الدين ثم الاجتماع والتشريع واللغة والتاريخ والتراجم والشعر والجغرافية والادب وانبائه والنقد والردود على النقد .

وهو مرآة تعكس المجهود الذي بذله كتابه الافاضل في سبيل خدمة الرأي والارتفاع بالمستوى الثقافي ، ونحن في مسيس الحاجة الى مجلة « دعوة الحق » لان ميدان الصحف الثقافية يكاد يكون فارغا ، لعله ان يستمر فارغا لفترة طويلة ، لان قراء الصحف الثقافية لا يزالون محدودين ، وبذلك لا تستطيع مجلة ثقافية ان تعيش الا مستندة الى هيئة او مؤسسة او وزارة ، وقد عاشت مجلتنا ثماني سنوات ـ اطال الله في عمرها ـ وهي فترة تعتبر طويلة اذ قيست بالمدة التي عاشتها اية مجلة ثقافية في هذه البلاد ، ولذلك فنحن نحمد لوزارة الاوقاف هذا الجميل الذي تسديه الى الثقافة بامكانياتها ، وان كنا في نفس الوقت نرجو ان تتسع دائرة قرائها حتى تستغني المجلة عن مساعدتها المادية وتستمر في الصدور معتمدة على نفسها .

ولقد طلب مني الاديب محمد بنعبد الله ان انقد العدد الماضي من المجلة وهي عادة تقتفيها منذ سنوات عدة ، وانا لا اهاب النقد ولكنني استهوله ، واستهول ما يتطلب من معرفة استقرائية لن ادعي الاحاطة بها في يوم من الايام ، فالناقد الادبي الحقيقي اوسع معرفة من الادباء الذين ينقدهم جميعا ، وهو يعرفهم وشخصياتهم وبواعثهم وتاريخهم معرفة حقيقية ، وهذا ما لا يمكن ان اسمح لنفسي بان تزعمه او تدعيه ، ولا يمكن لكتاب العدد الافاضل ان يسمحوا لي بان ازعمه او ادعيه .

ويجب ان يعرف الناقد ايضا بالاضافة الى ذلك تحليل نفسه معرفة دقيقة ، وان يعرف البواعث التي تبعثه على تقدير القطعة الادبية او الطعن فيها ، فقد يكون له من الذكريات العائمة او الراسبة ما يقرب القطعة الى نفسه ويحببها اليه ويوقظ في نفسه نوعا من الحنين او العطف ، وقد يكون الامر على العكس من ذلك ، اي انه يجب على الناقد ان يميز تمييزا واضحا بين الحقيقة وذوقه الشخصي ، وهذا ايضا ليس بالامر الميسر السهل .

واعتقد ايضا اننا لم نبلغ بعد مستوى ثقافيا يستوجب قيام النقد بيننا ، فان رواج الادب ما يزال محدودا ، ونحن في حاجة الى البحث عن اسباب ذلك ، وفي حاجة الى العمل على خلق هذا الرواج عن طريق تكثير عدد القراء ، ولن يكون ذلك بتعزيز وشائج المودة بين القراء والكتاب ، فاذا مضيت انا انقد ما تكتبه انت ، وزرعت الشك في نفس قارئك ، ومضيت انت تنقد ما اكتبه انا وزرعت الشك في نفس قارئي ، ـ والنقد لا يخلو من التشكيك بل التسفيه ، وفي العدد الماضي نفسه ما يدل على

ذلك ـ شاركت انا وانت في تنفير القارئ مما نكتبه جميعا ، واذا كان القارئ العربي في هذه البلاد ما يزال في حاجة الى التشجيع على القراءة والترغيب فيها فلعل من الانسب ان نترك له تلمس الطريق وان لا نزعجه بالنقد .

صحيح ان النقد يساعد القارئ على التمييز بين الغث والسمين ، ويربي عنده ملكة الذوق ويشحذ فهمه ، ولكن القارئ العربي عندنا لا يزال من الناشئين وهو كالتلميذ الابتدائي يحسن ان لا نلفت نظره هو الى عيوب المدرسة حتى لا يلجأ منها الى الفرار .

ويضاف الى ذلك الجانب الاخلاقي ، فالنقد يستوجب نزاهة كبيرة ، ونقد النقد يستوجب نزاهة اكبر ، والانزلاق فيهما معا الى جانب التصفية ليس مما يسهل تجنبه ، وبذلك ينقلب النقد الى مهاترة ، وتنقلب المهاترة الى بث للاحقاد والضغائن بين الكتاب وخلق التحزب بين القراء ، وهذا ما اعتقد اننا بدون ريب في تمام الغنى عنه ، ويكفي القراء ما يقرأون كل يوم من مهاترات سياسية حتى غمت عليهم كثير من الامور ، وتاهوا بين الخطأ والصواب في كثير من الاحيان ، فليكن الادب عندنا هذه الواحة الوارفة الهادئة التي يصفو فيها الفهم ، ويتألق الادراك ، ويتوهج الفكر ، ويستريح فيها القارئ بعد العناء الذي يلقاه في الصحف السياسية ، على مبعدة من المهاترة والتشكيك والصراخ ، وعلى مقربة من التوادد والامان والهمس ، والمغاربة ـ بصفة عامة ـ شديدو الحساسية ، يتأثرون بسهولة ، وهم عاطفيون يسهل الاندفاع بهم في هذا الوادي او ذاك اذا نقرت على اوتار قلوبهم ، يثورون بنفس السهولة التي يلينون بها اذا خاطبت عقولهم عن طريق عواطفهم ، ولذلك يحسن في ميداننا الادبي ان نتعلم اولا كيف نتجه الى عقولهم ولكن ليس عن طريق عواطفهم ، وثانيا ان نوقظ فيهم العواطف الناعمة الهادئة الهامسة بدلا من العواطف العنيفة الصاخبة الرعناء ، فالاحقاد يجب ان تموت لا تنمى .

وما الكتابة باللغة العربية الا مهنة او محنة او كفاح ، والازمة التي تجتازها اليوم تتطلب ان تقوم بين كتابها زمالة المهنة او زمالة المحنة او زمالة الكفاح ، واذا كان يحسن ان يقوم بينهم تنافس مستساغ فانه يجب على وجه التحقيق ان لا يقوم بينهم تناحر في وقت الشدة ، ثم يحسن بنا ان ننتبه الى ما قد يكون هناك من خطأ او سوء تفاهم يثيران فينا عاطفة عاصفة ويدفعاننا الى ارتكاب هذا التصرف او ذاك ، واذكر هنا حادثة صغيرة تتلخص في انني نشرت قصيدة في جريدة «العلم» ـ حينما كنت رئيس تحريرها ـ لشاعر مغربي فاضل ، ولكن المصفف نسي ان يذيلها بتوقيعه ولم انتبه الى ذلك الا بعد يومين او ثلاثة فاستدعيت مدير المطبعة لانبهه ، وفي ذات الوقت تلقيت من الشاعر رسالة شحنها بسباب نابغ ، واتهمني بانني حذفت اسمه لاوهم القراء ان قصيدته الرائعة لي انا ... وسخر من دعوتي للفضيلة ... فاذا كتب لهذا الشاعر ان ينقدني في يوم من الايام فلن يسلم بسهولة من تأثير هذا الحادث الجلل الذي ارتسم في ذهنه عني ، اذا لم يكن قد فعل .

وقد اعتدت ان اتقيد بهذه الآراء منذ زمن طويل ، ولا اذكر انني كتبت نقدا ادبيا منذ نشأت في الحياة الادبية ، واجزم جزما لا يرقى اليه الشك انى ما تأثرت بأي نقد ظهر لكتاباتي ، فانا اقدر هذا النقد واقدر اهتمام كتابه وجميل عنايتهم ، كما اقدر الظروف التي يكتبون فيها فتدفعهم في طريق ما او عكسه ، واجزم جزما لا يرقى اليه الشك ايضا انني ما كتبت ردا على اي نقد كتب ضدي او شكرت اي نقد كتب لي؛ لما اسلفته اولا ، وثانيا لانني اعتقد ان ما اسلمه للمطبعة يصبح ملكا للقراء فور نشره يفعلون به ما يشاءون ، وان ما يجب ان اهتم به انا ليس هو ما كتبته ونشرته ، بل ما كتبته ولم ينشر بعد ، او ما يجب ان اكتبه في الايام التالية ، فانا في نشاطي الادبي لا اعرف الماضي ، وانما اعرف الحاضر والمستقبل ، فالماضي للقراء .

فاذا كان قد عز على ان لا اكون عند حسن ظن الاديب النابه وانقد العدد الماضي ، فانني اقدر الباعث الذي يدفعه الى الاستمرار في التشجيع على نقد الاعداد الماضية ، فهو يعتقد دون شك ان ذلك يبعث الحياة في الركود الادبي سواء لدى القراء او لدى الكتاب ، وانا لا اشاركه هذا الرأي لما سلف من اسباب.

ولكنني استطيع ان اعود فأكون عند حسن ظنه ، وانقد له « النقد » نفسه ـ فأقع في الشرك بالرغم مني ـ واضع العدد الماضي في ميزان التقدير والتشجيع والاهتمام ... ولكن دون نقد .

الرباط : عبد المجيد بن جلون

الجامع الكبير

في المغرب أكثر من خمس نسخ من الجامع الكبير للسيوطي

للأستاذ : محمد ابراهيم الكتاني

عند ما قرأت في العدد 43 من مجلة (المكتبة) العراقية الغراء الراقية التي تصدرها (مكتبة المثنى) ببغداد لصاحبها العالم الاريحي قاسم محمد الرجب . الصادر في جمادى الاولى 1384 (ص 13) خبر تصوير (كتاب الجامع الكبير) للسيوطي استعدادا لطبعه . وتعقيب المجلة على هذا الخبر بان هذا الكتاب لا يوجد منه في العالم غير نسختين ! . احداهما في تونس . لم ازد على ان تبسمت ابتسامة خفيفة من هذا الادعاء . وحملت ذلك على ما اعتدناه من اخواننا عرب المشرق من جهلهم بشؤون المغرب . وتسرعهم الى اصدار احكام بانة على غير اساس . اما وقد قرأت نفس التعليق في مجلتنا (دعوة الحق) الغراء في عددها الثالث من سنتها الثامنة المؤرخ برمضان 1384 هـ (ص 125) فقد رأيت من الواجب اصلاح هذا الغلط الفظيع ، بالاشارة الى بعض ما يوجد بالمغرب مما وقفت اليه من النسخ الكاملة والاجزاء المفردة من كتاب (جمع الجوامع) المعروف بالجامع الكبير ، مع الاشارة الى المكتبة التي يوجد بها ورقمه بها مبتدئا بما يوجد في الخزانة العامة بالرباط .

1) ـ رقم 26 ق

نسخة مغربية جيدة في سبعة اجزاء خطوطها مختلفة ، يوجد منها ستة اجزاء ، وينقصها الجزء السادس الذي يتضمن من مسند على ابن ابي طالب الى مسند انس ابن مالك .

ويقع الجزء الاول في 429 ص مقياس 21/26 ومسطرته بين 24 و 30 .

ويقع الجزء الثاني في 443 ص مقياس 2 ـ 1 211/2/28 ومسطرته بين 26 و 27 .

ويقع الثالث في 501 ص مقياس 20/25 ومسطرته 29 وتاريخ نسخه 1092 .

ويقع الرابع في 526 ص مقياس 1/2 20/26 ومسطرته بين 20 و 30 وتاريخ نسخه كتابته سنة 1092 هـ .

ويقع الخامس في 625 ص مقياس 20/26 مسطرة 29 تاريخ 1092 ايضا .

واما الجزء السابع فهو مبتور الاول بنحو ورقة . وفيه 501 ص مقياس 19/26 ومسطرته بين 29 و 30 وتاريخه 1094 .

وهذه النسخة من اوقاف الجامع الاعظم بمدينة مكناس . اشتراها الناظر العربي بن عبد القادر بن ضيف الله المعروف بالشاهد ، من الفقيه علي بن احمد الحريشي بخمسين مثقالا عام 1096 هـ وبهامش اول ورقة موجودة من المجلد السابع وثيقة تتضمن شراءه ممن وجد عنده مبتورا بدون سفر وذلك بعد سنة 1200 (ارقام الآحاد والعشرات مزقتها يد مجلد الكتاب !)

2) ـ رقم 769 ق .

نسخة مشرقية جيدة في سبعة اجزاء يوجد منها ستة - وينقصها الجزء الاول ، اول الجزء الثاني حرف الباء وفيه 389ص مقياس 21/29 .

وفي الثالث 455 ص مقياس 1/2 21/29 وفي آخره انه كتب لشهاب الدين احمد العجمي الوفائي .

واول الرابع كتاب المسانيد وفيه 459 ص مقياس1/2/31 21 .
وفي الخامس 494 ص مقياس 1/2/31 21 وفيه يوجد الجزء الناقص من النسخة السابقة .

وفي السادس 457 ص مقياس . 22/30 .

وفي السابع والاخير ر472 ص مقياس 1/3 21/30 وتاريخ نسخه 1002 هـ . ومسطرة النسخة كلها بين 32 و 33 وهي من اوقاف زاوية تامكروت الناصرية .

3) — رقـــم 366 ق .

الجزء الاول فقط . وينتهي بانتهاء حرف الدال .

بخط مشرقي . يقل فيه نقط الحروف المعجمة ، كتبه محمد بن احمد البساطي الشافعي ، بتاريخ 917 — اي بعد وفاة المؤلف بست سنوات — وفي آخره :

بلغ مقابلة جيدة على نسخة المؤلف ، ومنها نقلت .
يقع في 912 صفحة ، مقياس 2 — 1 16/23 مسطرته بين 29 و 33 وهو من اوقاف مكتبة تامكروت الناصرية .

4) — رقـــم 788 ق .

الجزء الاول ينتهي بانتهاء حرف الالف . بخط مشرقي مختلف ، كتبت فيه العناوين واوائل الاحاديث ورموز المخرجين بالحمرة .
يقع في 678 ص مقياس 1/2 1/2/26 18 ومسطرته بين 33 و 35 وهو من اوقاف زاوية تامكروت الناصرية ، اشتراه ابو عبد الله محمد بن ناصر من مصر بمائة قرش .

5) — رقـــم 1935 ك .

جزآن : الجزء الاول ينتهي بانتهاء الهمزة والياء .
والجزء الرابع ، مبتور الاول والاخير يبتدئ اثناء مسند ابي بكر ، وينتهي اثناء مسند عمر وهما معا بخط مشرقي، واول الاحاديث ورموز المخرجين بالحمرة وفي اول صفحة من الجزء الاول لوحة بالذهب والالوان ، كتب فيها اسم الكتاب والمؤلف ، وفي هوامشه توقيفات وطرر بخط مغربي ، وقبل الورقة الاخيرة ورقتان بخط مغربي .
اما هوامش الجزء الرابع فهي خالية من الطرر والتعاليق
يقع الاول في 558 ص مقياس 1/2 19/25 ومسطرته بين 30 و 33 ويقع الرابع في 472 مقياس 19/28 ومسطرته بين 32 33 .

6) — رقـــم 1964 ك .

الجزء الثاني ، اوله : اليد العليا خير من اليد السفلى . وآخره : مملوك يكفيك . فاذا صلى فهو اخوك ..... الخ) بخط مغربي جميل . كتبت اوائل الاحاديث فيه بالاحمر ورموز المخرجين بحروف غليظة وبهوامشه طرر وتصحيحات وتوقيفات . يقع في 560 ص مقياس 19/28/ ومسطرته 25 .

7) — رقـــم 177 ك .

الجزء الثاني ، مبتور الاول . اوله : عق ، كر ، عن محمد بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه : الحق مع ذا ... الخ ، وآخره : من اشتكى منكم شيئا او اشتكاه اخ له فليقل : ربنا الله ... الخ) . بخط مغربي . واول الحديث ورموز المخرج بالحمرة ، وفي هوامشه بعض الطرر والالحاقات . يقع في 320 ص مقياس 21/30 ومطرته بين 30 و 35 .

8) — رقـــم 1558 ك .

الجزء الثاني مبتور الاول تنقصه الورقة الاولى — واول ورقة موجودة فيه متلاشية . اولها : ينزل الله على عباده ارزاقهم على قدر نفقاتهم ... الخ) وآخر حديث فيه : من اشتكى منكم شيئا او اشتكاه اخ له ... الخ) . بخط مغربي جميل ، واول الحديث ورمز المخرج فيه بالحمرة ، كتبه قاسم ابن علي بن محمد الحظري الشفشاوني ، واتمه غرة رمضان 1132 هـ . يقع في 534 ص مقياس 20/30 ومسطرته 26 .

9) — رقـــم 946 د .

الجزء الثالث ، اوله : من شرب قلبه حب الدنيا ... الخ) وآخره يوم الخلاص ، وما يوم الخلاص الخ) وبآخره : انتهى الجزء الثالث من الجامع الكبير للامام السيوطي رحمه الله وبتمامه تم النصف الاول ... وكان الفراغ منه ظهر يوم الثلاثاء سابع شوال المبارك عام 1132 ، والغالب على الظن ان كاتبه هو كاتب الجزء السابق . بخط مغربي جميل ، كتبت فيه اوائل الاحاديث ورموز المخرجين بالحمرة يقع في 450 ص مقياس 1/22/30 20 ومسطرته 26 .

10) — رقـــم 1935 ك .

الجزآن الرابع والخامس ، من تجزئة عشرة اجزاء .
اول الرابع : من آتاه الله علما فلم يؤد زكاته الخ) وينتهي الخامس بانتهاء حرف الياء وفي آخره : تمت مراجعته صبيحة الاحد ثامن حجة 1290 هـ . وهما بخط مغربي جميل ، كتبت فيهما العناوين واوائل الحديث ورموز المخرجين بالحمرة وحليت هوامشهما بطرر وتعاليق تتضمن زيادة بعض المخرجين، او قيمة الحديث او بعض الشروح .
ويقع الرابع في 415 ص مقايس 1/2 18/22 ومسطرته بين 16 و 24 ويقع الخامس في 469 ص مقياس 1/2 18/22 ومسطرته بين 16 و 24 .

11) — رقـــم 450 ج .

جزء اوله : عن حمدان قال : دعا عثمان بماء فتوضأ ثم ضحك ... الخ) وفي آخره : تم الجزء الثاني من المسانيد ، ويليه : مسند انس بن مالك .
بخط مغربي جميل ، ملون مجدول . وبهامشه بعض التوقيفات كان الفراغ من نسخه في منتصف صفر الخير عام 1155 لاحد الامراء ابناء المولى اسماعيل العلوي رحمه الله .

وهو يكمل النقص الواقع في نسخة مكتبة الجامع الاعظم بمكناس (رقم 26 ق) المتقدم وصفها .

اولا ـ وذلك من صفحة 23 منه الى آخر الجزء ، فهو على هذا الخامس او السادس .

ويقع في 453 ص عقياس 1/2/31 21 مسطرته بين 31 و34 .

* * *

هذه اجزاء الجامع الموجودة في مختلف اقسام مخطوطات الخزانة العامة بالرباط .

واما في المكتبات المغربية العمومية الاخرى فيوجد :

12) ـ رقم 182 ل

بمكتبة جامعة القرويين العامرة بمحروسة فاس وهي نسخة كاملة في 7 اجزاء بخط مشرقي جميل كان الفراغ من نسخ احد اجزائها سنة 984 على يد محمد بن سليمان الصفصفي الشافعي ، وهي من تحبيس احمد المنصور الذهبي على خزانة القرويين سنة 1008 وعليها خط يده .

وفي القرويين اجزاء اخرى من (الجامع لكبير) .

13) ـ رقم 62

بمكتبة الجامع الاعظم بمكناسة الزيتون .

المجلد الاول . بخط مشرقي مبتور الاول والاخير .

14) ـ رقم 3872

في مخطوطات القصر الملكي بالرباط وهي نسخة كاملة في سبعة اجزاء ملفقة .

الجزء الاول والثالث .

بخط مغربي جميل ملون كتبهما الحافظ ابو العلاء ادريس ابن محمد العراقي الفاسي المتوفى سنة 1184 هـ .

وتاريخ الفراغ من كتابة الجزء الثالث يوم الجمعة 14 شوال 1141 وعليهما طرر وتعاليق . ولعلهما من النسخة التي ذكر الشيخ مرتضى الزبيدي في (معجمه) عن صاحبه الحافظ ابن عبد السلام الناصري تلميذ الحافظ العراقي انه استدرك على السيوطي نحو عشرة آلاف حديث كان يقيدها في طرة (نسخته) (راجع فهرس ج 1 ص 201) .

الجزء الثاني والسادس

بخط مشرقي جميل ملون ، وباول كل واحد منهما لوحة بالذهب والالوان فيهما اسم الكتاب والمؤلف وبهوامشهما طرر وتعاليق بخط مغربي ، والسادس مبتور الآخر .

الجزء الرابع .

بخطوط مغربية مختلفة ،وهوامشه خالية من التعليق والتوقيف .

الجزء الخامس .

بخط مغربي وعليه خط الحافظ ابي العلاء العراقي الفاسي بتملكه بالشراء وبهامشه توقيفات . وبآخره : انتهى السفر الخامس . فلعله سادس من نسخة ثمانية . اما بالنسبة لهذه الملفقة فهو خامسها .

الجزء السابع .

بخط مغربي وعليه تملك الحافظ ابي العلاء العراقي الفاسي اواخر شعبان 1175 وقد لاشت الرطوبة اوراقه الاخيرة .

15) ـ رقم 3873

من مخطوطات القصر الملكي .

المجلدان الثالث والرابع .

من نسخة رباعية ، يتضمنان (قسم المسانيد) ـ النصف الاخير من الكتاب ـ .

وهما بخط مغربي ، وفي آخر الكتاب انه كتبه ناسخ من محروسة فاس ومكناس لسعيد بن احمد الجزول (كذا) واتموه سنة 1200 عن نسخة بخط سليمان بن سليمان المفطي كتبها سنة 993 عن خط مصنفه وان المكتوب له بذل الجهد في مقابلة ما كتبه له النساخ من .

* * *

هذه اربعون جزءا من الجامع الكبير عشرون منها بخطوط مغربية ويتكون من هذه الاربعين جزءا في مجموعها خمس نسخ كاملة وينقص النسخة السادسة جزآن الى جانب جزء من نسخة اخرى ، ويلاحظ ان 22 منها توجد في مكتبات الاوقاف .

فلو ان الذي نقل خبر انه لا يوجد (في العالم) من الجامع الكبير الا نسختان احداهما بتونس كلف نفسه مشقة اجراء مكالمة تلفونية مع قسم المخطوطات بالخزانة العامة لما وقع فيما وقع فيه ؛ خصوصا وقد علم الجميع اننا قد وفقنا ـ منذ الاستقلال ـ للعثور في مكتبات الاوقاف وفي مكتبات القصور الملكية على كثير من المخطوطات التي لا تكاد توجد في مكان آخر ، ومما لا شك فيه انه يوجد في المكتبات الخاصة بالمغرب عدة اجزاء اخرى من (الجامع الكبير) يتكون من مجموعها اكثر من نسخة ان لم تكن في بعضها نسخة كاملة ، فقد كنا نعرف عند شيخنا المحدث المدرس المؤلف الناسك النفاع مولاي احمد بن الخضر العمراني رحمه الله نسخة كاملة استنسخها .

ولكن عدم الاهتمام بتسجيل ونشر قوائم باسماء ما تضمه المكتبات المغربية الخاصة من مخطوطات يجعل من الصعب التعرف على ما في بلادنا من ذخائر تعتبر من اثمن ما يجب ان تعتز به من تراثنا الوطني .

الرباط : محمد ابراهيم الكتاني

الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي
عصره - حياته - شعره

للأستاذ : عباس الجراري

تقديم :

نقدم في هذا العدد نص ملخص الرسالة التي تقدم بها الاستاذ عباس الجراري قبل المناقشة صباح يوم السبت 8 ماي 1965 عن « الامير الشاعر ابي الربيع سليمان الموحدي » الذي نال بها ماجستير في الادب العربي من كلية الاداب جامعة القاهرة بتقدير جيد جدا .

وقد نوقشت الرسالة التي تناول فيها الاستاذ عباس الجراري عصر وحياة « ابي الربيع سليمان الموحدي » بعد امتحان شفوي دار موضوعه حول ابن دحية ، وكتابه « المطرب »

وتكونت لجنة المناقشة باشراف الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني وعضوية الدكتور شوقي ضيف ، والدكتور يوسف خليف ، ودامت المناقشة ثلاث ساعات برز فيها الاستاذ عباس الجراري بما عرف عنه من اطلاع شامل ، واحاطة بالموضوع ....

وقد اثنت اللجنة على المجهود الذي بذله صاحب الرسالة الاستاذ عباس سواء في دراسة الشاعر او تحقيق ديوانه ، واعجبت بالمنهج الذي سلكه في البحث ، وبالدقة والعمق اللذين سار عليهما في تتبع مختلف جوانب الموضوع .

ومع هذا الاعجاب وذلك الثناء ، فقد برزت بعض الخلافات حول نقاط لم يتفق فيها اعضاء اللجنة مع الباحث ، سيشار الى مواضعها عند مراجعة الرسالة .

ومجلة « دعوة الحق » اذ تقدم لقرائها المحترمين نص ملخص الرسالة عن « الامير الشاعر ابي الربيع سليمان الموحدي » تهنيء صديقها الاستاذ عباس الجراري عن بحثه القيم ، راجية ان يبعث اليها بفصول من رسالته حتى تعم فائدتها قراء المجلة ...

« دعوة الحق »

لا يخفى على كل متتبع لتاريخ الادب العربي في مجموع سلسلته ان بهذا التاريخ فراغا كبيرا يشكل حلقات مفقودة تتصل ببعض الاقاليم العربية التي اغفلت ادبها كتب التاريخ . ولعل اقليما من هذه الاقاليم لم يصادف اغفالا مطلقا كما صادف المغرب الاقصى ، وهي ظاهرة تعزى الى اهمال مؤرخي الادب لما ينتج المغاربة من آثار ادبية لا تخلو من روعة وجمال ، والى اهمال المغاربة انفسهم لما في تراثهم من انتاج ادبي وتقصيرهم غاية التقصير في بحثه وتحقيقه والتعريف به . فما

صدر عن ابناء المغرب طوال فترة النهوض التي بدأت منذ اكثر من ربع قرن قليل جدا ، وهو على قلته لا يعدو كونه من قبل المحاولات التي لا يقصد منها الى البحث العميق والاستقصاء الشامل بقدر ما يقصد منها الى التعريف المبسط الوجيز . ولسنا نعني بخس قدر الجهود المبذولة فهي صادرة عن علماء افاضل حفزتهم الغيرة على الوطن الى تعريف النشء بما كان لآبائه واجداده من تراث ما كان ليطلع عليه في هذه الفترة لولا هذه الجهود ، وانما نعني ان الادب المغربي

لا زال في مسيس الحاجة الى من يبحث عن اعلامه ويتقب عن نصوصه ويكشف عن خصائصه في دراسة متعمقة لا تمل البحث والاستقصاء .

وليس هذا البحث الذي نقدم اليوم عن الشاعر الامير ابي الربيع سليمان الموحدي غير محاولة اولية في هذا المضمار ، صادفنا في اخراجها صعوبات كثيرة بسبب قلة الاخبار التي وصلتنا عن الشاعر نتيجة عدم اهتمام مصادر عصر الموحدين والعصور التي بعدها بالحديث عنه ، على الرغم من انه كان اميرا من ابرز امراء الدولة بما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وحنكة طويلة وبما اسند اليه فيها من مناصب عالية ، وعلى الرغم كذلك من ان شعره لم يضع كما ضاع شعر كثير غيره من الشعراء حيث عنيا الله له من كتابه من جمع ديوانه وهو بعد على قيد الحياة .

وقد تسنى لنا بعد ان جمعنا اخبار الشاعر ان نفحص هذه الاخبار ونحللها وننقدها ونستنتج منها ما يمكن استنتاجه ونفسرها بما يجعلنا ننفذ الى اعماق حياة الرجل بالتفسير النفسي آنا ، والتفسير الاجتماعي والتاريخي آنا اخرى ، سعيا الى سد ما بين الاخبار من ثغرات وبالتالي الى تكميل ملامح صورة هذه الحياة . كذلك لجأنا الى شعره نحاول من خلاله سبر اغوار الشاعر فوجدناه صورة لنفسيته قد انعكست عليها بعض ملامح عصره ومجتمعه ، مما جعلنا نسلك في البحث خطة تقتضي دراسة عصر ابي الربيع وحياته وشعره ، فجاء البحث بذلك مقسما الى اربعة ابواب هي :

الباب الاول : عصر ابي الربيع

ويتكون من خمسة فصول :

الفصل الاول : انقلاب سياسي

ويتناول الثورة الموحدية التي اطاحت بدولة المرابطين محللا اسبابها وارهاصاتها الكامنة في الانحلال والضعف اللذين اصابا هذه الدولة ، وما نتج عن تلك الاسباب والارهاصات من التفاف الناس حول المهدي للذي اخذ ينشر دعوته بالاقناع تارة وبالسيف تارة اخرى ، الى ان تهيأت له ولخليفته من بعده اسباب القضاء على المرابطين وانشاء دولة شملت رقعتها بلاد الاندلس والشمال الافريقي حتى حدود مصر .

الفصل الثاني : تيار مذهبي

ويبحث في الاصلاح الديني الذي دعا اليه المهدي وما سبقه من حركات دينية ، سنية في اغلبها ، ويحلل مقومات هذه الدعوة التي هي مزيج من الاعتقاد في الامامة والعصمة والانتصار للعقائد السلفية والدفاع عنها بالحجج العقلية والدعوة الى تأويل المتشابه من الآيات والاحاديث ، ويكشف عما كان يسلك المهدي وخلفاؤه في سبيل نشر الدعوة الموحدية من امر بالمعروف ونهي عن المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس الى كتب الاصول .

الفصل الثالث : صراع لغوي

ويعرض لانتشار اللغة العربية وتمام استعراب المغاربة في هذا العصر بسبب هجرات قبيلتي بني هلال وبني سليم العربيتين الى المغرب وبسبب تزايد وفود الاندلسيين عليه ، مما جعل مجال اللغة البربرية التي لجأ اليها الموحدون في الاتصال بالجماهير والتأثير عليها محدودا لا يتعدى الدعاية الدينية ، ولا يحول دون انتشار اللغة العربية التي غدت اداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

الفصل الرابع : نهوض فكري

ويكشف عن النهضة الفكرية التي برزت معالمها في حياة عقلية واعية ناضجة نشطت بها مختلف الوان العلوم والفنون ، وهي نهضة تعزى الى الدعوة التي ثار بها المهدي على فقهاء عصره الذين حرموا العلوم العقلية وقفلوا باب الاجتهاد وقطعوا كل اتصال بكتب الاصول . واهم مظهر للتحرر الفكري الذي صاحب هذه النهضة هو انتشار علوم الفلسفة وازدهار دراستها لا سيما على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي كان مجلسه يضم ابن رشد وابن طفيل .

الفصل الخامس : ازدهار ادبي

ويصور عناية الخلفاء الموحدين بالادب عناية فائقة تجلت في ممارستهم للشعر ونقده ، وفي الصلات الطائلة التي كانوا يدرونها على الادباء ، وفي الندوات التي كانوا يقيمونها في بعض المناسبات الوطنية والتي كان يشترك فيها اكبر عدد ممكن من الشعراء ، كما يصور تأثر الادب بالدعوة الموحدية وميله الى البساطة والوضوح وبعده عن الزخرف والتعقيد ومنافسته للادب الاندلسي وابتعاده عن تقليده بسبب ما كان يبدي ادباء الاندلس من مظاهر المفاخرة والمباهاة وما كانت تبعث هذه المظاهر في نفوس المغاربة من رغبة في ايجاد ادب له كيان خاص يعبر عن شخصيتهم .

الباب الثاني : حياة ابي الربيع

ويضم فصلين :

الفصل الاول : مصادر ترجمته

ويعرض لما ورد في هذه المصادر عن حياة ابي الربيع من اخبار واشعار مع ملاحظة انها اغفلت جميعها الاشارة الى تاريخ ميلاده ونشأته وما قد تلقى على شخصيته من اضواء .
وهي نوعان : قديمة وحديثة .

اما المصادر القديمة فهي :

اولا : « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » حيث ذكره المراكشي في اماكن متفرقة منها اياه في شاعريته مدعيا ان كاتبه محمد بن عبد ربه كان ينحله كثيرا من شعره .

ثانيا : « الغصون اليانعة ، في شعراء المائة السابعة » وفيه افرد له ابن سعيد ترجمة هي الترجمة الرابعة من تراجم سنة اربع وستمائة .

ثالثا : « رايات المبرزين » حيث ذكره ابن سعيد بايجاز ضمن ملوك وشعراء المائة السادسة .

رابعا : « نفح الطيب » وفيه نقل المقري ما كتبه عن ابي الربيع كل من ابن سعيد في « المغرب » والسرخسي في رحلته ورحالة مشرقي آخر هو الفقيه القسطلاني .

واما المصادر الحديثة فهي (✶) :

اولا : « العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين» خصه فيه الاستاذ المنوني بترجمة قصيرة اشار فيها الى بعض مصادر شعره .

ثانيا : « النبوغ المغربي في الادب العربي » حيث ترجم له الاستاذ جنون في بضعة سطور وحيث اورد له في الجزء الخاص من الكتاب : المختارات مقتطفات من شعره .

ثالثا : « امراؤنا الشعراء » اورد له فيه الاستاذ جنون مختارات من شعره ذيلها بكلام صاحب المغرب عنه .
خص الاستاذ جنون ابا الربيع بجزء صغير جمع فيه بالاضافة

رابعا : « ذكريات مشاهير رجال المغرب » حيث الى مقتطفات من شعره اغلب ما كتب عنه المقري وابن سعيد .

الفصل الثاني : ملامح حياة ابي الربيع

ويتناول البحث في هذه النقط :

اولا : تاريخ ميلاده ومحاولة تحديده .

ثانيا : نشأته في بيت الخلافة واختلافه الى المدرسة الملكية التي كانت مخصصة لتربية الامراء والتي كان منهاجها شبيها بمدرسة الحفاظ الموحدين ، وكانت تعنى بحفظ كتب المهـــــدي .

ثالثا : ملازمته لمجلس عمه يوسف بن عبد المؤمن وسيره على طريقته في جمع الكتب وتقريب العلماء وحثهم على البحث والتأليف .

رابعا : ثقافته ، وتتضح ملامحها الادبية والتاريخية والدينية من تلخيصه لكتاب « الاغاني » وما قد افاد من اشعاره واخباره كما تتضح هذه الملامح في استعماله لبعض اسماء الدول والملوك ، واشاراته الى بعض آيات القرآن الكريم .

خامسا : مشاركته في تسيير شؤون الدولة وولايته على بجاية وسجلماسة وبلنسية .

سادسا : مجلسه الخاص به حيث كان يجتمع اليه اهل الادب .

سابعا : شخصيته وما تمتاز به من ذكاء ومرح ووداعة وعلو نفس ورقة شعور .

ثامنا : محنته في فترة ولايته على ثغر بجاية وجفوة المنصور له ثم عفوه عنه بعد استعطافه اياه ، ومقارنة هذه المحنة بمحنة والده اثناء ولايته على نفس الثغر .

تاسعا : ايامه الاخيرة وتفرغه فيها للادب وميله الى شعر الزهد .

عاشرا : تشبيه القلقشندي لابي الربيع بابن المعتز العباسي وتميم بن المعز الفاطمي وتحديد مواطن الاختلاف بينه وبين كل منهما .

الباب الثالث : شعر ابي الربيع

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول : مصادر شعره

✶) توجد باستانبول نسخة اخرى من الديوان لم اتمكن من الاطلاع عليها على الرغم من المحاولات التي سعيت بها الى ذلك والتي لا مجال لذكرها في هذه العجالة .

وهي نوعان :

اولا : الديوان

ثانيا : اشعار اخرى وردت موزعة في الكتب التي تناولت حياة ابي الربيع .

الفصل الثاني : صحة شاعرية ابي الربيع

ويتناول القضية التي اثارها المراكشي متهما ابا الربيع في شاعريته ومدعيا ان كاتبه ابن عبد ربه نحله كثيرا من شعره فنسب اليه ، ويعرض لدفاع الاستاذ جنون عن الشاعر وحكمه بان شعر ابن عبد ربه لا يبلغ في شيء درجة كثيرة من شعر ابي الربيع ، ويبحث الفصل بعد ذلك هذه التهمة في مناقشة موضوعية انتهينا منها الى استبعاد ادعاء المراكشي والى انه اذا كان شعر ابي الربيع يمتاز بالبساطة والوضوح والسلاسة ، فان شعر ابن عبد ربه يبدو ارقى اسلوبا واجمل ديباجة واكثر رشاقة واصالة .

الفصل الثالث : موضوعات شعر ابي الربيع

ويشتمل على مقدمة عن موضوعات الشعر في عصر الموحدين تتضمن مناقشتنا للرأي الذي ذهب اليه الاستاذ المنوني من ان الشعر في هذا العصر خلا او كاد من الغزل والخمريات تأثرا بالطابع الديني الذي كانت عليه الدولة ، ورددنا على ذلك بان طابع الدولة اثر في بعض المدائح التي اختلطت بها معان دينية متصلة بالعقيدة ولكن من غير ان يحول دون النظم في موضوعات الخمر والنسيب . والدليل على ذلك واضح عند ابي الربيع فشعر الغزل والخمر يستغرق اكثر من نصف ديوانه ، ويعرض الفصل بعد ذلك للموضوعات المختلفة التي تناولها ابو الربيع مستعرضا مختلف المعاني الواردة محاولا ذكر نظائرها في الشعر العربي السابق والموضوعات كالتالي :

اولا : الغزل : وهو رقيق عفيف لا يبتعد عن اللفظ الشريف ، والغاية النبيلة ، يكشف عن عاطفة عميقة تفتحت لحب وهبه الشاعر قلبه فنعم به حينا وقاسى منه احيانا كثيرة مما جعله يستخلص ما يشبه نظرية فلسفية ترى ان طريق الحب وعر وان امره خفي وان حقيقته غير معروفة .

ثانيا : شعر المناسبات : ويضم الوانا من الشعر صدرت عن ابي الربيع في مناسبات عامة وخاصة ، وهي :

1 ـ مجالس الشراب ، وشعرها على قلته يعطي صورة مكتملة تحددت ملامحها في الوقت المفضل للشرب ، والرفاق الذين يضمهم المجلس ، ونوع الشراب ، ولونه ووصف الساقي ، ورأي الشاعر في الشراب .

2 ـ التهاني وهي كلها موجهة للمنصور ولكن لا سعيا وراء الكسب والارتزاق،وانما تأثرا بمواقفه واعجابا بشجاعته، مما جعلها صادقة ليس فيها اسراف او غلو يضعان الخليفة في غير نطاقة الانساني ، وهي بمعانيها التي تشم منها رائحة مذهب المهدي ورأيه في الخلافة والامامة تدخل في نطاق التيار المذهبي الذي ساد العصر فبدا تأثيره في امداح بعض الشعراء .

3 ـ الاستعطاف ، وهو صادر عنه ايام محنته ، وجهه الى المنصور يطلب صفحه ويحاول تبرئة نفسه بتوضيح موقفه في غير تعال او تهديد او يأس .

4 ـ الرثاء ولم يصدر عنه فيه غير قصيدة واحدة رثى بها اخاه ابا حفص معبرا عن حزنه في وضوح وصدق ، ومستخلصا من موقف الموت عبرة لا يرى من خلالها في الحياة غير الغدر والخداع ، على الرغم من اغترار الناس بها وركونهم منها للوفاء .

ثالثا : الوصف : وهو نوعان : صريح والغاز

1 ـ اما الوصف الصريح فقد تناول فيه الشاعر مناظر مما حوله والوانا من الطبيعة جامدة ومتحركة لونها في الغالب بأحاسيسه ومشاعره .

2 ـ واما الاحاجي والالغاز فقطع قصيرة رسم فيها الشاعر صور بعض الاشياء التي لا شك اقترح وصفها في مجلسه ، معتمدا في اخراجها على الجمع بين المتباعدات والتلاعب بالحروف وقلبها ترويضا للذهن واختبارا للذكاء .

رابعا : موضوعات اخرى ، وتشمل :

1 ـ الزهد ، وابياته على قلتها تكشف عن عاطفة دينية صادقة وتقوى حقيقية ، وايمان راسخ .

2 ـ معاملة الناس وهي ابيات في رد الاحسان بالسوء .

الفصل الرابع : خصائص شعر ابي الربيع

وهي ضربان : معنوية ولفظية :

اما الخصائص المعنوية فتتمثل في هذه النقط :

اولا : طغيان العاطفة عليه ، وهي عاطفة سامية وصادقة صورها في امانة واخلاص ، سواء نحو نفسه او نحو غيره .

ثانيا : عدم اسرافه في الخيال لدرجة اعادة خلق الاشياء من جديد والارتفاع بها الى اعلى مما هي عليه في الواقع، وانما هو يلاحظ الاشياء بدقة وعمق يجعلانه يتصورها بعد في ذهنه مدركا ما بينها من علاقات قد يتخطاها ليصل منها الى صفات متباعدة .

ثالثا : افكار واضحة ممزوجة في الغالب بأحاسيسه ومشاعره ، وهي ظاهرة تعني ان ثقافته لم تتخمر في ذهنه بقدر ما تخمرت انفعالاته في وجدانه وان الفكر اختفى ليبرز الانفعال متطورا الى عاطفة اصبحت تدفع الشاعر الى القول اكثر مما يدفعه الفكر .

رابعا : معان مألوفة ولكنها اصيلة صادرة عن احساس صادق عميق ، وفي تعبير تلقائي سهل .

واما الخصائص اللفظية فتتضح في التالي :

اولا : استعماله بعض الالفاظ التي تشم منها رائحة الشعر الجاهلي وصحراء الجزيرة العربية .

ثانيا : قوة الفاظه وايحاءها وتناسقها مع التعبير بما يخلق نوعا من الموسيقى الداخلية يزيد في تموجيها تآلف الحروف والالفاظ وتجاوبها جميعا مع التركيب .

ثالثا : قلة استعماله للمحسنات البديعية من جناس وطباق ومقابلة .

رابعا : سلامة لغته التي لم تشبها اخطاء اللغة او كلمات العامة على الرغم من وجود ظاهرة الازدواج اللغوي في المجتمع وعند الشاعر نفسه ، والسبب اتقانه للغة العربية اتقانا لم يدع مجالا لهذا الازدواج ان يظهر في شعره .

خامسا : استعماله لآيات قرآنية واسماء تاريخية تأثرا بثقافته وبجو جمهور العلماء والفقهاء الذي كان يضمهم مجلسه .

سادسا : عدم تحرره من القافية ونظمه في اوزان القدماء وميله الى تنويع هذه الاوزان وعدم نظمه في فن التوشيح والزجـــــــل .

الباب الرابع : تحقيق الديوان

وقد جمعه كاتب ابي الربيع،محمد ابن عبد الحق الغساني، وتوجد منه نسختان خطيتان (✱) مؤرختان في سنة واحدة هي ثمانية وثمانون وخمسمائة هجرية .

الاولى : في خزانة الرباط العامة ، وهي مكتوبة بخط اندلسي ومسجلة تحت رقم 1310 في مجموع من ورقة 1/77 الى 101 / ب مسطرته 20 مقياسه 205/270 .

الثانية : في خزانة الاسكوريال وهي مكتوبة بخط مشرقي جيد وفي 33 ورقة صغيرة ، وتسمى « نظم العقود ورقم الحلل والبرود » . وعلى الرغم من انا لا نعرف اي النسختين تكون الاصل فمن المرجح ان نسخة الرباط منقولة عن نسخة الاسكوريال ، وذلك لسببين :

الاول : ان نسخة الاسكوريال اكثر ضبطا وصوابا من نسخة الرباط .

الثاني : ان بعض اخطاء نسخة الرباط ترجع الى عدم تنبه الناسخ لما بين الخطين ـ الاندلسي والمشرقي من فوارق في التعجيم كما في حرفي الفاء والقاف مثلا ، مما يؤكد ان نسخة الرباط منقولة عن نسخة الاسكوريال .

لذلك ، فقد اعتمدنا نسخة الاسكوريال اساسا لتحقيق الديوان مع مقابلتها بالنسخة الاخرى وبما ورد من شعر موزع في الكتب التي تناولت حياة ابي الربيع .

والديوان بعد هذا يشمل سبعة وسبعين وستمائة بيت وهو كما قسمه جامعه ، مجزء الى خمسة ابواب :

الاول : في المدح وما يتعلق به ، ويضم ثمانين بيتا موزعة على خمس قصائد ومقطوعات .

الثاني : في الرثاء والتأبين ليس فيه غير قصيدة واحدة عدد ابياتها سبعة وعشرون .

الثالث : في النسيب ، ويشمل خمسة واربعمائة بيت موزعة على احدى وخمسين قصيدة ومقطوعة .

الرابع : في الالغاز وما ينحو نحوه من التشبيه ويضم احدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة مجموع ابياتها ستة واربعون ومائــــــــة .

الخامس : في الزهد ، وعدد ابياته تسعة تشمهـــــا خمس مقطوعات .

هذه هي ابواب البحث الاربعة ، وقد ختمتهـــا بثلاثــة مــلاحـــق .

✱) كذلك عني الاستاذ محمد الفاسي بدراسة ابي الربيـــع حيث تناوله في حديثين القى احدهمـــا من اذاعة الربـــاط في 8 يونيه 1941 والثاني من اذاعة فاس في 24 من نفس الشهر والسنة ، وقد تفضل حين علم بتحضيري رسالة عن الشاعر ،فقدم لي نسخة من هذين الحديثين .
وعلى الرغم من اني لم اتمكن من ادراجهما ضمن مصادر حياة ابي الربيع وتناولهما بالبحث والتحليل حيث كنت انتهيت من طبع الرسالة وتقديم النسخ المطلوبة منها الى الكلية في انتظار تحديد موعد المناقشة ، فقد وجدت فيهما اشارات قيمة سأفيد منها لا شك عند مراجعة الرسالة لاستكمال ما فاتني اثناء البحـــث .

الاول : يضم الاشعار التي لم ترد في الديوان وعددها واحد وعشرون بيتا وردت موزعة في الكتب التي تناولت حياة ابـي الربيـع .

الثاني : يحوي ترجمتين من « مختصـر الاغانـي » اوردناهما نموذجا لطريقة ابي الربيع في تلخيص هذا الكتاب، كما اوردنا بها مشهما ما بينهما وبين الاصل من فوارق .

الثالــث : يشمــل : ابـي الربيـع

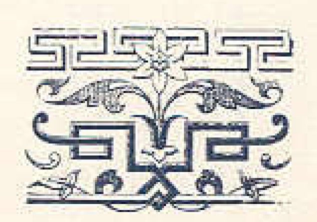
1 ــ خريطة تمثل امتداد رقعة الدولة الموحدية .

2 ــ صـور بعـض الآثـار الموحديــة .

3 ــ صور بعض صفحات نسختي الرباط والاسكوريال.

وبعد ، فلعلي اكون وفقت بعض التوفيق في هذه المحاولة وشكرا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الرباط : عباس عبد الله الجراري



الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

قبل البدء :

قال احد شيوخ المعتزلة لبعض الطلاب : خذ من وقتك ساعة نشاطك وفراغ بالك .

اجل ، الانسان ينبغي ان ياخذ من وقته ساعة نشاطه وفراغ باله ، وراحة نفسه ، فمنذ ايام عديدة وانا عازم على الكتابة في موضوع « الادب النسوي في الاندلس » غير ان الظروف كانت تقف حائلا بيني وبين تنفيذ بغيتي المنشودة ، ولقطتي المفقودة .

وحانت الفرصة ... وازف موعد الكتابة ، وطفقت ابحث وانقب واستنطق داجيات المصادر فوجدت ان مثل هذا الموضوع يستحق الالتفات كل الالتفات ، ووجدت ايضا انه لم تتناوله يراع الكتاب تناولا يتوفر على البحث المنظم ، تضيء سرجه ما غمض من الحقائق التي يعوزها التمحيص والتدقيق .

ومضيت في امري قدما ، ولكن ما لبثت ان صدمت عند ما وقفت على حقيقة ، هي ان اصحاب الاخبار اهملوا كثيرا من النصوص الشعرية التي صدرت عن الشواعر الاندلسيات ، الامر الذي يجعل الباحث يقع في دوامة من الحيرة والقلق ، واضف الى هذا — على العموم — ان الادب الاندلسي لم يحظ بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين مع انه تراث انساني ، وعصارة نبوغ ، وزبدة فكر وقاد نقل الى الآداب الاروبية نفحاته واريجه ، واشاع اصداءه المتاوقة في كل انحاء ، فعجز اي تراث آخر عن ان يشأى شأوه ، ويبلغ مبلغه .

ولقد كنت اود ان انهج في بحثي هذا منهج استاذنا الدكتور نجيب محمد البهبيتي في كتابه : « تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري » ولكن ذلك غير ميسر ما دامت النصوص الشعرية قد ضاعت مع ما ضاع ، من التراث العربي الاندلسي ، او اهملت مع ما اهمل من معطيات الفكر الاندلسي ، فعدلت اخيرا عن هذا المنهج الذي يعتمد في تقسيم البحث الادبي على المضامين الشعرية ، ولذا وجدتني الحب مسلكا آخر يمكن ان تكون له فائدة مرضية لا غبار عليها .

وبدأت اول ما بدأت بتوطئة هي في لحمتها وسداها ، تلقي نظرة عجلى خاطفة عن مدى مشاركة المرأة العربية في شتى الميادين العلمية والادبية وغيرها مما يميط لنا اللثام عن كافة النشاطات التي قامت بها المرأة العربية ، ويلقي في روعنا انها كائن حي استطاع ان يفرض وجوده على الكون ، ثم تحدثت عن المرأة العربية الشاعرة ، وعن نشأة الشعر الاندلسي وتطوره والخصائص التي تميز بها ، وذلك تفرضه علينا الضرورة الملحة الحتمية للبحث العلمي وبخاصة وانه مرتبط بالموضوع ارتباط الجواب بالشرط على حد تعبير اصحابنا النحويين ، ثم تحدثت عن الادب الاندلسي في ميزان الحقيقة ، وبعد ذلك عن انطلاقة النهضة النسوية .

ثم ما ذا ... ما ذا بقي بعد هذا ؟

قست الادب النسوي حسب العصور السياسية وتطوراتها لان التغيرات العميقة في الحياة الادبية رهينة ولا شك بهذه التطورات ، فالادب يؤثر فيها ويتأثر بها ، ومهما يكن من شيء فالتقسيم كما يلي :

1) عصر الامارة .
2) عصر الخلافة .
3) عصر ملوك الطوائف .
4) عصر المرابطين .
5) عصر الموحدين .

اخيرا ، اود من صميم وجداني ان يلاقي هذا البحث التشجيع والرضى ، وان يكون على الاقل مشعلا على الطريق يكشح من حوله الضباب ، ويدفع الى تحري المزيد مما عجزت عن الوصول اليه ، والى الاقبال على هذا المنجم الفكر لاستخراج كنوزه ودرره ، ولعلي اكون قد اديت قسطا من الواجب نحو

ما تندت به القريحة العربية المطواع عامة والقريحة الاندلسية النسوية خاصة ، والانسان فوق طاقته لا يلام ، والله الملهم للصواب ، وعليه قصد السبيل .

مدخل الى الموضوع :

اذا صح عند النحاة ان المبتدأ لا بد له من خبر حتى تكون للجملة حرارتها وللسياق التعبيري روعته وفائدته ، واذا صح ايضا عند الاصوليين ان العلة تدور مع معلولها وجودا وعدما ، فقد صح منذ انبثاق فجر البشرية ان المرأة النصف المكمل للرجل ، وآية ذلك انها معقد آماله ، ومطلع صبحه ، وبصيص نوره في غلس الظلام ، وغفوة الليل البهيم ، ووتر من اوتار قيثارته ، ولحن من الحان سيمفونيته .. وبالجملة ، فهي حياته بكل انتفاضاتها وترنيماتها ، ووجوده بكل خفقاته ورعشاته .

فقصتها في واقع الامر قصة حافلة بروائع الاحداث .. قصة تزهو على كل القصص التي احتفظ لنا بها التاريخ بين دفتي سفره ، قصتها لها من الروعة ما يبعث على العجب، وبالتالي على الاعجاب بما كان لها في مجريات الحياة من اعمال سامقة دلت دلالة قاطعة على انها كائن ذو قوة هائلة وبأس شديد يستطيع ان يخوض معترك الحياة ، ويقتحم كل الميادين التي يصول ويجول فيها اخوها الرجل ، هذه الاعمال دلت دلالة تقطع دابر الشك على ان المرأة لا تقل اهمية وشأنا عن الرجل ولذلك كانت ولا تزال منبع القوة الذي يستمد منه الرجل عناصر العبقرية الفذة وهيولات النبوغ المتفوق ، ومن اجل ذلك قيل : ان وراء كل عظيم امرأة .

اجل ، ان وراء كل عظيم امرأة ، تنفحه الارادة العارمة على مواجهة ما يعترضه من عقبات كأداء تستنزل عصي الدمع الذي ما يلبث ان تمتد اليه انامل المرأة فتجففه ، لتحفز الهمم ، وتنهض العزائم .

وما لنا نلمح ونجتزيء بالاشارة عن التصريح ، والامثلة قريبة منا ترويها لنا كتب السير مفتخرة بها ايما افتخار ، معتزة بروعتها ايما اعتزاز .

الم ترو لنا ما اضطلعت به المرأة عامة والمرأة العربية خاصة في كل منحى من مناحي الحياة ؟ .

الم تحك عن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكيف آزرت رسول الانسانية عليه الصلاة والسلام ، وكيف هدأت من روعه عند ما رأى الروح الامين فقالت له عبارتها التي انطلقت نغمات حنان وعطف :

كلا والله لا يخزيك الله ابدا ، انك تحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر) .

ان المرأة كيفما كان الامر كانت تتبوأ الذروة بغض النظر عما كان يحيط بها في بعض المجتمعات من اهانات وامتهانات ، فبقدر ما اهينت بقدر ما قدست ومجدت اذ كان من سنن اليونان وديدانهم ايام سقراط وغيره من الفلاسفة ان يقف الرجل ناكس الذقن ، خاشعا للمرأة الحامل التي قد تكون حاملة في رحمها عظيما او نابغة او الها على اعتقادهم .

واذا نحن اسعفنا الرغبة في سرد ما قام به الجنس اللطيف من جلائل الاعمال لما نهض المقام بذلك ، وحسبنا ان نقول : ان المرأة في البيئة الجاهلية وغير البيئة الجاهلية كانت مثار عاطفة الرجل ، ومدار وجدانه ، وسر حياته ومكمن سره ، واتون غضبه ، وقطب شجاعة،على الرغم من ان بعض العرب آنئذ كانوا يئدون فلذات اكبادهم ، بيد ان العادة الوأدية لم تكن عامة منتشرة في كل مكان ، بل ان الكثرة الكاثرة لم تئد بدليل بقاء النساء اللواتي انجبن الافذاذ الميامين فسهرن على تربيتهم ورعايتهم وبرز الى مسرح الوجود عباقرة يؤثلون المجد ويمدون الحياة بثورات القوة واشعاعات الايد ، ولذا يرفع الشاعر عقيرته صائحا مبينا ما كان يراه في بيته :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم
وهن البواكي والجيوب النواصح (*)

ويقول آخر :

رأيت اناسا يكرهون بناتهم
وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والايام تعثر بالفتى
نوادب لا يمللنه ونوائح (*)

ويؤثر ان بعض سادات بني تميم كانوا يتزلون باللائمة على من يئد ابنته ، وقد اشتهر بانقاذ البنات من الخسف والظلم جد الفرزدق الشاعر المشهور صعصعة بن ناجية الذي سمي «محيي الموؤدات» ولذلك يفتخر الفرزدق بهذه المأثرة في قوله :

ابى احد الغيثين صعصعة الذي
متى تخلق الجوزاء والدلو يمطر
اجار بنات الوائدين ومن يجر
على الفقر يعلم انه غير مخفر (*)
على حين لا تحيا البنات ، واذ هم
عكوفا على الاصنام حول المدور (*)

(*) المؤتلف والمختلف للامدي 164 ـ الجيوب النواصح : القلوب المخلصة .
(*) الاغاني 10 / 156 ساسي .
(*) مخفر معناه ناقض للعهد .
(*) الاغاني 19 / 2 ـ 4 ساسي .

اذن ، فقد كانت المرأة محط الانظار ، وموضع الاحترام عند العرب ، وقد شاركت الرجل في الحرب ، وشاطرته عذابه في المعارك مشاطرة لا غبار عليها ، والشواهد على ذلك اكثر من ان تحصى .

وان ينس التاريخ من الحوادث حادثة فلن ينسى يوم (تلاق اللمم) ، ذلك اليوم الذي انتصفت فيه بكر من تغلب والذي كانت فيه المرأة عود الثقاب اذ اضرمت الحمية في النفوس ، بعد ان بلغت القلوب الحناجر ، وعقد المصاب الالسنة ، واخذ شبح الخوف يتولى على الجوانح فتراجعت بكر متقهقرة لولا ان برزت في ميدان الوغى فتاتان بكريتان وحسرتا خماريهما واندستا بين الصوف والجموع وطفقتا تذكيان جذوات الشجاعة والاقدام وهما يصيحان :

وغى ، وغى ، وغى

حر الحرار والتظى

وملئت منه الربحا

يا حبذا المحلقون في الضحى

ثم اقبلت من خلفهما كرمة بنت ضلع ام مالك بن زيد فارس بكر فشرعت تدمدم بابيات تحيل الرعديد شجاعا وتجعله جمرة متقدة :

نحن بنات طارق

نمشي على النمارق

مشي القطا البارق

المسك في المفارق

والدر في المخانق

ان تقبلوا نعانق

او تدبروا نفارق

فراق غير وامق

كرس المولى طالق

والعار منه لاحق

وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى كانت تغلب بين آهة جريح ، وانه مكلوم ، وشريد ممزق .

وفي معركة « احد » سقط لواء قريش ولم يزل هكذا يرمز الى الفشل والاندحار حتى جاءت عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته والتجأوا بها ، وفي هذا يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

(فلولا لواء الحارثية اصبحوا

يباعون في الاسواق بيع الجلائب) (✱)

ولم تكن العربية تقصر على ذلك فقط ، فقد تعدته الى حلائب اخرى ، ذلك لانها كانت على قدم المساواة مع الرجل في الوقت الذي كان جميع القدماء المشرعين ينظرون الى المرأة نظرة الازدراء ومن ذلك على سبيل المثال : قوانين « الهندوس» وتعتبر كل الشرائع الهندوسية والاغريقية والرومانية المرأة من ارومة الاماء او الصبيان ، ترى في الرجل الهها الذي لا ينبغي ان يعصى امره ، وعلى النقيض نجد العرب يمجدون المرأة ويعطونها مكانتها اللائقة بها ، وليس ادل على ذلك من قولهم المأثور : « ان النساء شقائق الاقوام » (✱) . والمقصود من هذا المثل العربي النساء والرجال سواسية فلا فضل للرجل على المرأة .

وقد شذبت الحياة العربية نفسية المرأة فاحالتها شاعرة قديرة تتلاعب بالمعاني كما تملي عليها طبيعتها ، وتتلاعب بالالفاظ كما توحي اليها طبيعتها الخصبة . وجعلتها خطيبة مفوهة تتصرف في الاسلوب الخطابي تصرفا ينبيء عن قدرتها الخطابية ، ومن هؤلاء الشواعر : امامة المدادية وهي صحابية صرفها الدين عن قول الشعر ، والحارثية بنت زيد بن بدر الفزاني شاعرة مبدعة عرف شعرها بالحماسة والافتخار ، وصفية بنت مسافر بن ابي عمرو بن امية حضرت موقعة « بدر » ورثت اهل القليب ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وغيرهن كثير ، وحسبنا ان ابا نواس الشاعر العباسي الكبير قال : (ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى) وان ابا تمام روي عنه انه قال : (لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة) .

ومن الخطيبات عكرشة بنت الاطرش بن راحة صاحبة الخطبة الشهيرة في يوم صفين تستثير فيها الحماس ضد معاوية ، وام الخير بنت جريش ، والزرقاء ابنة عدي الهمدانية .

وذلك في ميداني الشعر والخطابة ، اما في ميادين اخرى فلم تكن المرأة قاصرة فيها ، فقد ضربت بسهم وافر في كل الفنون ، ولذلك فان هناك سيدات كثيرات اشتهرن بفتحهن ابوابهن على مصاريعها لاهل العلم والثقافة ، فكانت منازلهن عبارة عن منتديات لرواية الشعر والادب والاخبار والمناقشة في كل القضايا العلمية والادبية ، ومن بينهن سكينة بنت الحسين ،

(✱) سيرة ابن هشام 3 / 25 ـ 26 .

(✱) مجمع الامثال 1 / ص 20 والاقوام جمع قوم والمراد به الرجال ...

وعمرة الجمحية ، وهي من علية بني جمح ، وخرقاء وعمرة امرأة ابي دعبل الشاعر ، وعائشة بنت طلحة .

وكيفما كانت الحال فان المرأة العربية لم تأل جهدا في تثقيف نفسها والمشاركة في شتى ضروب العلم ، وقد ترجم العلامة ابن حجر في الاصابة ل 1543 امرأة فيهن العالمات والمحدثات والفقيهات ، وكذا الامام النووي في «تهذيب الاسماء» والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » والسيوطي في كتابه « نزهة الجلساء في اشعار النساء » وليس ادل على ذلك من ان ابن عساكر تتلمذ على جم غفير منهن وكذلك ابن الاثير والحافظ الذهبي ، وحسبك بهؤلاء شهيدا .

هذا ولولا الجنس اللطيف لما زخر الادب العربي بخوالد القصائد ، وروائع العمل الفني الذي يعج بجيشان عاطفي ويمتاز بالحس الانساني العميق ، وتتكوم في قوقعته فورات بشرية محترقة ، ومرجع ذلك الى ان العربي هام بالمرأة وقصد القصائد فيها ، فنزع على هجرها ، ووقف يبكي ويستبكي ، ويندب حظه العاثر ، ولذلك ذاق من اجلها الامرين ، ليتسنى له ان يكون بجانبها ، يحدثها وتحدثه ، ويرنو اليها وترنو اليه ، وبايجاز فانها كانت بالنسبة له منبع الالهام الثر ، وشرفة نورية فرقت منها خياله حيث يجد اجواء اللامنتهى يصوغ في رحابه ما حلا له من روائع الفن ، وساحر الكلام يروي النفس تماما كالديمة تروي اديم الثرى فتنبه عيون النور من الكرى الى الحياة المطوذية المحلولاة .

تلك نظرة ... نظرة عجلى ، خاطفة عما قامت به المرأة العربية وما كان لها من شأن ، واي شأن ، في بناء صرح العلم والادب ، ولولا خوفنا من الاطالة لاتينا على كل ما يمت من قريب او بعيد الى موضوع المرأة في التاريخ ، ويكفينا من القلادة ما احاط بالعنق .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

فهي الشهادة لي باني كامل ...

دخل ابو العلاء المعري يوما على الشريف المرتضى ، فجرى ذكر ابي الطيب المتنبي ، فتنقصه الشريف ، وذكر معايبه ، فقال ابو العلاء :

لو لم يكن للمتنبي من الشعر الا قصيدته التي مطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل   اقفرت انت ، وهن منك اواهل

لكفاه فضلا وشرفا .

فغضب الشريف ، وامر بسحب المعري واخراجه ، ثم قال لجلسائه :

« تدرون اي شيء اراد هذا الاعمى بذكر هذه القصيدة ، وللمتنبي اجود منها ، ولم يذكره ، ! » .

قالوا : « لا ... » .

انما اراد ان يذمني بقوله منها :

واذا اتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي باني كامل

مسجد موسى بن نصير

للأستاذ : سعيد اعراب

ما ان وطئت قدم موسى بن نصير ارض المغرب ، حتى هب الناس لاعتناق الاسلام بشوق كبير ، واندفاع جارف ، وكأنه كان على موعد مع القدر ، لتثبيت الدين الحنيف بهذه الارض المباركة .

وكل خطوة كان يخطوها ابن نصير ، وقائده المظفر طارق بن زياد ــ تعتبر فتحا واسلاما ، وجهادا وايمانا . بث الفقهاء والقرئين في جهة ومكان ، واسس المساجد والجوامع في الحواضر والبوادي ، وفي السهول ، وفوق قمم الجبال .. فكانت بمثابة القلاع الحصينة للاسلام ، تنطلق منها مواكب الفتح الاسلامي ، وجنوده المدججون ، يحملون المصحف في يد ، والسيف في يد اخرى ، حتى انتشر الاسلام في كل بقاع الارض وكانت من حين لآخر ، ترتفع منها كلمة (لا اله الا الله) مجلجلة ، تشق عنان السماء ، وتحمل الى القلوب الايمان والرحمة ، ولم تزل تحمي الاسلام ، ولغة القرآن ، الى يوم الناس هذا . ومن هذه المساجد المباركة التي اسسها ابن نصير ، وحملت اسمه احقابا من السنين ــ (الجامع البيضاء) ببني حسان ، قبيلة حاميم المتنبىء المشهور ، على بعد نحو ثلاثين (30) كيلومتر من مدينة تطوان .

وهو يتربع على ربوة عالية ، قرب سوق الاربعاء ، على بضع خطوات من مدشر بني عمران ، ويعرف عند العامة بمسجد الملائكة تقديرا لشأنه .

وهو مسجد صغير ، مربع الشكل ، طوله نحو خمسة امتار وعلوه لا يتجاوز الاربعة امتار ، وسقفه بالقبو في نحو نصف دائرة ، طول محرابه متر ونصف على 70 سنتيمترا عرضا . وهو محكم البناء ، بني بالجير والحصى الدقيق (الطابية) وارضه حصباء ، تبدو فيها حفر ، ويقال : ان الناس كانوا يدفنون فيه امواتهم عند الفزع ، وفي معتقداتهم ان كل من اخذ منه شيئا لا بد ان يصاب بسوء ، ولا زال يتبرك به الى الآن .

وقد سقط سقف مدخله ، وتلاشت ابوابه ، واصاب الوجه الخارجي منه بعض تلاش . ويبدو انه ادخلت عليه بعض اصلاحات ، عبر عصور التاريخ . وعلى مقربة منه ثلاث عيون جارية ، احداها من جهة الشرق ، وتعرف «بعين التين» ، ولعل هذه التسمية جاءتها من كثرة اشجار التين التي كانت هناك .

والاخرى من جهة الغرب ، وتدعى «بعين الحجاج» ،لنزول الحجاج بها ، وربما كانوا يعتقدون بركتها .

والثالثة من جهة الجنوب وتسمى «بعين تطليجات » .

وهذه العيون ــ على ما يبدو ــ كانت معدة للوضوء ، وتتفق جميعها في المسافة بينها وبين المسجد ، بنحو كيلومتر الواحد . وظل مسجد موسى بن نصير يؤدي المهمة المتوخاة من انشائه ، تقام فيه الصلوات الخمس ، ويتلى فيه كتاب الله ، الى ان هجره الناس منذ سنوات ، واقتصروا فيه على اقامة صلاة العيدين ، وقد اصبح اليوم مهجورا بالمرة ، تعوي فيه الذئاب ، وتؤذن فوقه البوم ؟ ! (بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) .

ومن العلماء الذين زاروا هذا المسجد التاريخي ــ ابو الحسن مصباح الزرويلي المتوفى (1130 هـ) مر به في طريقه الى تطوان سنة اربع وعشرين ومائة والف هجرية (1124 هـ) .

ويحدثنا ابو الحسن مصباح في هذا الصدد فيقول :

(وقد رأيت مسجدا صغيرا ، متقن الصنعة ، على رأس كدية عالية في الهواء ، في جبال بني حسان قرب مدينة تطوان ، اجمع اهل ذلك البلد على انه من عمل موسى بن نصير ، وهم يسمونه مسجد موسى بن نصير ، نقلوا ذلك خلفا عن سلف ، رأيته سنة (1124 هـ) (✱) .

فهذا الوصف ينطبق تماما على (الجامع البيضاء) القائم العين الى اليوم ، وها انت ترى انه في اوائل القرن الثاني عشر الهجري ــ وقد مر عليه ازيد من عشرة قرون ــ كان لا يزال

(✱) انظر كتابه « سنا المهتدي .. » مخطوط .

يحمل اسم مؤسسه موسى بن نصير . وابو الحسن مصباح ـ وهو العالم الثبت ـ لم يرد ان يسجل هذه الحقيقة التاريخية التي ستزويها عنه الاجيال ، وربما كان المنفرد بها ـ حتى تأكد من الامر ، واستنطق اهل البلد ، لتكون الرواية متواترة مشهورة ، فاجمعوا على انه من عمل ابن نصير ، وانه يحمل اسمه ، نقلوا ذلك خلفا عن سلف .

ويلاحظ ان هذه التسمية تنوسيت الان ، وغلب عليه اسم (الجامع البيضاء) لظهوره من بعيد كالنجمة البيضاء اللامعة . والعامة تؤنث المسجد وهو مذكر .

وتحرف اسمه في بعض الوثائق (*) بالدار البيضاء ، وهو خطأ منشأه اهمال الناس له كمسجد ، وهجرهم اياه في اوقات العبادة ، وايام المواسم والاعياد ، حتى ظنه المارة وبعض الجوار البعيدين عنه ، مطلق دار هناك ، وربما سموه بالدار البيضاء ، وهذا يدل على ان هذا المسجد اصبح مهجورا منذ زمـــان !

وهكذا نرى ان اكثر آثارنا التاريخية ، مسخت عن قصد او من غير قصد ، ثم اصبحت اثرا بعد عين ، ثم لا اثرا ولا عين! والامر لله . واعتقد ان الكتاب يتحملون قسطا كبيرا من هذه المسؤولية بسكوتهم ، وانطوائهم في قوقعتهم ، ففي استطاعتهم ان يعرفوا بهذه الآثار ويحفظوها ـ على الاقل ـ في الصحف وبين طيات الكتب .

ولا ندري ما مهمة مصلحة الآثار في هذه البلاد ؟ ويجب ان نشير الى انه اسست بشمال المغرب على عهد موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ـ عدة مساجد ، ولعل ذلك ايام ان كان المسلمون مرابطين بطنجة وسبتة ، لفتح بلاد الاندلس ، وقد كانت الوثنية ضربت اطنابها في هذه الجبال ، وخيم الجهل في العقول ، وانتشرت الاباحية بشكل فظيع ، واصبح الناس كالبهائم لا يردعهم عقل . ولا يزجرهم قانون ! ومن بين هذه المساجد ـ مسجد اشرافات على بعد 35 كيلومتر من شفشاون ، ومن الجامع البيضاء بنحو (60 كلم) . بناه كما يقول ابن عسكر في الدوحة طارق بن زياد ـ اواخر القرن الاول للهجرة (*) . ومنذ سنوات سقطت صومعته ، وتصدعت بعض جوانبه ، فادخلت عليه وزارة الاوقاف بعض اصلاحات ، وبنت له مئذنة من الطراز الجديد ، لا تتفق مع شكله القديم ، فكانت كمرقعة (الهداوي) فيها القديم والجديد ، ومن كل شكل لون . وكنت اشرت في مقال سابق (*) الى انه ينبغي ان تكون هناك ادارة فنية تابعة لوزارة الاوقاف ، تشرف على اصلاح الآثار القديمة من مساجد ، وزوايا ، واضرحة ومقابر .. وتحافظ على شكلها القديم ، صونا للفن المعماري الذي له قيمته التاريخية .

وهناك مسجد في قمة جبل ، بقبيلة بني زيات على بعد نحو 70 كيلومتر من تطوان ، يكاد يكون صورة طبق الاصل من الجامع البيضاء ، ونعتقد انه بني في هذا العصر ، وادخلت عليه تغيرات واصلاحات ، ويعرف بجامع «تكطشت» ، وتكطشت كلمة بربرية ، قيل انه اسم امرأة مومنة كانت تتعبد هناك ، او اقبرت بهذا المكان ، وتذكر بعض المصادر انه دفن فيه بعض ابناء عمر بن ادريس امير تجيساس .

وقد يقال : ـ واي فائدة من التعرف على هذه المساجد بين قمم الجبال وقد انطمست معالمها ، وانمحت آثار اكثرها ؟ فالجواب ان هذه المساجد ـ كما قلنا في صدر هذا البحث ـ كانت القلاع الحصينة للاسلام ، فكانت مسجدا ، ورباطا ، ومدرسة ، وهي التي حمت لغة القرآن في هذه البلاد ، وبفضلها كانت القبائل الجبلية هي اولى القبائل البربرية التي تعربت ، وهي التي خرجت لنا امثال الشيخ المربي ابن مشيش ، وتلميذه الذائع الصيت ابي الحسن الشاذلي ، والصوفي السني علي بن ميمون ، والمصلح الداعية ابي محمد الهبطي ، والعالم السلفي ابن خجو ، والفقيه المتشرع ابي عبد الله بن عرضون ، والعالم النوازلي ابي فارس الزياتي ، والشاعر النابغة ابي الحسن مصباح الزرويلي ، والقاضي الشاعر ابن صالح الزويني ، والاديب المتفنن ابي حامد المساري وغيرهم كثير .

واذكر بهذه المناسبة انني قرأت في احدى المجلات الشرقية انه عثر على اقدم مسجد هناك ، فقامت قيامة الكتاب والباحثين ، وطلعت اكثر الصحف بابحاث ونشرات تستنطق الآثار وتستجلي الاخبار . واعتقد ان من لا يعتز بماضيه ، لا يفخر بحاضره .

وكل رجائنا ان تعير وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اهتماما زائدا بهذه المساجد التاريخية التي اوشكت على الاندثار ، وتعيد لها ـ على الاقل ـ كرامتها وقداستها ـ كما كانت . وكم نود ان نرى قريبا تدشين مسجد موسى بن نصير ـ بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرنا على تأسيسه ، وباعتباره اقدم مسجد بالمغرب بعد مسجد شاكر بمراكش (*) .

(تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار)

تطوان : سعيد اعراب

---

*) كما في ظهائر التوقير والاحترام لشرفاء بني عمران التي جددها لهم السلطان المولى عبد الحفيظ .

*) انظر دوحة الناشر ص 18 ـ الطبعة الحجرية .

*) انظر « دعوة الحق » عدد خاص بمساجد المغرب ص 30 .

*) هو شاكر بن عبد الله الازدي احد مشاهير التابعين ، دخل المغرب مع عقبة بن نافع في الفترة الاولى ، وله اخبار مشهورة في محاربة رجراجة . اندثرت رسوم مسجده هذا منذ المائة الثالثة حتى احياه السلطان محمد بن عبد الله . انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 5 ص 132 .

مستقبل جامعة القرويين

للأستاذ : الحسن الشلحي

نشعر بالفخر والاعتزاز حين نتكلم عن (جامعة القرويين) التاريخية التي دوى اسمها عبر القرون حافلا بالامجاد والمفاخر ، ونستمد من سجلها الحافل باعلام الفكر في الفلسفة والعلوم اللاهوتية والقانونية والادبية ، ان بلادنا عريقة في الحضارة الفكرية وانا لسنا في تجربة اولية ، وانما نحن في استمرار اداء الرسالة . ولكن كم يتساءل الكثير من الباحثين عن القرويين اليوم اين يوجد مركز اشعاعها ؟ هل هي المسجد الذي ينتظم فيه المسلمون لاداء الصلوات ؟ ام هي هذه المعاهد والمؤسسات المتفرقة في اماكن متعددة وعواصم مختلفة ، واين توجد ثقافتها؟ هل في الاوراق والمخطوطات ؟ ام في عقول العلماء الذين يؤخذ العلم من افواههم ؟ ام في جماعة من الطلاب الباحثين عن المعرفة حسب مناهج علمائها الكبار ، ام في الاجهزة التربوية والادارة التي تسير البلاد ؟ .

ثم يتساءل عن دور القرويين اليوم ؟ اهو في تكوين اطروحة للبلاد الاسلامية ، ام تكوين ثقافة (محافظة) لاستمرار وجود هذه المؤسسة الخالدة ؟ قد لا نجد اجوبة مدققة ، ونقتنع باجوبة غامضة غير حاسمة ، ولكن مما لا شك فيه انها اسئلة تدل على وجود (غموض) في واقع هذه المؤسسة اليوم ، واذا كان يسرنا ذكر (امجاد) القرويين ، فان وضعيتها اليوم خليقة ان تثير اسئلة دقيقة وتجعلنا اكثر بحثا عن واقعها ومستقبلها .

ومهما يكن فليس في وسع واحد منا ان يتنازل عن القرويين كأعظم بناء ثقافي تاريخي في بلادنا ، وهو في مستوى (ازهر) القاهرة و (اكسفورد) انجلترا و (سربون) فرنسا ، ولكن لا يمكن بحال من الاحوال ان نغالط انفسنا فنزعم ان دور جامعتنا في هذا العصر يساير رسالتها الماضية وانها تساير العصر الحديث بمرونة تجعلها دائما تحتل مكان الصدارة كما كانت في الماضي العريق .

وليس في وسعنا كمسلمين ان نتنازل عن (القرويين) لانها رمز استمرار الاسلام في بلادنا وفي القارة الافريقية المسلمة

ويكفي ان اذكر مثالا لذلك ان البابا في روما لم يبعد قط (كرسيه) عن (الفاتيكان) التي تعتبر رمز استمرار الحضارة المسيحية في روما رغم العواصف التي قصفت في سماء ذلك المركز التاريخي لان البناء التاريخي رمز للاستمرار ، ويخيل الي ان التنازل عنه خطورة ينطوي على نكبة عظمى ولا يمكن التنازل عنه الا اذا تنازلنا عن مقدساتنا وعندئذ ـ لا قدر الله ـ سنبحث عن مقدسات وايديولوجيات اخرى ، وهذا ما يريده اعداؤنا واعداء حضارتنا الاسلامية التي ستصان بقوة الله التي لا تقهر وعملنا المتواصل الخلاق المستمد من عنايته تعالى بنا .

فالقرويين هي مركز الفكر الاسلامي ، ومأوى التراث الاسلامي ايضا ، فيها يدرس الاسلام ومنها ينشر ، وهي الجهاز اللاقط والمرسل الذي يوجه الاشعة لكل البلاد المسلمة ، وما تزال القرويين عاملة على فهم الاسلام في روحه المتطورة الجذابة وصقل اداة التعبير عن الفكر الاسلامي ، وبالتالي هي الجهاز الذي يغذي الحضارة الانسانية من الوجهة الروحية .

وهي في نفس الوقت اداة السمو بالآداب العربية ، ومعمل تكوين المختصين في الدراسات الاسلامية ، فصلتها قوية بالمجتمع والحضارة والتاريخ ، لذلك فهي اداة خلق وابتكار وتكوين اطارات لعصرنا الحاضر ، وهي اداة اتصال بالجماعات الانسانية للمحافظة على مكاسبها الروحية الجذابة .

ولن تكون القرويين ، ذات اطار تاريخي وصورة حية ، الا اذا فهمت رسالتها بوعي ووضوح ، كما ان خلود القرويين يستلزم المحافظة على روحها ورسالتها وتستلزم في نفس الوقت الوعي الدقيق لرسالة العالم الاسلامي في هذا العصر .

لقد صدر ظهير لتنظيم جامعة القرويين وبعبارة ادق اعطيت القرويين فرصة تكوين اطار حي ، ولن تعطينا الاجهزة التشريعية اعظم من ذلك ، فما ذا حققنا للقرويين من خطوات

عميقة لاداء رسالتها ؟ او ما هي الصورة التي يشملها هذا الاطار الذي يعطينا وجها لمستقبل المغرب المسلم ؟ ، ولعل من الاغراق في المأساة ان نتنصل عن مواجهة الحقائق وجها لوجه ، فنلقي التبعة على جهة دون اخرى ، لان تطوير القرويين واحيائها يستلزم حيوية عناصر اربع :

1) العنصر الاداري المسير .
2) العنصر التعليمي المكون « بالكسرة » .
3) العنصر التعليمي المكون « بالفتح » .
4) مجـال الحيويــــة .

ولتضع على اساس ذلك الخطوط الرئيسية التي تسهل لنا مهمة القرويين كجامعة حية جديـدة بماضيهـا ورسالتها التـي ستبلغها لا محالة ! . وان جميع المفكرين المغاربـة ليشعـرون بمدى وجوب احياء هذه الجامعة العظيمة ، ولذلك تقدم مختلف الهيئات عدة حلول ، غير ان معظم هذه الحلول تنقصها النظرة الشمولية لواقع القرويين .

فهل يكون كافيا ان تتقدم هيئات بمقترحات اصلاحية ، ينقصها الوعي الدقيق للجزئيات التي لا يمكن فصلها عن هيكل الموضوع ؟ وهل يكون كافيا ان نلتقي في مؤتمرات وندوات ثم نفترق وقد اختلفنا ايادي سبا ؟ وهل يكون كافيا ان نلقي مقترحات ، ونلقي الائمة على مشاكل لا نعطي لها حلولا ؟ .

ان الموضوع اخطر مما نتصور ، ذلك لان القرويين هي رمز حضارة الامة الاسلامية وهي مطمح بناء مستقبلها ، لذلـك يجب البحث بدقة عن مدلـول التـراث الحضـاري الاسلامـي ، وتطويره ويستلزم ذلك معرفته بدقة ، وتجديد ما يجدد منه ، ثم تلقيح الفكر الحديث بنظرياته ، وتلقيحه بمعطيات الفكـر الحديث المساير للتطور الحضاري السريع في كل مجالات الفكر الانسـاني ، وهذا يتطلب اطلاعا واسعا على ما ينبض به الفكر في الشرق العربي وما جاءت بـه حضارتنـا العريقـة من آراء ونظريات في مختلف شعب المعرفة .

ان القرويين مؤسسة تاريخية معاصرة ذات تراث عريق ورسالة خاصة لذلك يجب ان تنشى في قمتها من عناصر ملقحـة على اسس تناسب وما تهدمه له ، لتعطي جماع طاقتها في قمة الهرم ، وبما انها تتوفر على تراث فيجب ان يهتم باصلاحـه ومناقشته واذاعته ، وبما ان لها رسالة فيجب ان تكون محددة المدلول واضحة الهدف .

هكذا تتراءى معالم قضية (القرويين) اليوم ، هي شـيء لا بد منه لحياة المغرب المسلم وهي شيء يجب ان تتضافـر كل الجهود لانقاذه واحيائه ماديا وادبيا .

وليس من الغلو في شيء ان نلاحظ هذه الحيرة مرتسمة على ملامح وجوه طلاب المدرسة الغربية الذين يريدون ان يروا القرويين كما رأوا معاهد الغرب ، فهم بذلك يظلمون القرويين ويظلمون انفسهم ، يظلمون القرويين لانهم يريدون ان يعطوا (للاطلس) شخصية جبال (الالب) اي يعطون للقرويين شخصية غير شخصيتها ، ويظلمون انفسهم لانهم لم يكلفوا انفسهم عناء البحث عن حقيقة الثقافة الاسلامية التي تنزعها القرويـين ، او بعبارة ادق ، دور القرويين الفعال في توجيه المغرب والعالـم الاسلامي ، وبذلك سيظلون بعداء عن واقع المغرب الـذي لن ينفصلوا عنه مهما خيل لهم انهم يستطيعون الانفصال عنه .

كما ان من الواجب ان نؤكد ان طلاب هذه الجامعـة يستشعرون عظيم مسؤوليتهم حيث يجب ان يلتحقوا بالركـب الحضاري لاهثين مهما كلفهم ذلك من عناء ، وان ايمانهم بالثقافة الاسلامية لا يمكن ان يجازى الا ان تكون جميعا سدنة هاته الثقافة التي كادت ان تحتنط في عهد الحماية البغيض ، وما تزال الان غير قادرة لا على مناهضة خصومها بقوة رغـم كفاءتها واعتنى بخصومها ، خصوم ثقافتها من رجال الفكر المادي الغربي ، ولو كانت الخصومة غير مباشرة .

والمسـألة ليست قضية احتجاج ، ولكنها قضية عمل مستمر لتطوير لغة عظيمة ، وتلقيح فكر جبار ، واغناء الثقافة بمختلف فروع المعرفة ، في ميدان الدراسة اللاهوتية والاخلاقية والفلسفية ، واللسانية ، والادبية ، في الشعر والقصة والمسرحية ، وفي ميدان (العلوم) التي نشعر جميعا ان التخلف سيظل مستمرا اذا لـم تتجاوز جهودنا في اللحاق بركب الحضارة السريع العدو .

وهذا دور (القرويين) محافظة عن التراث والشخصية ، واداء لرسالة العروبة والاسلام ، واسهام فعال في خلق الحضارة الانسانية ، وخلق مستمر للشخصية المغربية المهـددة ، تلك الشخصية المتسمدة في ماضينا الاسلامي وحاضرنا الجديد المهدد بايدلوجيات مختلفة سهلة الادراك .

لذلك يجوز ان نتساءل ــ وقد وضحت للقرويين رسالتها ــ عن هذه الكتب الجديدة التـي تطالعنـا بها الفلسفة الاسلاميـة المعاصرة ، ورد الشبهات التي تثيرها المذاهب الحديثة ، كمـا فعل الامام الغزالي وابن تيمية وابن القيم وجمال الدين الافغاني ومحمد اقبال ومحمد عبده والشيخ كنون والشيخ شعيب الدكالي .

وماذا قدم المهتمون بالدراسات الادبية من ابحاث لغوية وادبية وتاريخية .

ان من الواجب ان يكون لهـذه الكتب اسهـام في بنـاء الحضارة الروحية في القرن العشرين ، كما اسهم علماء القرويين في القرون الماضية بتلك الآثار الجليلة التي يعسر احصاؤها .

ولست اريد ان احمل مسؤولية الركود احدا من الناس ، فالمسؤولية اذن عامة ، ولكن المشكلـة ستظل قائمـة ، ولـن يلتمس التاريخ لنا عذرا !

ان (القرويين) مرت بمحنة المحاربة والاهمال في عهد الحماية البغيض ، وقد اخذت تشق طريقها بعد الاستقلال ، ولا يجوز ان تنكر انها منذ عشر سنوات خطت موفقة حينا ومرتبكة حينا ، خطوات لا ينكرهـا الا المكابـرون ، فلم تكن قبـل الاستقلال تتمتع بشخصية ادارية ، وانما كانت تصارع بشعبيتها وايمان المغاربة بها ، وكانت في نفس الوقت تشكو نقصا فادحا في اطر الادارة والاساتذة والتجهيز والتسيير ، بل لا نبالغ اذا قلنا انها كانت تعيش بدون اطر ادارية ، ولم تكن الدراسة بها الا في حلقات مبعثرة في اساطين المسجد ، وقد يظن احد ان هذه هي تقاليدها الدراسية ولكن الواقع ان وجود مؤسسات عصرية بجانبها تستوعب طلابا وتلاميذ يتلقون تربية وتعلما عصريـا كان عاملا قويا على تقويض صرح الدراسة العلمية بها ، وابعاد عناصر من خيرة الطلاب والاساتـذة عن الارتواء من معينهـا ، حتى اصبحت لا يدرس بها الا العلوم الدينية فقط بعد ان كانت هذه العلوم نفسها تشمل الدراسات العلمية بها .

ولكن مع ذلك فقد كانـت القرويين تتحدى مقاومـة الاستعمار ، فيبلور ذلك كيانهـا وشخصيتهـا ، وعند اعـلان الاستقلال بدت القرويين تخط طريقها مارة بتجربـة جديـدة وخطيرة ايضـا .

وذلك لان جامعات العالم الاسلامي مرت بتجارب متعددة ، فهناك تجربة (الازهر) وهناك تجربة (الزيتون) ، وهناك تجربة (دمشـق) واخيرا تجربة جامعة الهند . . . فما هـو المخطط الذي سارت عليه القرويين ؟ وما هي مكاسبهـا ثم مـا هي الطريق التي يجب ان تنهجها بين هـذه التجارب المتعـددة وما ذا عليها ان تستفيد من تجارب غيرها .

الرباط : الحسن السائح

الالمعيـة العربيـة

قال صاحب كتاب « مفتاح العلوم » :

« العرب لا يبارون قوة ذكاء ، واصابة حدس ، وحدة المعية ، وصدق فراسة ، يخبرون عن الغائب بقـوة ذكائهـم كأن قد شاهدوه ، ويصف لهـم الحدس الصائب حال الورد قبل ان يردوه ، ويثبتون ابعد شيء بحدة المعيتهم كان ليس ببعيد ، وينظم لهـم المجهول صدق فراستهـم في سلـك المعروف منـذ زمـان مديـد . »

علاقات المغرب بالمشرق في العصر المريني الثاني

للأستاذ : محمد المنوني

ان اول ميزة لهذه الفترة ، ارتفاع عدد الملوك الذين كانت لهم علاقات مع الشرق الاسلامي بالنسبة لعددهم في العصر المريني ، وقد بلغ عددهم في هذا العصر الثاني ستة وهم :

1) ابو عنان فارس بن ابي الحسن 749 هـ 1348 م ـ 759 / 1358 .
2) ابو فارس عبد العزيز الاول بن ابي الحسن 767 / 1366 = 774 / 1372 .
3) ابو العباس احمد بن ابي سالم بن ابي الحسن ـ الدولة الاولى : 775 / 1373 / 786 / 1384 ـ الدولة الثانية : 789 / 1387 = 796 / 1393 .
4) ابو عامر عبد الله بن ابي العباس بن ابي سالم 799 / 1397 = 800 / 1398 .
5) ابو سعيد عثمان الثاني بن ابي العباس بن ابي سالم 800 / 1398 = 823 / 1420 .
6) عبد الحق بن ابي سعيد بن ابي العباس بن ابي سالم 823 / 1420 = 869 / 1465 .

ابو عنان :

ابتداء من ابي عنان نواجه الميزة الثانية لهذه الفترة ، والتي تبدو في انعدام تفصيلات وافية عن علاقات المغرب مع الشرق في هذا الدور ، واولى ظاهرة لهذه الميزة بالنسبة لابي عنان ، انه لا توجد الا اشارة عابرة ومقتضبة ، تفيد وجود سفارة بعثها هذا العاهل المغربي الى مصر ، وقد جاءت هذه الاشارة في « التعريف بابن خلدون » (1) الذي اوردها هكذا :

« وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس ، الفقيه الكاتب ابو القاسم البرجي بمجلس السلطان ابي عنان ، منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر ، وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم ، سنة ست وخمسين وسبعمائة ..... » .

فهذه الفقرة تكشف عن قيام علاقات بين المغرب ومصر ايام ابي عنان ، وعن وجود سفارة توجهت من المغرب المريني الى مصر المملوكية سنة 756 هـ ـ 1355 م .

وقد كان ملك مصر وما والاها في هذا التاريخ ، هو السلطان حسن الناصر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي في ولايته الثانية التي كان فيها تحت استبداد اثنين من امراء المماليك ، ويظهر ان هذا الوضع هو الذي دفع ابن خلدون ان يجعل السفارة لملوك مصر بدل ملك مصر ، وهو يقصد السلطان حسن مع الاميرين المستبدين عليه ، في دولته الثانية التي استمرت من سنة 755 هـ ـ 1354 م الى سنة 762 هـ (2) ـ 1361 م .

ولا شك ان هذه السفارة هي التي ذكرها ابن الخطيب(3) في ترجمة البرجي لما قال : « واستعمل في السفارة الى ملك

---

*) لاجل ان تتصل حلقات البحث ينبغي ان يرجع الى :
— (علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الاول) مجلة دعوة الحق العدد 5 السنة الثامنة .
— (علاقات المغرب بالشرق ايام السلطان ابي الحسن المريني) مجلة «تطوان» العدد الاول السنة الاولى ص 109/151.

1) نشر الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ـ القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1370/1951 ص 248 .
2) انظر عن السلطان حسن في دولته الثانية : « العبر » ج 5 ص 450/452 ط مصر سنة 1284 هـ .
3) مختصر الاحاطة المطبوع باسم « الاحاطة » ج 2 ص 221 ط مطبعة الموسوعات ، مصر 1319 هـ .

مصر » . كما انه لا يبعد ان تكون هذه السفارة هي التي اشار لها ابن ابي حجلة لما قال في كتابه « منطق الطير (4) » : وقلت في غراب ابي عنان القادم في الرسلية « كذا » الى اسكندرية :

اتتنا من جواريه فتاة ومسبل قلعها مثل الازار
غراب طائر بجناح قلع فما اخطا بانعه مطاري» .

وقد يكون هذا الغراب هو الذي تحدث عنه ابن الخطيب في « نفاضة الجراب » (5) التي اوردت الفقرة التالية اثناء كلام : (.. واتفق تفقة ذلك ان وصل سيتة الغراب الموجه الى الاسكندرية اخريات الامير ابي عنان ... بما جد له شراؤه من متاع الشرق وطيبه وطرفه فحط بستة) . وهذا يفيد وجود علاقات تجارية بين المغرب ومصر في هذه الفترة .

* * *

وبعد هذا نذكر ان هناك شيئا آخر ورد في فقرة «التعريف بابن خلدون » السالفة الذكر حيث قال : (وتادية رسالته النبوية الى الضريح الكريم) .

وهذا يفيد ان البرجي كان مكلفا — من طرف ابي عنان — بمهمة ثانية الى جانب السفارة الى مصر ، وهي ايصال رسالة نبوية كتبها هذا الملك الى المقام النبوي الكريم بالمدينة المنورة

وقد كانت هذه الرسالة النبوية عبارة عن رسالة من انشاء ابي عنان ، متصلة بقصيدة من نظمه ، وكلاهما — على حد تعبير ابن الخطيب (6) — يعلن — في الخفاء — ببعد شاوه ، ورسوخ قدم علمه ، وعراقة البلاغة في نسب خصله ، وحسب « تحفة النظار (7) » فقد دبجهما ابو عنان بخط يده الذي يخجل الروض حسنا .

واشتهرت هذه الرسالة بالشرق بعد المغرب ، حتى اوردها « بكشف الظنون (8) » في العبارة التالية : « الدرة السنية والرسالة النبوية » — رسالة لابي عنان ملك المغرب) .

هذا ، ويظهر ان ابا عنان حبس على خصوص القصيدة — المكتوبة مع الرسالة — اوقافا لاستمرار قراءتها بالمقام النبوي الكريم ، فقد جاء في « تصح ملوك الاسلام (9) » التصريح بان القصيدة العنانية تقرأ بطيبة المشرقة زمن تأليف هذا الكتاب نحو سنة 800 / 1398 .

ولا يبعد ان يكون هذا الوقف من اغراض سفارة البرجي الى ملك مصر الذي كان يتولى امر الحرمين الشريفين ايضا . وهكذا تقدم لنا هذه الرسالة النبوية لونا آخر من علاقات ابي عنان الذي كان صيته قد شاع بالحجاز والعراق (10) .

اما السفير البرجي فهو ابو القاسم محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن ابراهيم الغساني البرجي الغرناطي نزيل فاس ، المتوفى سنة 786 / 1384 (11) .

ابو فارس عبد العزيز الاول :

يوخذ من « صبح الاعشى (12) » وجود علاقات بينه وبين ملك مصر وما اليها لعهده : الاشرف شعبان بن الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي ، فقد نقل عن مؤلف « التثقيف » ان مكاتبة هذا الى ابي فارس عبد العزيز الاول كانت تقع في قطع النصف « حجم خاص من الرسائل »

وقد استمرت دولة الاشراف من سنة 764 / 1363 الى سنة 778 / 1377 (13) .

وكصنيع ابي عنان فان عبد العزيز الاول بعث — هو الاخر — برسالة الى المقام النبوي الكريم تحدث عنها ابن ابي حجلة في « منطق الطير » الذي ضمنه تقريظا ضافيا — منثورا ومنظوما — وصف في ثناياه الرسالة الفارسية ، وبين انها مفتتحة بابيات دالية ، ومكتوبة بخط ابي فارس نفسه ، ومما جاء في هذا التقريظ :

(... فقد وقف المملوك .. على الرسالة الملكية السلطانية الفارسية العزيزية ، المجهزة الى الحضرة النبوية ، المفتتحة بالابيات الدالية .. وانتهى الى ما انجز في ذيلها من الضراعة والثناء ، الى صاحب الحوض والشفاعة .. فقد بلغ برسالته التي قرئت بحضرة الرسول ، وهبت عليها نسمة القبول .. ثم وصف خطها في هذه القطعة :

---

4) نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 1910 .
5) مصورة معهد مولاي الحسن بتطوان رقم 27 — ج 2 لوحة 91 ب .
6) مختصر الاحاطة السابق الذكر ج 2 ص 215 .
7) ج 2 ص 183 ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر 1377 هـ .
8) ج 1 ص 484 ط الاستانة 1311 هـ .
9) ص 31 ط المطبعة الجديدة بفاس 1316 هـ .
10) « نصح ملوك الاسلام » ص 31 .
11) من مراجع ترجمته مختصر الاحاطة المطبوع باسم«الاحاطة » ج 2 ص 215 / 221 والتعريف بابن خلدون ص 64 / 65 ونيل ابتهاج ص 266 / 267 وجذوة الاقتباس ص 197 .
12) ج 7 ص 388 .
13) انظر عن دولة الاشراف « العبر » ج 5 ص 453 / 465 .

فكم همزة تبدو على « الف » بها
كناجحة من فوق غصن تغرد

اغازل منها كل « عين » كانما
يلوح بها من اسود النقش اثمد

وانظر من نقش القوافي بطرسها
محارب « دالات » بها الحبر يسجد

وهناك ـ في نفس المصدر ـ قصيدة مطولة لابن ابي حجلة مدح بها ابا فارس الاول ، وقال عن رسالته النبوية :

له في النبي الهاشمي رسالة
يكرر فيها شوقه ويعيد

وانشدها بالحج في كل مشهد
يطيب بها للسمع منه نشيد

وام بها من طيبة طيب روضة
بها يقطف الجاني الرضى ويزيد

* * *

ابو العباس احمد بن ابي سالم :

ابو عامر بن ابي العباس بن ابي سالم :

وقد كان يعاصرهما في مصر وما اليها الملك الظاهر برقوق فاتح دولة الشراكسة ، والذي امتدت ولايته من سنة 1382/784 الى سنة 1398/801 (14) .

وفي عهده وقعت مهاداة بينه وبين ملكي المغرب ابي العباس احمد بن ابي سالم وابنه ابي عامر وتحدث عن هذه المهادات ابن خلدون في موضعين من « العبر (15) » ، ثم فصل حديثها تفصيلا في الخاتمة المعروفة ب « التعريف بابن خلدون (16) »والتي سنقتطف منها هذه الصفحة المطولة فيما يلي:

(... ثم وصل الينا « الى مصر » عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة « شيخ الاعراب » : « المعقل » بالمغرب ، يوسف بن علي بن غانم ، كبير اولاد حسين ناجيا من سخط السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم ، من ملوك بني مرين بفاس ، يروم قضاء فرضه ، ويتوسل بذلك لرضى سلطانه ، فوجد السلطان غائبا في فتنة منطاش (17) فعرضته لصاحب المحمل ، فلما عاد من قضاء فرضه . وكان السلطان قد عاد من الشام ، فوصلته به ، وحضر بين يديه ، وشكا به ، فكتب الظاهر فيه شفاعة لسلطان وطنه بالمغرب ، وحمله مع ذلك هدية اليه من قماش ، وطيب وقسي ، واوصاه بانتقاء الخيل له من قطر المغرب ، وانصرف فقبل سلطانه فيه شفاعة الظاهر ، واعاده الى منزلته ، وانتقى الخيول الرائعة لهاداة الملك الظاهر ، واحسن في انتقاء اصناف الهدية ، فعاجلته المنية دون ذلك ، وولي ابنه ابو فارس وبقي اياما ثم هلك ، وولى اخوه ابو عامر ، فاستكمل الهدية ، وبعثها صحبة يوسف بن علي الوارد الاول .

وكان السلطان الملك الظاهر ، لما ابطا عليه وصول الخيل من المغرب ، اراد ان يبعث من امرائه من ينتقي له ما يشاء بالشراء ، فعين لذلك مملوكا من مماليكه منسوبا الى تربية الخليلي ، اسمه « قطلوبغا (18) » .

وبعث عني ، فحضرت بين يديه ، وشاورني في ذلك فوافقته وسالني كيف يكون طريقه ، فاشرت بالكتاب في ذلك الى سلطان تونس من الموحدين ، وسلطان تلمسان من بني عبد الواد ، وسلطان فاس والمغرب من بني مرين ، وحمله لكل واحد منهم هدية خفيفة من القماش ، والطيب ، والقسي ، وانصرف عام تسعة وتسعين الى المغرب ، وشيعه كل واحد من ملوكه الى ما منه ، وبالغ في اكرامه بما يتعين ، ووصل الى فاس ، فوجد الهدية قد استكملت ، ويوسف بن علي على المسير بها عن سلطانه ابي عامر من ولدا السلطان ابي العباس المخاطب اولا ، واظلهم عيد الاضحى بفاس ، وخرجوا متوجهين الى مصر وقد افاض السلطان من احسانه ، وعطائه ، على الرسول قطلوبغا ومن في جملته بما اقر عيونهم ، واطلق بالشكر السنتهم، وملأ بالثناء ضمائرهم ... وكانت هدية صاحب المغرب تشتمل على خمسة وثلاثين من عتاق الخيل بالسروج واللجم الذهبية ، والسيوف المحلاة ، وخمسة وثلاثين حملا من اقمشة الحرير والكتان والصوف والجلد ، منتقاة من احسن هذه الاصناف .

وهدية صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها الموهة ، واحمال من الاقمشة .

---

14) انظر عن دولة الظاهر برقوق العبر ج 5 ص 473 / 508 مع « الاعلام » للزركلي ج 2 ص 18 / 19 .
15) ج 7 ص 148 /363 .
16) ص 339 / 346 .
17) انظر عن هذه الفتنة « العبر » ج 5 ص 487 / 505 .
18) توجد ترجمته في « الضوء اللامع » ج 6 ص 223 .

وهدية صاحب تونس تشتمل على ثلاثين من الجياد مغشاة ببراقع الثياب من غير مراكب ، وكلها ابق في عنصه ، مستطرف في نوعه .

وجلس السلطان يوم عرضها جلوسا فخما في ايوانه وحضر الرسول وادوا ما يجب عن ملوكهم ، وعاملهم السلطان بالبر والقبول ، وانصرفوا الى منازلهم للجرايات الواسعة ، والاحوال الضخمة ، ثم حضر وقت خروج الحاج ، فاستأذنوا في الحج مع محمل السلطان ، فاذن لهم ، وارغد ازودتهم ، وقضوا حجهم ، ورجعوا الى حضرة السلطان ومعهود مبرته ، ثم انصرفوا الى مواطنهم ، وشيعهم من بر السلطان واحسانه ، ما ملأ حقائبهم ، واسنى ذخيرتهم ، وحصل لي انا من بين ذلك في الفخر ذكر جميل بما تناولت بين هؤلاء الملوك من السعي في الوصلة الباقية على الابد ، فحمدت الله على ذلك) .

هذا حديث « التعريف بابن خلدون » عن تلك المهادات، وما كان فيها من تمتين للعلاقات بين المغرب والشرق ، وهو يفيد ان روابط الاخاء بين المغرب ومصر ، بلغت الى حد التدخل الودي في علاقات ملك المغرب مع موظفيه ، حيث رأينا الظاهر برقوق يتقدم بالشفاعة في شيخ عرب المعقل لدى ابي العباس بن ابي سالم ، الذي يتقبل الشفاعة الشرقية ، ويعيد الشيخ العربي الى منزلته .

هذا وقد ساق خبر هذه المهادات ابن حجر في « انباء الغمر بانباء العمر (19) » في شيء من المخالفة لما تقدم ، فقد ذكر في حوادث سنة 800 ما يلي :
(وفيها — في رمضان — وصل قطلوبغا الخليلي من بلاد المغرب وصحبته الخيول التي كان توجه لشرائها للسلطان ، وهي مائة وعشرون رأسا وحضر صحبته رسول صاحب فاس ، ورسول صاحب تلمسان ، ورسول صاحب تونس ، والامير يوسف بن علي امير عرب تلك البلاد ، وقدموا هداياهم ، فقبلت وخلع عليهم وتوجهوا الى الحج) .

ابو سعيد عثمان الثاني :

وقد ارتبط بعلاقات مع ملك مصر وما اليها الناصر فرج ابن الظاهر برقوق الذي استمرت ولايته من سنة 801 / 1399 الى سنة 815 / 1412 (20) .

ويحتفظ « صبح الاعشى (21) » بنص الرسالتين المتبادلتين في هذا الصدد ، ومنهما — مع « الصبح » — نستفيد ان سفارة مغربية توجهت برسالة من فاس للقاهرة سنة 804 / 1402 ، لتهنئة الناصر فرج بما تسنى له من ايقاف الزحف التتري ضد الشام بقيادة « تيمورلنك » ، ومن الرسالة المغربية بالخصوص ، نستفيد اسم القائم بهذه السفارة ، مع الاشعار بما كان قر عليه العزم المريني من المساهمة في صد العدوان التتري لو استمر في زحفه ، وقد قدم « الصبح » هذه الرسالة المغربية هكذا :

« نسخة كتاب عن السلطان عثمان بن ابي العباس المريني في العشر الاوسط من شعبان سنة اربع وثمانمائة » . وهذا يفيد ان هذه الرسالة صدرت عن ابي سعيد الثاني ايام حجابة فارح بن مهدي 802 / 806 هـ (22) . وفيما يلي خلاصة الرسالة المغربية :

(. . . فانا كتبنا اليكم من حضرتنا العلية بالمدينة البيضاء . . . وكتابنا هذا يقرر لكم من ودادنا ما شاع وذاع ، ويؤكد من اخلاصنا اليكم ما تتحدث به السمار فتوعيه جميع الاسماع .

وقد كان انتهى الينا حركة عدو الله وعدو الاسلام — تقصد الرسالة تيمورلنك — وتعرفنا (23) انه كان يعلق امله الخائب بالوصول الى اطراف بلادكم المصرية ، وانتهاز الفرصة على حين غفلة من خلافتكم العلية ، والحمد لله الذي كفى — بفضله — شره ، ودفع نقمته وضره ، وانصرف ناكصا على عقبه ، خائبا من نيل اربه . وقد كنا حين سمعنا بسوء رأيه الذي غلبه الله عليه ، وما اضمر لخلق الله من الشر الذي يجده في اخراه ، طله يسعى بين يديه — عزمنا على ان نمدكم من عساكرنا المظفرة بما يضيق عنه الفضا ، ونجهز لجهتكم من اساطيلنا المنصورة ما يحمد في امداد الناصرة ويرتضى ، فالحمد لله تعالى على ان كفى المومنين القتال ، واذهب عنهم الاوجال، ويسر لهم الاعمال، وهيأ لخلافتكم السنية وللمسلمين هناء يتضمن السلامة لكم ولهم على تعاقب الاعوام والسنين .

وبحسب ما لنا فيكم من الود الذي اسست المصافاة بنيانه ، والحب الذي اوضح الاخلاص برهانه، وقع تخيرنا — فيمن يتوجه من بابنا الكريم لتفصيل مجمله ، وتقرير ما لدينا فيه على اتم

---

(19) نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 1248 — ج 1 .
(20) توجد ترجمته ومراجعها في « الاعلام » للزركلي ج 5 ص 340 / 341 .
(21) الرسالة المغربية ج 8 ص 103 / 106 والرسالة الشرقية ج 7 ص 407 / 411 .
(22) انظر عن فارح بن مهدي « الجذوة » ص 316 / 317 مع « الاستقصا » ج 2 ص 146 .
(23) في « التعريف بابن خلدون » ص 380 اورد المؤلف فصلا من رسالة كتبها الى ابي سعيد الثاني حيث عرفه بشأن تيمورلنك .

وجه الاعتقاد واكمله — على الشيخ الاجل ، الشريف .. ابي عبد الله محمد بن الشيخ الاجل .. المقدس المرحوم ابي عبد الله ابن ابي القاسم بن نفيس الحسني العراقي (24) ، وصل الله تعالى سعادته ، واحمد على حضرتكم السنية وفادته ، حسب ما يقتضي بشرح ما حملناه نقله ، ويكمل بايضاحه لديكم يقظته ونبله ..)

وبعد الرسالة المرينية تبين ان جواب الناصر فرج عنها كان من انشاء القلقشندي (25) مؤلف « صبح الاعشى » الذي اثبت فيه نص هذا الجواب ، وفيما يلي خلاصته :

(.. فانه ورد علينا كتاب كريم طاب وروده .. وفهمنا ما اظهره من كوامن المحبة التي بلغت من القلب الشغاف ، وبوارح الشوق الذي عندنا من مثله اضعاف اضعاف ، وانتهينا الى ما اشار اليه المقام العالي من التلويح الى ما طرق اطراف ممالكنا الشريفة من طارق الاعتداء وما كان من الواقعة التي كاد خبرها — لفظاعته — يكون كالمبتدا .

ونحن نبدي لعلم المقام العالي ما يوضح له ان ما وقع من هذه القصة لم يكن عن سوء تدبير ، ونورد عليه من بيان السبب ما يحقق عنده ان ذلك لم يكن لعجز ولا تقصير .. وذلك انه لما اتصل بمسامعنا الشريفة قصد العدو الى جهتنا .. بادرنا الحركة اليه في عسكر لجب .. وتحركنا من الديار المصرية في جيوش لا ياخذها حصر .. حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها .. وانضم الينا من عساكر الشام وعربانها ، وتركمانها ، الزائدة على العدد وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد .. واقبل القوم في لفيف كالجراد المنتشر ، وامواج البحر التي لا تنحصر .. وتراءى الجمعان في افسح مكان .. ولم يبق الا المبارزة ، اذ ورد وارد من جهتهم يطلب الصلح والموادعة .. فاجبناهم باجابة .. فبينما نحن على ذلك واقفون .. اذ بلغنا ان طائفة من الخونة الذين ضل سعيهم . توجهوا الى الديار المصرية للاستيلاء على تخت ملكنا الشريف في الغيبة .. فلم يسع الا الاسراع في طلبهم ، للقبض عليهم وايقاع النكال بهم ، وجازيناهم بما يجازي به الملوك من رام مرامهم (26) ، وظن العدو ان قصدنا الديار المصرية انما كان لخوف او فشل ، فاخذ في خداع اهل البلد حتى سلموه اليه وفعل فعلته التي فعل .. ثم لم نزل نداب في تحصين البلاد وترويج اعمالها .. فاستقرت بعد الاضطراب ، وتوطنت بعد الاغتراب ، وفي خلال ذلك ترددت الرسل الينا في عقد الصلح وامضائه ... فلم يسعنا التلكو عن المصالحة ، بل سعينا سعيها ... فعقدنا لهم عقد الصلح وامضيناه (27) ..والله تعالى يجنب اخاكم الكريم مواقع الغير ، ويقرن مودته الصادقة بصفاء لا يشوبه — على ممر الزمان — كدر ....) .

عبد الحق بن ابي سعيد الثانـــي :

ورد في « دائرة المعارف » الوجدية (28) انه لما فتحت القسطنطينية العظمى عام 857 / 1453 — كان سلطان المغرب من جملة من ارسل بالتهاني الى السلطان الفاتح محمد الثاني (29) .

ولا شك ان سلطان المغرب في هذا التاريخ هو عبد الحق بن ابي سعيد الثاني آخر ملوك الدولة المرينية ، وبهذا يكون عبد الحق المريني هو فاتح علاقات المغرب مع الدولة التركية العثمانيـــــة .

الرباط : محمـــد المنونـــي

---

24) لا شك ان هذا احد اعيان الشعبة العراقية الشريفة الموجود اكثر فروعها بفاس ، وهم حسينيون بالتصغير وما هنا من « الحسني » سبق قلم : انظر — مثلا — « الدرر البهية » للفضيلي ج 2 ص 236 / 239 ط فاس .

25) ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري المتوفى سنة 821 / 1418 توجد ترجمته وبعض مراجعها في الاعلام للزركلي ج 1 ص 172 .

26) توجد اشارة لهذه الثورة في « التعريف بابن خلدون » ص 367 .

27) في المصدر الاخير ص 365 / 357 / 380 حديث عن هذا الزحف التتري الى الشام .

28) ج 2 ص 567 .

29) انظر عن ترجمته وعصره « تاريخ ابن خلدون » ملحق الجزء الاول ص 132/158 ط المطبعة الرحمانية بمصر 1355/1936 .



للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 4 -

القســـم الرابـــع :

الامير محمد الناصر (595 هـ 610)

حياة الناصر تمثل دورين مختلفين تمـــام الاختـــلاف متناقضين تمام التناقض .

فهو في الدور الاول كان ملكا يحالفه السعد في حروبـــه ويواتيه الحظ في انتصاراته ، كان على نهج آبائه يجسر فــلا يخيب ويتقدم فلا ينكسر ويطمح فلا يقف دون طموحه عائق ثم انقلبت الآية في الدور الثاني فلم يواته الحظ وخاب مسعـــاه وفسدت سياسته واصبح في انكسار بعد انكسار حتى ظل اسمــه شؤما على الاسلام في بلاد المغرب والاندلس بعد انهزامه في موقعة العقاب .

اما الدور الاول دور الازدهار والظفر فهو الذي نجـــد جزءا منه مسجلا في الرسائل المنشورة .

لقد وردت عنه رسالتان احداهما تمثل موقفه مع المتمردين من بني غانية في بلاد الاندلس ، والثانية تمثل موقفه معهم في بلاد تونس التي جعلوها مركزا تمرديا يحتلونه كلما واتتهم الفرصة وساعدتهم الظروف .

وكلتا الرسالتين من تأليف ابي عبد الله بن عياش وهو اديب رائع التصوير قوي الخيال صادق العاطفة تنبعث من نفسه صور جذابة تبرز موقف الناصر مع اعدائه وترسم مواقفه الخالدة رســـا موفقـــا .

لقد جعل الرسالة الاولى تبشيرا باحتلال جزر البليار (✱) واخبارا بقتل الثائر عبد الله بن اسحاق بن غانية بعد ان وجه الى هذه الجزائر جيشين عظيمين ملآ البر والبحر واستطاعا ان يدخلا الرعب في قلوب الاعداء .

لقد ذكر في هاته الرسالة بان نصره كان ارهابا بالنصارى الاندلس لانهم كانوا كلما رأوا ملك الموحدين مضطربا هدأت نفوسهم واطمأنت وتشجعوا على التفكير في حرب تعيد لهم ملكهم وتزيح العرب عنهم .

لقد كانت هاته الرسالة بحق تصـــور موقـــف الموحدين تصويرا جميلا لا يخلو من تأثير ، لقد نجحت في تصوير غرور بني غانية الذين كانوا يتطاولون على الحكم مرات مختلفـــة وينطلقون اليه دون تفكير كأنهم لا يعلمون ان الخيبة تنتظرهم وان الخسران سيكون مآلا لهم ، انهم كانوا يظنون ان الامر ليس بجد وان الحكم لم يعد حكما نهائيا للموحدين ، تخدعهم بوارق خلب من حين لآخر ، فيعمدون الى المقاومة ويتحصنون بجزرهم الواهية ويدافعون عن مبادئهم المتعفنـــة ، ولكنهـــم لا يستطيعون مقاومة ولا دفاعا ولا ثباتا امام جيوش الموحديـــن الظافرة المؤازرة بنصر الله .

لقد سجل كاتب الرسالة ان قلوب الموحدين كانـــت في هذه الحرب على التظافر متوافقة ، ولكن شعار الميورقيين لـــم يكن الا الهون والذل والصغار .

قال في هذه الرسالـــة : (✱) « لم يكـــن بين الحلـــول بالجزيرة والظفر بجهاتها الاربـــع والاستيـــلاء على شيطانهـــا الرجيم ومعقلها الامنع الا سبع ليال سخر الله فيها على الاعـــداء سبع ليال حسوما ، ثم هجم الموحدون عليهم في عقر دارهـــم هجوما ، وكانت بين الفريقين حرب ظن فيه الاشقياء ان الزمان كما عهدوه طعن وضرب ، ولم يعلموا ان امر الله في مزيـــد ، وان سعده من جديد الى جديد ، وان ستأتي الايام بما لا يبقى معه من الباطل باق ، ولا يقوم به الضلال والمحال على ساق . ثم اجلى ذلك الموطن عن قتل الشقي واتباعه ، ومحو الباطـــل المموه واشياعه ، وحصول اسرته في قبضة الموحدين ، ومغالبـــة اهل الجزيرة مآل الضالين الملحدين ، ورفعت اعلام التوحيـــد في اعالي جدرانه ، التي لم يكن لها عهد بعز تلكم الاعمـــال ولا

✱) كان ذلك سنة 599 هـ ولكننا مع الاسف نجد الرسالـــة خالية من التاريخ وكذلك الرسالة التي بعدها .

✱) الرسالة السادسة والثلاثون ، صفحة 246 .

استظهار في قديم وحديث بالحرب المشمر في خدمة الايمان والاسلام ، واقيمت الخطبة على منبر كان اشعث اغبر ، ثم عاد بالقول الصادق والاعتقاد الحق ازهر وانضر ، وعرفت الرعايا بان الله اخرجهم من الظلمات الى النور ، واعتقهم من الجور والخوف الى يوم النفخ في الصور ... » .

واستمرت الرسالة تتحدث عن الانتصار الرائع الذي نالته جيوش الناصر في الاتجاه البحري والاتجاه البري ايضا .

وكيف لا تنتصر هذه الجيوش وقد اختار لها قائدين عظيمين شهيرين في تاريخ الموحدين .

اما قائد الاسطول فعمه ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المومن الذي كان يتصف بالحزم والجسارة وبعد النظر ، واما قائد الجيش البري فابو سعيد عثمان بن ابي حفص الهنتاني الذي كان له ولأهله فضل عظيم على الموحدين وتاريخهم ، بل انه من الاسرة التي استطاعت فيما بعد ان تؤسس دولة عظيمة في البلاد التونسية .

ولنعد الى الرسالة الثانية التي تتحدث عن موقف الناصر ازاء الاحداث التي اقيمت بتونس بسبب بني غانية الذين ظلت ثورتهم قائمة الى ان قضى عليها الناصر نهائيا .

ولما ذهب الى تونس احتل مدنا كثيرة كانت نكصت عن الطاعة وتوجهت من جديد الى الدعوة المناوئة دعوة بني غانية وحاول ان يدرس الاسباب التي تجعل التمرد قائما ببلاد تونس وان يفكر في الحلول الصالحة الناجحة التي لا تكون قائمة على الدعاية الديماغوجية ، وانما يريد حلولا ترتكز على اسس من الواقع تحمي التونسيين من ظلم الولاة والعمال ، لذلك ارتأى ان يجعل على تونس واليه وقائده القدير ابا محمد عبد الواحد ابن ابي حفص الذي استطاع ان ياخذ بزمام الامر وان يقضي على كل ثائر او متمرد .

كان اختياره لهذا الوزير اختيارا موفقا لانه كان كريم الخصال عاملا على نشر الفضائل وابعاد الظلم والحيف عن التونسيين ولم يعد بعد ولايته اثر لبني غانية او لأنصارهم .

لقد استأنس به اهل افريقية ونسوا معارضتهم للموحدين حتى اننا نجدهم في ايامه مطمئنين ، آمنين يعيشون في رخاء وازدهار ، ولما تحدث عنه المؤرخ الشماع قال : « وساس الناس سياسة حسنة طال عهدهم بها . وامنهم وحاباهم فقرأوا من بركته وبركة ايامه وحسن رعايته ما غبطهم به واحبوه الحب الشديد .

ولما اصبح الانتصار على بني غانية في البلاد التونسية امرا واقعا ارسل الناصر كتبه بذلك ، ومن بين كتبه هذه الرسالة التي ارسلها من منزل الموحدين بظاهر المهدية قبل فتحها فقال : « والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه وان تعلموا ان دعوة الامام المهدي ـ رضي الله عنه ـ منار لا يضل عليه بصر سليم وشعار لا يغبه فتح مبين وصنع كريم ونهار كلا طرفيه الى يوم القيامة وضاح وسيم بها جدد الله تعالى ريعان الحق وهو هشيم وانشر ميت الشرع وهو رميم واحياه كما انشأه اول مرة وهو بكل خلق عليم ... »

ثم قال : « (✱) وهذه افريقية قد خلصت من الوسواس ونقيت من الادناس وصفت من شوائب الارجاس وطهرت من الدعوة المنسوخة دعوة بني العباس وذلك من فضل الله علينا وعلى النـــاس ... »

ثم قال : « فانشروا هذه المسرات واشكروا الله تعالى على تواتر الانباء المنشرات واحمدوه جل جلاله على نفحات رحمته المنشرات . ونحن نقول : اللهم قد فتحت لنا ابواب نصرك واعنتنا على ما استحفظنا من امرك واريتنا في عدو الحق احكام سطوك وقهرك ، واريتنا من آلائك وعوارف نعمائك ما يوجب صلة حمدك وشكرك فتمم علينا النعمة تتميما وعرفنا في كل محاولة نصرا عزيزا وصنعا كريما ... »

ولكننا مع الاسف نجد ان هذا النصر لم يتم وهذا الامل لم يتحقق ، فان الناصر بعد هذه الانتصارات المتوالية على المتمردين والثائرين حاول ان يضيف الى ذلك نصرا جديدا على الاسبانيين ولكنه اخفق فساءت سمعته ودالت دولته وتلك الايام نداولها بين الناس .

لقد عزم على غزو الاسبانيين ولكنهم كانوا استعدوا للطوارئ، وعلمتهم موقعة الأرك كيف يجابهون اي موقف جديد

لقد الف جيشا عظيما هيأه لمحاربة نصارى الاندلس واتصل بهم في مكان يعرف بالعقاب (موضع بين جيان وقلعة رباح) ولكن الهزيمة لحقته في هذه الوقعة التي كانت سبب انهيار الدولة الموحدية بل كانت مبدأ الهزيمة التي لحقت المسلمين في بلاد الاندلس .

اذا كانت وقعة الارك قد رفعت راية الاسلام واعلنت شأن الموحدين فان وقعة العقاب هاته كانت ذات نتائج عكسية وأودت بحياة عدد كبير من الجنود المسلمين سواء من كان منهم متطوعا او كان في الجيش النظامي .

ان هاته الوقعة هي التي تمثل الدور الثاني في حياة

✱) من الرسالة السابعة والثلاثين . والرسالة هاته تتحدث عن النصر الذي حققه الناصر ضد يحيى بن غانية سنة 602 هـ .

الناصر لقد تقلص ظل دولته واضطر الى الفرار من الاندلس الى بلاد المغرب حيث قضى بعد سنة من وقوعها فتوفى سنة 610 هـ .

لقد اجتمعت عوامل متعددة على انهزامه في هذه الوقعة المشؤومة التي تعرف عند الاسبانيين بموقعة ناڤس دي تولوزا (Navas di Toloza) او موقعة ابده ، ومن هاته العوامل عدم صبر الجنود الاندلسيين على القتال ومنها استخفاف بعض الجنود الموحدين بأوامر الملك لانهم ذهبوا الى الحرب مكرهين فهم لم ياخذوا مرتباتهم الرسمية في وقتها المحدد وبذلك ضعفت هيبة الناصر في نفوسهم ومنها الاستعداد القوي الذي اظهره ملوك اسبانيا آنذاك فان اتحاد مملكة قشتاله مع مملكة ارغون ومملكة ليون ومملكة البرتغال التي يترأسها ابن الريف واستنجادهم بالالمانيين والفرنسيين كان له اثر في الانهزام .

ويقول المقري في نفح الطيب (✱) نقلا عن صاحب « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » : « وهذه الوقعة هي الطامة على الاندلس بل والمغرب جميعا وما ذاك الا لسوء التدبير ، فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنف بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على امره ، وكانت وقعة العقاب سنة 609 هـ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد »

ولما مات الناصر تولى بعده ابنه يوسف ولم يكن قادرا على ارجاع هيبة الملك للموحدين واستمر في الملك عشر سنوات كاملة لم تستفد الدولة الموحدية منها شيئا فلما توفي تعددت الثورات الداخلية وكثر التنافس بين ابناء عبد المومن ولم يوجد منهم من يفكر تفكيرا جديا في ارجاع مجد الدولة والعمل على تحقيق تصميمها القوي الذي كان يطمح المنصور في البلوغ اليه بل انقطعت الوحدة السياسية بين الاندلس والمغرب واستقل بالاقليم الاندلسي احيانا بعض الملوك الموحدين وتعاون بعضهم مع الافرنج وظل امر الدولة في انهيار متواصل ورأى الحفصيون الذين كانوا بتونس ان انهيار الحكم في الاندلس والمغرب يدفعهم الى اعلان الانفصال عن الدولة الموحدية واعلان الاستقلال بالقطر التونسي واصبحت الدولة الحفصية آنذاك موئل المستنجدين وامل الخائفين .

ولما رأى الاندلسيون ان بلادهم تتخطفها الدولة المسيحية اضطروا الى الاستغاثة بالملك ابي زكريا ، يحيا بن عبد الواحد ابن ابي حفص .

ومن القصائد الرائعة التي ارسلت اليه قصيدة ذكرها المقري في نفحه ولم يذكر اسم قائلها ، منها ما ياتي :

نادتك اندلس فلب نداءها
واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها
من عاطفاتك ما يقي حوباءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها اذا
لم يضمن الفتح القريب بقاءها

ومن الرسل الذين وفدوا على هذا الملك بعد احتلال بلنسية العالم القدير والمؤرخ الشهير ابن الابار القضاعي صاحب التآليف القيمة ارسله زيان بن مرديتش صاحب شاطبة يحمل بيعته ومعه قصيدة ما زالت الى الآن تنطق بتلك الآلام التي اصابت المسلمين بعد احتلال بلدان الاندلس وفي هذه القصيدة يقول .

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا
ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها
فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزرا
للحادثات وامسى جدها تعسا

وهكذا نجد في هاته الحقبة عواطف الحرمان تبدو في قصائد الشعراء ورسائل الكتاب حتى ان المطلع على الادب الاندلسي سيرى كيف انقلب التيار الادبي من الغزل والعبث الى التصوير البارع لحاضر الاندلس والبكاء على ماضيها .

هذه نظرات حول الاندلس حينما اصبحت تتساقط في ايدي الاسبانيين مدينة مدينة وحصنا حصنا كأنها قد اصيبت بعدوى لا تجد لها دواء وتلك نتيجة من نتائج الانهزام الذي لحق الناصر في وقعة العقاب .

وبهذه النظرات ننهي الحديث عن الرسائل الموحدية تلك الرسائل التي دفعتنا الى بعث الحديث عن هاته الدولة الرائعة والتي ذكرتنا بامبراطورية عظيمة لو وجدت السبيل للانطلاق لأفادت العالم كثيرا ولكنها رغم عدم استمرار حكمها فقد ظلت خالدة لا ينساها التاريخ السياسي ولا تاريخ العلوم .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

✱) نفح الطيب للمقري ، الجزء السادس صفحة 117 .



يعتبر ابن طفيل شخصية فذة تفتق عنها الكون في وقت كانت البشرية في اشد الحاجة اليها لانها اتت بجديد معقول ومقبول وكل من ياتي بشيء من هذا القبيل وعلى هاته الصفة لا يمكن الا ان يكون مثار التقدير ومحلا للاعجاب والاكبار .

نشأ ابن طفيل في بيئة اشتد الخلاف فيها بين انصار الجمود المضني ومؤيدي الحرية الفكرية التي من اجلها بعث نبي الاسلام وطبقت تعاليمه الآفاق في المشرق والمغرب . كان الناس في اشد الحاجة الى رأي سديد يوفق بين النظريات المتضاربة في قضية كان الاولى ان لا تكون محلا لاي نزاع او جدال مذهبي لان المفكر يجب ان ينظر اليها من جميع جوانبها ولا يقتصر على جانب دون آخر معتمدا في ذلك على ما تقدمه في العلم والمعرفة والابحاث التي كرس عليها العلماء جهودهم وافنوا فيها نفائس اعمارهم .

وهذه القضية لا تعدو ان تكون شرحا لواقع تعيشه الانسانية بعد ان سبق لها ان عاشت في وقت قريب او بعيد لان الديانة بمعناها الحقيقي الشامل شيء مغروز في النفوس انطبعت عليه يوم خرجت الى عالم الوجود او بالاحرى يوم ارادها الله ان تكون نفوسا بشرية « فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرت الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ،» « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، صدق الله العظيم . » وكل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه» كما جاء في حديث النبي الكريم .

في هذا المجتمع من الشكوك والاختلاف في التوفيق بين المعتقدات الدينية والموافقة بينها وبين نظريات العلم نشأ ابن طفيل الفيلسوف المغربي فتتبع نظريات العلماء واحدة واحدة وافاض عليها من تفكيره وفهمه وقابل بين اجزائها الواحد تلو الآخر وخرج الى الوجود بشيء جديد اسمه التوفيق بين الدين والفلسفة وقد كان العلماء قبله يهابون الدخول في هذا البحث ويخشون ان يسمع عنهم انهم تناولوها بشيء من التعليق لان سلطة الفقهاء وعلماء الحديث كانت على اشدها ولم يكن يرى هؤلاء فائدة في البحث عن مخلفات امم حكموا عليها بالخروج عن دائرة الدين الذي هو شيء طبيعي للبشر لانه نظام واحوال البشر لا تنتظم بدون نظام . هكذا كان يرى هؤلاء العلماء المحترمون وان كنا نوافقهم في نظريتهم من حيث المبدأ والغاية فاننا نناقشهم في الوسائط والوسائل .

لان الاسلام دين العقل . وانما ولدت الشريعة الاسلامية مع حقيقة العقل السليم الصالح للحكم على الاشياء كيفما كانت اجناسها وانواعها . والفلسفة في حد ذاتها انما هي نتاج العقول وثمرات الابحاث الفكرية وسواء الخدمات التي يقوم بها غيرهم لصالح البشر في جميع انحاء المعمور وبهذه الفكرة دخل كل العلماء الذين شاركوا في الابحاث على الصعيد الفلسفي وكنا نرى ابن سينا والفارابي والغزالي يدخلون هذا الميدان الفسيح غير مبالين بكل الصدمات التي يتلقونها من هذه الناحية ومن تلك لانهم يعرفون ما يقصدون ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد » .

والحقيقة ان علماء الاسلام المقتدرين لم يكونوا يعتبرون البحث في كتب الفلاسفة من اليونان والهنود والرومان شيئا عسير المنال او لا يمكن الاقدام عليه من الوجهة الدينية .

وعلى هذا المبدأ بدأ ابن طفيل محاولته في التوفيق بين الدين والفلسفة مريدا بذلك حل مشكلة طال النقاش فيها وادت الى معارك فكرية وقد كانت تتعدى في بعض الاحيان الاطار الفكري الى امتشاق السيوف وطعن النفوس البريئة في الصميم .

ولم يهمل ابن طفيل الآراء التي تقدمته في هذا السبيل كما انه لم يغفل مناهجها في البحث والاستقراء ولكنه وضع لنفسه طريقة جديدة ظهرت صلاحيتها وفائدتها المحسوسة ، وآتت

الاسلوب القصصي لا على الطريقة التي كان يراها ابن سينا وانما على نموذج آخر يستمد عناصره من الواقع المشاهد .

وبذلك عد ابن طفيل اول من وضع الاسس الاولى للفلسفة الواقعية قبل فاليري وقبل جان جاك روسو الذي يعتبر الرائد الاول للمذهب الطبيعي عند علماء الغرب .

ونريد هنا ان نجري مع ابن طفيل في اصول فلسفته الواقعية التي يدعى اعلام الفلسفة الحديثة في اوربا انهم اول من نهجها وخطا فيها بخطوة ولا يهمنا قول هؤلاء بقدر ما يهمنا تمحيص الحق واظهار الواقع الفلسفي على حقيقته .

لقد بدأ هذا العبقري كما قلنا فلسفته بابداء آرائه في حل مشكلة الساعة في وقته وهي : هل بين الشريعة والعقل خلاف ؟ وكثيرا ما اثيرت هاته المسألة عند اهل الديانات الاخرى فوجدت من اعلام الفكر ورواد الفلسفة من يدلي بآراء كانت صائبة في بعض النواحي وليس من شأننا ان ندخل في تفاصيل نظريات هؤلاء لان موضوعنا ينحصر في نواحي الفلسفة العالمية وهي الفلسفة الاسلامية التي انطلقت اول ما انطلقت من القرآن الكريم وحديث النبي العظيم والآراء التي كان يراها اعلام المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى عصر الجمود وتحجر الفكر ، جرى ابن طفيل على اسلوب ابن سينا القصصي في بيان نظرياته وكتب قصته (حي بن يقظان) ولكنه كان اكثر منه وضوحا واظهارا للحقيقة والواقع ، لان ابن سينا استمد صور قصصه من العقل الذي قارن بينه وبين الواقع على النحو الذي اقتبسه ديكارت او اخذ بعض الجزئيات منه على الاقل . اما ابن طفيل فقد ابتدأ نظرياته الفلسفية من الواقع نفسه ومن استعراض صور الطبيعة الصامتة التي اوحت اليه بمكنوناتها التي جعل منها المرآة الاولى لفلسفته . ولعل هذه النظرية هي التي انجبت جان جاك روسو او تسربت اليه من خلال مطالعاته فقام بمذهبه الطبيعي الذي احدث رجة كبرى في اوربا واخمد انفاس الكنيسة التي كانت تعتمد على خرافات لا يؤيدها حتى صبيان اليوم .

ولنتعرض الآن الى الاصول التي بنى ابن طفيل عليها رسالته (حي بن يقظان) هاته الرسالة الخيالية الشيقة في اسلوبها وصورتها التي تحمل بين طياتها فلسفة عميقة في موضوعها ومراميها على نحو رسائل افلاطون والافلاطونية الحديثة التي كانت على شكل قصص خيالية تتضمن اساطير قديمة .

وبما ان المجال لا يسمح بايراد جميع فصول هاته الرسالة التي اضطربت اقوال المؤرخين في بيان الغرض منها حيث رأى بعضهم ان ابن طفيل وضعها محاولة منه لعرض كيفية بدء الخلق او بيان اصل النوع الانساني ورأى آخرون ان مراده بكتابتها يتلخص في رأيه في كيفية المعرفة وهو ظاهر — كما ذكر الدكتور محمد غلاب — في ان الانسان يستطيع ان يصل الى ادراك الحقائق ولو كان قد نشأ في عزلة ولم يتلق اية ثقافة خارجية ولم يحتمل اقل اثر من غيره الا اثر العقل الفعال الذي ينير عقله ، وكذلك يستطيع ان يدرك هذه الحقائق ويتذوقها اذا لقنه غيره اياها ، ولكن على شرط ان يكون هذا الانسان من الخاصة الذين منحتهم السماء موهبة فلسفية كحي بن يقظان بطل رواية فيلسوفنا الذي ادركها وحده ، وكصديقه اسال الذي ادركها اولا بوساطة الدين ثم بوساطة حي وذلك لان العامة ليس لديهم الاستعداد لادراك هذه الحقائق ، ولان المجهود الذي يبذل في تهذيبهم يذهب عبثا كما ذهب مجهود حي وصاحبه في تهذيب اهل الجزيرة الاخرى .

اذن الآن نستطيع ان نتبين اصول الفلسفة الواقعية عند ابن طفيل مع الاعتراف له بالاسبقية فيها قبل غيره من فلاسفة الشرق والغرب وان ادعى هؤلاء الاخيرون انهم اول من صنعها فان الحقيقة التاريخية ترجع عليهم وتسفه ما ادعوه . وقد كانت الكنيسة وانصار الحروب الصليبية من المسيحيين يبذلون اقصى جهودهم لطمس معالم الفلسفة الاسلامية واخفاء كل تقدم لعلمائها المشرق او في المغرب . وقد كان بعضهم يتجاوز هاته الحدود الى تحريف اسمائهم وتكييفها على شكل اقرب ما يكون الى الاسماء العجمية كما حرفوا اسم ابن طفيل الى ابيبصر وابن رشد الى افيرويس وابن سينا الى افيسين ولكن الحقيقة لم تختف رغم هاته التمويهات ورغم التضليلات الكثيرة .

الرباط : محمد بن ادريس العلمي

هل من سبيل

الى تقنين العلاقة بين الاستثمارات الاقتصادية والاجتماعية

للاستاذ : المهدي البرجالي

الاستثمارات الاقتصادية الصرف ، وتفاعلاتها المختلفة ـ الاستثمارات الاجتماعية وموازاتها بالاستثمارت الاقتصادية ـ عملية التعلم كنموذج في موضوع الاستثمارات الاجتماعية ـ التقييم الاقتصادي لهذه العملية : جانب الاستهلاك وجانب الانتاج في محيطها ـ امكانية تعميم مثل هذا النوع من التقييم على ميدان الخدمات الاجتماعية المختلفة .

تعتبر الاستثمارات المالية ، او التوظيفات المالية Investissement من بين ادوات النشاط الاقتصادي ، ووسائله الاكثر حيوية وجدوى ، فهذه الاستثمارات هي واسطة مهمة من وسائط التنمية والتوسع الاقتصادي على مختلف ابعاده ومراميه ، بل يمكن اعتبارها ـ بالاضافة الى رأس المال البشري كاحدى المحركات الضرورية في الجهاز الاقتصادي بما له من شعب وتفرعات ، ذلك ان عملية التنمية والتوسع في الحياة الاقتصادية يمكن اعتبارها ـ على صورة من الصور ـ كعملية توليد الطاقة سواء بسواء ، فالفعاليات الاقتصادية التي هي في الواقع طاقات قوية منتجة،لها استعداد للتوليد والنمو ، ومن ذلك يتضخم البناء الاقتصادي ، ويتوسع حجمه ، والاستثمارات تقوم بدور مهم في عملية التوالد هذه ، بينما جانب الاستهلاك يسهم ـ من جهة اخرى ـ في استيعاب نتائج التوالد هذه ، ولكن الاستهلاك يقصر عن اتمام هذه الاستيعاب اذا كان التوالد قويا مدرارا فيبقى دائما ثمت فائض يبحث له عن مناطق استهلاك جديدة سواء في السوق الداخلي ، او الخارجي ، وذلك مظهر واحد من مظاهر التوسع الكثيرة ، التي يمكن ان يحققها اقتصاد ما ، اما مظاهر التوسع الاخرى فتتجلى في خلق ينابيع جديدة للانتاج ، وتنويع عناصره ، وتجويده وايجاد السبل الضرورية لتصريفه ، ومما يعين على ذلك ، مضاعفة تعمير المناطق المهجورة وتحضير الجماعات الاقل تمدنا ، وذلك على اساس اشراكها في ميكانيكية الانتاج هذه ، سواء من ناحية ايجابية باي مساهمة هذه الجماعات في عملية الانتاج نفسه ، او من ناحية سلبية ، اي بانفتاح القدرة لديها على الاستهلاك ، ووجودها كعامل جديد من بين العوامل الكثيرة في هذا الميدان ، ويختلف الاقتصاديون كثيرا حول حقيقة الاصول والقوى الفعالة الاصيلة في ميدان الاقتصاد ، اي القيم المادية الرئيسية التي تعتبر كاصل جوهري في وجود العمل الاقتصادي ، وفي اكسابه القيمة التي له بالفعل فهناك من بين الاقتصاديين الطبيعيين كـ« كيزني »و« توركو » من يعتبر الفلاحة هي الجديرة ـ اكثر من غيرها ـ بمثل هذا الاعتبار،اي بصفتها الينبوع الاساسي لكل الامكانيات الاقتصادية الاخرى التي تشكل بنية اقتصاد ما وتمنحه قدرته وفاعليته ، فالعمل الفلاحي ـ كما يرى كيزني وغيره هو الذي يخلق قيما جديدة ، يمكن استغلالها ، واستيلاد المنافع والطاقات منها على نحو مضمون واصيل ، اما غير ذلك من صناعة وتجارة وغيرها فهو مجرد تابع للزراعة ومشتق عنها ، وبالتالي فهو لا يؤدي الى خلق قيم اقتصادية يمكن اعتبارها جديدة واصيلة ، او في حكم الجديدة والاصيلة ، بينما يذهب التجاريون كـ« فوربوني » و « كلوك » و « توماس مون » و « سيزا » وغيرهم ـ يذهبون على مناحي مختلفة ـ الى ان المال ـ في حد ذاته ـ هو عماد الحياة الاقتصادية ، والعامل الاكبر في النشاطات الاقتصادية عموما ، وينزع اخرون الى ان الجهد البشري في شتى الميادين

لا في ميدان الزراعة فحسب هو قاعـدة كل قيمـة اقتصاديـة ، والمؤسس لها اما الخيرات المادية المختلفة ، فهي مجرد ثمرات ناتجة عن العمل ، ومستمدة منه ، اذ بدون الجهد البشري المبذول سواء اكان هذا الجهد عبارة عن عملية استخراج كما هو الشأن في الزراعة والتعدين ، او عملية تحويل وتكييف ، كما هـو الحال في الصناعة ، او عملية تبادل وترويج ، مثل ما هو عليه الامر في التجارة – بدون الجهد البشري المبذول على هذا النحو او غيره فان من غير الممكن الحصول على مختلـف الخيرات المادية وامكانيات الربح ، ومجالات الاستهلاك الذي تتيحه ، على انه بصرف النظر عن قيمة الحجج التي يدلـي بها هـؤلاء او اولئك سواء من ينحـو منحى الطبيعييـن او يذهب مذهب الاقتصاديين او يرى رأي الاشتراكيين ، فان الحقيقة الواقعية التي يعيشها الاقتصاد الحديث في شتى انحاء العالم ، تؤكد دور رأس المال في مضمار التوسع الاقتصادي ، كيفما كان شأنه وتدل – بالتالي – على الاستثمارات الماليـة – ولو لـم تكن مؤسسة للقيمة الاقتصادية في جوهرها فانها تعتبر – مع ذلك – الحركة الاساسية لميكانيكية العمل الاقتصادي في مختلف الميادين، وهذه حقيقة لا يستطيع ان يماري فيها الاقتصاديون من مختلف النزعات – على الاقل من ناحيـة مبدئيـة ، وذلك لانهـا من الوضوح بدرجة كافية .

* * *

اذا ما فكر المرء في موضوع الاستثمارات والتوظيفات من خلال الفكرة الاقتصادية فان ذهنه ينصرف عادة الى رؤوس الاموال المستغلة في ميادين الصناعة والنشاط الاقتصادي بوجـه عام ، لكن هل رؤوس الاموال هي كل ما يمكن استغلالـه في ميادين الاستثمار ؟ الواقع ان ميادين الاستثمار وان كان رأس المال له كبير اعتبار في تقدير اهميتها – فان مدلولها هو اوسع بكثير مما يتصور سطحيا بحيث انهـا لا تنحصـر في ميادين الصناعة والزراعة والانتاج المادي فقط ، وانما يمكن تعميـم مدلولها كذلك – وبحسب النظريات التي سنشير اليها – بحيث تشمل كثيرا من الميادين الانسانية التي لا تدر انتاجا ماديـا مباشرا والمراد بذلك الميادين الاجتماعية والفكرية وغيرها ، مما يتعلق بتطوير الفرد الانساني وتربيته التربية الاعداديـة للحياة ، ورفع مستوى ملكاته وممكناته ، ثم ما يتعلق كذلـك (الناحية الاجتماعية) بتحسين احوال العناصر العاملة في حظيرة المجتمع ، ولا يقصد بذلك مجرد العناصر العاملـة في القطـاع الصناعي والزراعي وما يقاربهمـا بل المعنـي بذلك مجمـوع العناصر العاملة في مختلف القطاعات بصرف النظر عن صلة ذلك بالصناعة والزراعة او اتصاله بغيرهما لكن ما هو الرابـط بين عمليات التطوير التربوي والتحسين الاجتماعي هذه،وبين موضوع الاستثمارات المالية وما تقوم به من دور اساسي في ميكانيكية العمل الاقتصادي والانتاجية الصناعيـة ؟ ان الاستثمارات ذات الصبغة الاقتصادية والمتركزة خاصة في الميدان الصناعي بمفهومه العام (تركيب – تحويل – تشكيل – استخراج الخ) والميدان الزراعي بمعناه الشامل (الاستنباتـات – تربية الحيونـات – استحصال المواد الحيوانية الخ) هذه الاستثمارات توجه توجيها معينا يستهدف منه تحريك النشاط الاقتصادي واستدرار الفائض من وراء ذلك ، فهل الامر على هذا النحو ايضا ، بالنسبة لمـا يمكن ان يدعى ب « الاستثمارات الاجتماعية » اي ما يرصد من اموال على التعليم والتكوين : تعليم الافراد وتكوينهم عقليـا ومهنيا والعمل – في نطاق ذلك – على الرفع من مستوى المجتمع عن طريق الرفع من مستوى الكفاءة الفكريـة وتنميـة الملكات المنتجة عند افراده ، تلك اسئلة اخذت باهتمام بعض الاجتماعيين وعلماء الاقتصاد منذ عهد غير يسير ، فقد انصبت عناية مثـل هؤلاء الباحثين على موضوع النفقات التي تصرف على الشؤون التعليمية والتكوينية وعما اذا كان من الجائز ان تعتبر هـذه الاموال المنفقة ضائعة من وجهة النظر الاقتصاديـة اي انهـا لا تؤدي الى تحصيل اي فائدة اقتصادية ، على الرغم مما هو واضح من اهمية تأثيرها السيكولوجي – التربوي ام ان العكس هو الصحيح اي ان ما يصرف في سبيل التربية والتعليم يمكن اعتباره ذ قيمة اقتصادية بحيث يجوز ان ينظر اليه بصفه رأسمال حقيقي يستثمر كما تستثمر الاموال في الصناعة وغيرها ، وينتظر منه ان يعطي فائضا كمثل ما هو عليه الامر في العمليات الاقتصادية المختلفة ؟ اننا اذا ما اخذنا بهذه النظريـة الاخيرة واعتبرنـا – على اساس ذلك – ان ما يركز من اموال في مضمار التعليم والتكوين ، هو من قبيل الاموال المستثمرة والمستهـدف من ورائها استحصال الفائض على وجه او غيره فعلـى اي قاعـدة يمكننا ان نعتبر عملية التعليم كحقل من حقول الاستثمار ، وما هي انواع الربح التي يمكن انتظارها من وراء ذلك ؟ يؤكد الخبراء بهذا الصدد : انه من الممكن ، بـل من الضـروري ان نزن العملية التعليمية بميزان الاقتصاد ، لانها – كما يذكـر « اندرياج » حول هذا الموضوع ، قد اصبحت تكتسب بعـدا اقتصاديا بسبب ما تستهلكه من اموال ، وما تتطلبه من مـوارد واطارات وما يصحبها من اعتبارات وحاجيات ملحة تسير سيرا طرديا مع ازدياد السكان وطموحهم الى مستوى حياة افضل ، تماما مثل ما هو عليه الامر بالنسبة الى العملية الاقتصادية ومـا تستوعبه من موارد ، وما يحيط بها من اعتبارات وتتطلبـه من حاجيات ، ولهذا فان المعتنين بهذا الموضوع ك«شولتز» مثلا ، لا يترددون في تقييم العملية التعليمية على هذا النحو ، واخضاعها لاعتبارات الانتاج والاستهلاك سواء بسواء ، ان هناك حاجات عقلية يجب ارضاؤها عند الفرد فاذا نال قسطا من المعرفـة ، فاننا يعتبر حينئذ ، قد قام بعملية استهـلاك ، لان الاستهـلاك – في معناه العام – ليس الا عملية يستهدف منها ارضاء حاجيات،

واشباع متطلبات يحس بها الفرد او الجماعة ، ولا يجدون مناصا من تحقيق هذا الاشباع والارضاء حتى لا يبقوا في حالة حرمان ، قد يضيق من قدرتهم على ممارسة كامل شؤون الحياة، ومجالاتها المختلفة ، والحاجة العقلية التي تتطلب الاشباع هي حالة الشعور بالغموض الناتج عن الجهل ، والاحتياج الى ازاحة هذا الجهل عن طريق التزود بجملة من المعارف والمعلومات التي تنير سبيل الحياة وتجعل تصويرها اكثر وضوحا ، وممارستها اسهل منالا ، فهنا اذن حالة استهلاك ، اي الاستعانة بالمعلومات لاشباع الرغبة في المعرفة ، كما ان هناك في الميدان الاقتصادي ايضا حالة استهلاك للمواد الغذائية مثلا اي استخدامها كوسيلة لاشباع الحاجة الى الامتلاء ، واستدفاع الشعور بالجوع ، الا ان هذا النوع الاخير من الاستهلاك ، اي استهلاك المواد الغذائية ، يؤدي ــ من حيث النظر السطحي ــ الى تحقيق اشباع موقت لان الشعور بالجوع سرعان ما يعود بعد ذلك ويتطلب الامر عملية استهلاك اخرى ، تفقد فاعليتها بالتالي ، وهكذا دواليك ، واذا كنا قد اوردنا عبارة « من حيث النظر السطحي » فذلك لان فاعلية الاستهلاك الغذائي لا تنقضي حقيقة بمجرد الشعور بالجوع مرة اخرى ، كل ما في الامر ان هذه الفاعلية ، تتحول الى صور اخرى اقل محسوسية بحيث انها (اي الفاعلية الغذائية) تبقى متمثلة فيما تساهم به من تجديد الخلايا، وتزويد الجسم بالطاقة ، وهذه الفاعليات لا ينتهي امرها ، بالصورة السريعة التي تظهر من خلال الفترة القصيرة بين الشبع والجوع ولكن على الرغم مما يبدو من اعتبار هذه الحقائق وتعمق مدلولها فان الاستهلاك الغذائي ــ مع ذلك ــ لا يمكن ان يخلق حالة ارضاء دائمة ، لان عمليات التجديد للخلايا والتزود بالطاقة ــ لا تتوقف فقط على ما يستهلك خلال عدد من المرات المحدودة ، وانما تتوقف بالفعل على حالة تجديد الاستهلاك وبصورة غير محدودة تماما ، والامر بالنسبة للاستهلاك العلمي يختلف عن ذلك بعض الشيء فالفعاليات الناتجة عن هذا النوع من الاستهلاك والمتمثلة في المعلومات المحصلة والمهارات المكتسبة والملكات التي تتم تنميتها عند الفرد في مختلف الميادين ، هذه الفاعليات لا ينتهي امرها بحيث تفقد تأثيرها الايجابي بسرعة ، بل انها تبقى ذات قابلية للاعطاء الثري ، بشكل يمكن اعتباره دائما او على الاقل غير سريع الزوال ، فالمعلومات المكتسبة او المستهلكة ــ تصير ــ بعد ان يستوعبها الفرد ويتمثلها ــ عبارة عن قوة حية قائمة في الذهن ، ومنعكسة على مختلف الاعضاء المنتجة كاليد مثلا ولا يزال هذا التأثير والانعكاس موجودا بالفعل ، بل قد يزداد تركزا ونموا مع مرور الايام محدثا هكذا حالة من الفرق الشاسع بين المتعلم وغير المتعلم بين المتدرب وغير المتدرب اي بين الذي امكنه ان يقوم بعملية استهلاك ما في الميدان العقلي والتجريبي ، وبين من لم يمارس هذا الاستهلاك ، ولم ينفعل بنتائجه على صورة من الصور ، ومن ثم يجوز القول ــ كما يذكره (ا ــ ياج) بان عملية التعليم يمكن ان تعتبر في آن واحد عملية استهلاك وانتاج، فالمعلومات المستهلكة باعتبار انها تبقى حية فعالة في الذهن وذات تأثير ايجابي على الانسان من حيث تنمية القدرة لديه على الانتاج الفكري والمادي ــ اذن فيمكن ان ينظر اليها ــ بهذا الاعتبار ــ على انها ــ تشكل قيما حقيقية وقابلة للاستثمار، اي ان هذه المعلومات تكون نوعا من رأس المال ، يصبح متهيئا للفرد ، ويمكنه ان يستثمره كما يشاء ، وذلك باستغلاله هذه المعلومات في تحسين قدرته على العمل ، وتوسيع طاقته على الانتاج ، وتقديم خدمات اكثر اتقانا ، واغزر فائدة ، وبالتالي اعظم قيمة من الوجهة الاقتصادية الصرف ، وعلى اساس نظر من هذا القبيل ، فان هناك امكانية لتقدير النتائج التي تسفر عنها عملية التعليم ــ تقديرها من وجهة النظر الاقتصادية ، مثلما اعتاد عامة الناس ان يقدروها من وجهة النظر الفكرية والاجتماعية ، والتسليم بمبدا التقدير على هذا النحو (تقدير التعليم على اساس اقتصادي ومالي صرف) يقود المرء الى التماس مصطلحات اقتصادية يعبر عنها عن نواحي العلاقة بين عملية التعليم ، والاقتصاد كما يفرض عليه ذلك ، ان يستخرج مجموعة النتائج الاجمالية التي يمكن ان تصدر عن هذه العلاقة المحتملة بين القيم التعليمية من جهة والقيم الاقتصادية من جهة اخرى ، فاذا نظرنا الامر من هذا الباب وحاولنا الخروج من الحقائق القائمة في هذا الطرف او الآخر باستنتاج او تقييم ما ، فان علينا ــ قبل ذلك ــ وكما يفترضه المعنيون بمثل هذه القضايا ــ علينا ان نمعن النظر جيدا في الفرق الموجود بين استعدادات المرء المهنية وهو متعلم ولو تعليما عاما لا اختصاص فيه وبين استعداداته المهنية كذلك وهو غير حاصل من التعليم على قسط له قيمة تذكر ، انه اذا كان يلم مثلا بالرياضيات فان قدرته على ادارة الآلات والاجهزة المعقدة تكون اوسع واجدى ، واذا كان يعرف شيئا في المحاسبات الدقيقة فان حساباته في المصنع او في المتجر تكون اسرع واحكم ، واذا كان مطلعا على جملة معارف اقتصادية ، او زراعية او تجارية او غيرها ، فان افق تفكيره في مجال هذه الاعمال يكون ابعد مدى وارحب نطاقا ، وعليه ، فان مشاريعه للمستقبل ، وتخطيطاته من اجل الحصول على افضل النتائج ــ هذه المشاريع والتخطيطات تكون اضخم محتوى وادق هدفا هذا اذا كان متعلما تعليما عاما ، اما مع الاختصاص فان نتائج ذلك ، لا بد ان تكون اجل شأنا ، واقوم سبيلا ، وقد يحتج بان هناك ناجحين من رجال الاعمال يعتبرون اميين واشباه اميين ، ولكن الامر لا يتعلق هنا بالنماذج الاستثنائية وانما النظر هنا في المسائل العادية والطبيعية ، واذا ما لاحظنا هذا الفرق في امكانيات العمل بين المتعلم وغير المتعلم وسلمنا بوجوده فانه سيكون في امكاننا اذن ، ان ندرك معنى الرأي الذي يذهب الى ان المعلومات والمهارات التي يحصل عليها المرء بواسطة التعلم تشكل في الحقيقة رأسمال عقلي ، ان

لم يماثل الرأسمال المادي في الماهية فانه يوازيه فيما يؤديه من وظيفة اقتصادية اي فيما يكمن فيه من قوة استثمارية ، وما يؤدي اليه من الحصول على الفائض بشكل او بآخر ، وعلى هذا فان ما ينفق على العملية التعليمية لا يمكن ان يعتبر كمجرد مصروف سلبي من الناحية الاقتصادية ــ وان كان يساعد الفرد والمجتمع على الارتفاع بمستوى الفكر والخلق ــ بل ان هذا المصروف يجب ان يعتبر ايضا ذا قيمة اقتصادية ما دام يفضي الى تكوين رأس المال العقلي ، الذي يمكن استثماره هو الآخر ، اي استخدامه كوسيلة تحريك للنشاط الاقتصادي ، واستحصال الفائض على اي وجه كان : في شكل عمل اجود واضخم ، او في اختصار الجهد والوقت والمال ، الذي ينفق في انجاز هذا العمل ، وتركيز فائدته او في غير هذا وذاك ، ولم يقتصر « شولتز » وغيره ممن عرضوا الى هذا الموضوع ، من جانب او آخر ، لم يقتصروا على مجرد ملاحظة الفارق الاقتصادي القائم بين حالة التعلم ، واللاتعلم ، وانما ذهبوا ــ ابعد من ذلك ــ الى درجة ان حاولوا وضع مقاييس حسابية دقيقة ارادوا من خلالها ان يجعلوا عملية التعلم كأية علمية اقتصادية عادية تخضع لمنطق الارقام ، وتصاغ عناصرها في شكل مسائل اقتصادية خالصة ، والواقع ان مبدا اخضاع التنظيمات الحياتية المختلفة للمنطق الاقتصادي وصياغتها ضمن الارقام والمعادلات الدقيقة ــ الواقع ان امرا من هذا النوع قد اصبح مالوفا في نطاق الحضارة التقنية المعاصرة غير ان تعميم هذا المبدا بحيث يشمل عمليات بالغة التعقيد ، كعملية التعلم هو على درجة ما من الصعوبة التي لا تنكر ، ولذلك فلا يبدو ان هناك مطلقا ما يدعو الى الاستغراب عند القول بان اخضاع العملية التعليمية للمقياس الاقتصادي ومحاولة قياس نتائجها ضمن معادلات رياضية مدققة، مثل ما هو عليه الامر بالنسبة للعمليات الاقتصادية بالضبط ــ ان اتجاها من هذا النوع هو حديث العهد جدا ، ويعود الى ما قبل الحرب العالمية الاخيرة فقط لكن كيف يتم ــ عمليا ــ هذا النوع من التقييم الاقتصادي للعملية التعليمية ، وما هي النتائج التي يمكن ان تؤدي اليها وجهة تقييم من هذا القبيل ؟ ثم ــ اذا عممنا مثل هذه الطرق في التقييم فما هي الآفاق التي يمكن افتتاحها من وراء ذلك ؟ ان الطريقة التي تتبع بهذا الشأن ، هي طريقة حسابية صرف ، وبموجبها يمكن ان تتخذ السنة الدراسية كوحدة حسابية ، وهذه الوحدة الحسابية تدخل في نظام عد محكم ، مع المصاريف التي تنفق على التعليم بالنسبة للفرد ، والنتائج الحسابية المستخلصة يقارنونها بقيمة الفائض الذي ينتج عن عملية التعلم وهذا الفائض يتمثل في الفارق الذي كان موجودا بين حالة الفرد قبل دخوله للمدرسة وحالته بعد تخرجه منها وقد اصبح متعلما ، ان الفائض اذن يتمثل فيما تحدثه المعلومات والمهارات المكتسبة عن طريق التعلم من قدرة يكتسبها الفرد فيكون من نتيجتها حصول احدى الحالات الآتية ، او وجود هذه الحالات جميعا :

1) ازدياد القدرة على العمل وبالتالي اتساع القدرة على الانتاج .

2) ازدياد القدرة على تحسين الانتاج ، اي الاتيان بصورة انتاجية احسن نوعا ، وهذا يتعلق بالكيف ، بينما النقطة الاولى ، تتعلق بالكم .

3) القدرة على اختصار الوقت ، لان التعلم يكسب المهارة وهذه تمكن المنتج من الاتيان بالعمل في وقت اقل مما يستغرقه غير المتعلم في عمله ، بيد انه يلاحظ بالنسبة لهذه النقطة الاخيرة ، ان اختصار الوقت يمكن ان يعد هو ايضا من قبيل الزيادة في الانتاج ، لانه كلما انجزت عملا في وقت اقل مما كان يكلفه من قبل ، فكأنك ــ في الواقع ــ قد زدت في حجم الانتاج ، وذلك على اعتبار المقارنة بين الوحدة الزمنية والوحدة الانتاجية في كلتا الحالتين ، فالمنتج اذا كان ينتج عددا من الاشياء في مقدار ساعة مثلا ، ثم اكتسب مهارة جعلته اسرع مما كان انتاجا فصار ينتج نفس العدد ، في ساعة الا ربعا مثلا ، فهو في هذه الحالة قد اختصر الوقت اذا رعينا عامل الزمن هنا، اي الفارق بين ساعة وساعة الا ربعا ، ويمكننا ان نعتبره قد زاد في الانتاج اذا حسبنا القدر الذي كان ينتجه في كل دقيقة ، سواء في الحالة الاولى ، او في الحالة الثانية ، انه اصبح في الحالة الثانية حالة الساعة الا ربعا ، ينتج خلال الدقيقة ، اكثر مما كان ينتجه في الحالة الاولى حالة الساعة كاملة .

وعلى اساس توسيع دائرة المقايسات من هذا النوع فقد اصبح الخبراء ــ كما تقدم ــ يحاولون ان يحسبوا قيمة الناتج الآتي من التعلم ، وذلك على اساس قياس قيمة الشخص بحسب مستواه التعليمي وهذه القيمة تقارن بقيمة النفقات المصروفة على التعليم ، ويدخل في مفهوم النفقات هذا جميع المصروفات الايجابية كالمنح والكتب والكسوة والسفر وغيرها ، وكذلك المصروفات السلبية التي تتمثل في عدم الحصول على اجور خلال عملية التعلم ، ثم الفائدة المالية الناتجة عن هذه المصروفات .

لقد قلنا ان الناتج الذي يحصل من وراء عملية التعلم يتمثل فيما تجده من امكانيات عند الفرد اذا حسبنا قيمته الشخصية ، طبقا لمستواه التعليمي لكن كيف نتصور هذه القيمة الشخصية ، وما مظاهر وجودها المختلفة ، لقد رأينا ــ من قبل ــ مقدار مساهمة التعلم في اكساب الفرد قدرة على العمل والانتاج في الميدان المهني الا ان هذه القيمة ايضا تظهر ايضا في علاقة الشخص بالمجتمع ، وعمله في الميدان الاجتماعي والانساني بوجه عام ، ويقول « طان كوي » حول ذلك : (اذا كانت الاستثمارات المادية تحدث تأثيرها على قدرة الصناعة التي وظفت فيها الاموال - فان التعلم يحدث تأثيرا غير مباشر في

الميدان الاجتماعي من شأنه ان يرفع المستوى العام للانتاج والازدهار ، فمثلا ربة اسرة متعلمة اذا كانت لا تشتغل فانها بالطبع لا تساهم في تنمية الدخل القومي ، ولكنها اذ تربي ابناءها تربية قويمة ، فانها — مع مرور الزمن — ستكون قد ساهمت في الانتاج الوطني ، عندما يكبر ابناؤها ويصبحون اداة عمل وانتاج ، فالمرأة المتعلمة التي لا تشتغل تساوي بذلك المرأة التي تشتغل ولكنها غير متعلمة ، وبالاجمال فان هناك الكثير من الامثلة من هذا القبيل ، وكلها تقوم على اساس ملاحظة ان التعلم ، بما يحمله الى المجتمع من عوامل الاستعداد للتطور والابتكار ، فانه بذلك يمكن ان يعد كموطن استثمار لرؤوس اموال فعالة ومنتجة ...) .

* * *

لقد لاحظنا في الفقرة السابقة ان التقييم الاقتصادي لعملية التعلم — وان تكن تتوافر له الان مقاييس حسابية وتقنية عديدة تمكن من النظر اليه نظرة اقتصادية دقيقة كما تتوافر للخبراء ايضا وسائل كثيرة (احصائيات ومعادلات ومنحنيات ورسوم بيانية) لقياس الامور — في هذا المجال — قياسا دقيقا ما امكن على الرغم من ذلك فان التقنية المتبعة بهذا الشأن لا تكفي لكي تؤدي الى اخضاع الموضوع اخضاعا كاملا لمقتضيات التفكير الاقتصادي الصرف ، ومنذ سنة 1935 عندما اجرى « والش » ابحاثه وقياساته في الموضوع تطورت هذه الابحاث والقياسات بعد ذلك تطورا مهما الا ان هذا التطور لم يمنع المعتنين بهذا الفرع الناشيء من الاقتصاد الحديث — لم يمنعهم من الاعتراف بان الاقيسة والمناهج التي تتوافر لهم لحد الان لا تمكن من الحصول على اداة تقنية كاملة بهذا الشأن ، ويجب التمييز هنا بين ما ذكرناه من ادماج عملية التعلم في كنه الحياة الاقتصادية وبين موضوع التخطيط لهذه العملية ، ووضع النفقات المتعلقة بهما والنتائج المنتظرة منها ضمن تصميم معين ، فالتخطيط بكل ما يقتضيه من توفير العوامل المساعدة للشيء المخطط له ، والنظر في امكانيات النتائج المنشودة والعقبات المعترضة والآجال المحددة ، ان التخطيط بهذا المعنى هو عملية عادية سواء بالنسبة للسياسة التعليمية او غيرها ، وهو — وان كان يستلزم دقة في الوسائل وتحديدا للممكنات ويرتبط — في كثير من المسائل — بالنمو الاقتصادي ، والسياسة الاقتصادية عموما ، الا انه لا يلزم منه دائما ادماج الشيء في صميم الحياة الاقتصادية لان روح التخطيط والتقنيات المتعلقة به تشمل مختلف الامور سواء كانت ذات طبيعة اقتصادية او كانت غير ذلك ، اما النظريات الجديدة التي عرضنا لها ، فهي ترمي لا الى مجرد التخطيط للتعليم ، بل ادماجه في كنه الحياة الاقتصادية واستقصاء التفاعلات الدقيقة ، التي يمكن ان تقوم بين عملية التعلم ، وبين مختلف مرافق الاقتصاد ومجالاته ، وهذا — كما اسلفنا — وجه الصعوبة في القضية الماثلة ، غير ان هذه الصعوبة لا تعني — في الحقيقة — قتل وجهة نظر من هذا القبيل ، كل ما تدل عليه انه ستبقى هناك ضرورة لمرور كثير من الوقت ، وصرف مزيد من الجهود قبل التوصل — في هذا المقام — الى اقرار مقاييس علمية حاسمة واستخلاص نواميس مطلقة تساعد على وضع قضية الصلة بين التعليم والاقتصاد في اطار اكمل واشمل ، وذلك بان تخرج بها من نطاق الاحصاء وملاحظة الظواهر المتكررة الى نطاق القاعدة العلمية المتجوهرة التي — باعتبار انها تستوعب مختلف الحقائق القائمة في الموضوع او الكثير منها على الاقل فانه يقاس عليها حينئذ وتصبح كمنطلق لاي تقدير او تقييم نأخذ به في هذا الصدد .

* * *

ان الحقيقة التي يمكن ان نستخلصها من خلال ما رأيناه في الفقرات السابقة هي ان التقييم الاقتصادي لنتيجة التعلم — طبقا لما تذهب اليه النظريات والمناهج التي عرضنا لها آنفا من الممكن — على كل حال — ان يتخذ مجالا اوسع مما تدل عليه هذه البداية — فنستعمله في كثير من القضايا والميادين الاخرى كموضوع الصحة والتأمين الاجتماعي وتحسين شروط الشغل وغير ذلك مما يتصل بتطوير ممكنات النشاط امام الفرد العامل وتنمية الحوافز النفسانية والطاقة البدنية عنده ، فالفرق في امكانيات العمل والانجاز عند المتعلم وغير المتعلم وتقييم هذا الفرق تقييما اقتصاديا يقاس بحجم النفقات التي صرفت على التعلم واسهمت — بالتالي — في تكوين مثل هذا الفرق — كل ذلك يمكن ان يطبق كذلك — من الناحية المبدئية على الفرق الحاصل في العمل بين العليل والسقيم بين المؤمن اجتماعيا وغير المؤمن ، بين المتمتع بظروف عمل احسن وغير المتمتع ، وهكذا دواليك ، وبتوسيع المقارنات على هذا النحو ، يمكننا ان نلاحظ مدى اهمية الاستثمارات التي يمكن وصفها بالاستثمارات الاجتماعية ويراد بذلك — كما رأينا في عملية التعلم — مجموع الاموال التي تصرف من اجل تنمية طاقة الفرد ، وجعله اداة اكثر فاعلية في حظيرة المجتمع ، فمن الجائز للمرء ان يدعي بان مثل هذه الاستثمارات — التي تؤدي الى الحصول على نتائج اقتصادية غير مباشرة ولكنها ذات اهمية حيوية جدا — من الجائز اذن

الزعم بان مثل هذه الاستثمارات لا تقل اهمية عن الاستثمارات الاخرى ذات الوجهة الاقتصادية البحتة . والامر في هذا المجال – بالنسبة للبلدان المتخلفة يكتسي صبغة اهمية بالغة فهذه الاقطار تعاني عادة من نقص في الموارد والكفاءات بينما الحجم الديموغرافي عندها يتضخم باستمرار وبصورة لا تتناسب مطلقا مع واقع النمو الاقتصادي الحاصل ، فالعاملان الاساسيان في حياة العالم الثالث هما عاملا النمو الاقتصادي الذي هو اداة ايجاب واعطاء ، والنمو الديموغرافي الذي هو – في بعض الاعتبارات – اداة استهلاك واستيعاب ، والفارق بين عاملي النمو هذين هو الذي يحدد في كثير من الحالات درجة تقدم اية دولة متخلفة او تأخرها لان من خلال هذا الفارق يمكن استبانة حالة الوضع الاجتماعي ، والتطور الاقتصادي عند هذه الدولة او تلك ، وكل هذا من شأنه ان يحمل الدول المتخلفة خاصة على وزن مواردها واحتياجاتها بميزان دقيق جدا بحيث توزن الاستثمارات الاجتماعية وما لها من صلة بالنمو الاقتصادي ، الى جانب الاستثمارات الاقتصادية الصرف ، وذلك من اجل ضمان الاستفادة الكاملة من نتائج الاستثمارات ذات الصبغة الاجتماعية ، لا سيما وان هذا النوع من الاستثمار يبتلع مقادير ضخمة من الاموال والجهود ، تتضاعف بمقدار ازدياد الضغط الديموغرافي وما ينشأ عنه من ازدياد الحاجة التي لا حد لها ، للتطور الاجتماعي والتأمين الصحي وغير ذلك كثير .

* * *

ان موضوع الصلة بين الاستثمارات الاقتصادية والاجتماعية، هو – كما رأينا – موضوع جوهري بالنسبة لقضية التطور والنمو في البلدان المتخلفة ، وتأمين استمرار هذا التطور والنمو وزيادة تعميق اسسه في الاقطار الصناعية المتقدمة ، ولا اخال ان هناك من يجادل بأن حسن التفاعل بين هذين النوعين من الاستثمار (الاقتصادي والاجتماعي) واقامة الاعتبار للتكامل النسبي الموجود بينهما ، من شأنه ان يؤدي الى تعزيز اهمية النتائج الاقتصادية المستخلصة ، وتوسيع مدى هذه النتائج الى الحد المرغوب فيه .

سلا : المهدي البرجالي

التعبير الفني عند أبي حيان

كان أبو حيان بصيرا بما يتطلبه التعبير الفني من دقة وجهد . فهو يقول :

« ان الكلام صلف تياه ، لايستجيب لكل انسان ، ولا يصحب كل لسان ، فخطره كثير ، ومتعاطيه مغرور ، وله أرن كأرن المهر ، واباء كاباء الحرون، وزهو كزهو الملك ، وخفق كخفق البرق ، فهو يتسهل مرة ، ويعز مرارا ، ويذل طورا ، ويعز اطوارا » .

الامتاع والمؤانسة



لا... ونعم...

لا تقولنّ إذا ما لم تُرد
أن تتمّ الوعد في شيء نعم

حسنٌ قولُ نعم من بعد لا
وقبيحٌ قولُ لا بعد نعم

إنّ لا بعد نعم فاحشة
فبلا فابدأ إذا خفت الندم ١

وإذا قلت نعم فاصبر لها
بنجاز القول إن الخُلف ذم ٢

واعلم أنّ الذمّ نقصٌ للفتى
ومتى لا يتّقي الذمّ يُذَم ٣

لا تراني راتعاً في مجلس
في لحوم الناس كالسبع الضَّرِم ٤

إنّ شرّ الناس من يكشر لي
حين يلقاني وإن غبتُ شتم ٥

وكلام سيّئ قد وقرت
أذني عنه وما بي من صمم ٦

فتعزّيت خشاة أن يرى
جاهل أني كما كان زعم ٧

ولبعض الصفح والإعراض عن
ذي الخنا أبقى وإن كان ظلم ٨

المثقب العبدي

الشـــرح :

1) فاحشـة : مـا يشتد قبحه مـن الذنـوب
2) بنجـاز : انجـاز ، قضـاء •
ذم : عيـب
3) راتعـا : رتـع فى لحـم فلان اغتابـه •
الضـرم : الشديـد النهـم •
4) يكشر هنـا بمعنى يضحك ، وكشر انيابـه اظهرهـا مهـددا •
5) وقـرت : صمت ، ومنه قولـه تعالى ، (وفي آذانهـم وقـر) •
6) تعـزيت : تسليـت •

مُحمّد

للاستاذ الشاعر: عبد المحسن بلوط

اذا خيم الليل فوق القصور
ولم يبق في هذه الارض نور
وغابت عن الافق حتى النجوم
ولم يبق في الارض غير الوجوم

فلا تيأسوا من صباح منير ولا تياسوا من الاه رحيم

اذا ما استبد الملوك الطغاه
ولم ترتفع همسة بالصلاه
وهنت على الظالمين الدماء
وصار الثرى كافرا بالسماء

فلا ترقبوا غير عدل الا لاه الاه يرى خلقه ابرياء

ولا ترقبوا في القصور الضياء
ولا عند من يملكون الثراء
ولا ترقبوا رأفة الظالمين
ولا ترقبوها من المترفين

من الحقل والكوخ يأتي الضياء رعاة المواشي هم المرسلون

فها هو ذا النور خلف التلال
يصارع في البيد ليل الضلال
وها هو ذا الفجر في الافق لاح
رويدا ... رويدا ... انار البطاح

وما لاحت الشمس بين الجبال لدى الافق حتى ترامى الصباح

ولما بدا الفجر فوق السهول
على عالم سابح في ذهول
هناك انبرى هاتف في الزمان
الى الله يدعو الورى في امان

تنادوا : من الشخص ؟ قيل الرسول فقالوا : وما الصوت : قيل الاذان

نـداء ترامـى الـى العالميـن
فأفعـم افـئدة المومنيـن

ففـي القصـر والكـوخ والباديـة
وفـي القفـر والغابـة النائيـة

يجـوب الفيافـي طـوال السنيـن فـلا ارض من صوتـه خاليـة

وقـد جهـل النـاس معنى الهـدى
وقالـوا لدينـا الاه الـورى

هنـا فـي القيافـي الالاه الصنـم
اذا مـا احتكمنـا فهـذا الحكـم

وراموا بـه الفتـك لكن نجـا ومـا كـان للنـور ان ينهـزم

ومـن بعـد ان ولغـوا فـي الدمـاء
ولـم يعرفـوا رحمـة او اخـاء

واولادهـم بيـن ايـدي الصنـم
قرابينهـم لـلالاه الاصـم

وكـل يصلـي ويتلـو الدعـاء لـرب ضعيـف رهيـن البكـم

هنـاك وقـد عـم ضـوء الالاه
صفوفـا صفوفـا اقامـوا الصـلاه

قرابينهـم فـي صفـاء الضميـر
وتلـك القلـوب التـي فـي الصـدور

فلـم يعبـدوا بعـد هـذا سـواه ولـم يخفضـوا هامهـم للصخـور

* * *

فيـا ايهـا المنقـذ المجتبـى
محمـد ، صوتـك مثـل الصـدى

يشـق الـى النـاس ماضـي القـرون
ويرشـدهـم مـن وراء السنيـن

فهـل انـت مرشدهـم للهـدى ليهـدوا كمـا فعـل الاولـون

عبد المجيد بن جلـون

أدرك بفضلك يا مختار أمتنا

الشاعر : عبد الكريم النوالي

ما ذا دهى امة الاسلام في بلـدي   امست يبابا وامسى الدين في بـور

ما بالها زهدت في الدين واختلفت   وبدلت رشده بالغي والـزور

الدين ، دين ابن عدنان وما جعلت   الا به الارض في قفر ومعمـور

دين على الحق والاخلاق قد رفعت   بنـوده خافقـات بالتباشيـر

مـا كان قومي سوى جند لدعوته   صانوه بالعدل في ايد وتشميـر

كانوا الدعاة وكانوا القيمين على   آياته مشرقات الهدي والنـور

لا يفزعون من الاهوال تدهمهم   لكن تلاقي بهم بأس المغاويـر

ظلوا الحماة وظل الدين رائدهم   لا شيء الا معانيه بمشكـور

قصانهم وحمى الاخلاق طاهـرة   من الخطايا ومن هجر ومنكـور

فما لقومي امسوا بعد وهدهم   يطاهئون حديث اللغو والـزور

اضحوا نواكس في اوطانهم ، وغدا   دين المآذن في حطب بـ (تبشير)

راموا الضلالة اذ هادوا عداتهم   واستمرأوا العيش في هم وتكدير

واسلموا امرهم ـ نكسا لامرهم ـ   للعابثين فباتوا اسرى تخذيـر

واصبحوا ـ وهم اسد ـ يفزعهم   همس النسيم وعضات الزنابيـر

واصبحت دورهم تعسا لمحتهم   مراتعـا لضلالات وتزويـر

ويلي على الدين نامت عنه ـ لاهية ـ   حفاظه ورمته في اضابيـر

ورددوا دونما وعي معانيه   وبرقشوها كأرياش العصافيـر

توهموه تماثيلا لهم ، فغدوا   مـربليه دمى صيغت من الجيـر

واودعوها رفوفا قام قيمها ... فعاث في ساحها جيش الصراصير
فأهدر الدين واجتثت منابته ... واستؤصل الطهر في عمد وتصرير
اطاعه القوم حين ارتاب رائدهم ... فاستخلف الذئب في امر وتدبير

يا ضلة العقل ان الدين عاطفة ... ومبدأ ويقين بالمقادير
لكن قومي تاهوا اليوم وامتجعوا ... مسالك الغي في بيداء مهجور
تلمسوا الهدي في قانون ما وضعوا ... وكان قرآنهم اسمى الدساتير
وهوموا ينشدون الرشد ويلهم ... تنكبوا الرشد في نبذ المقادير
فاصبحوا وهم هلكى ، عقولهم ... حيرى تعنى بتعذيب وتدمير
تحاول العيش صفوا لا تكدره ... نكباء ، هيهات تسقى غير جرجير
تروم من دهرها ما ليس تدركه ... وما ينوء به اقوى التدابير
هيهات هيهات تحيا امة فقدت ... مقومات حياة العز والنور
والدين اس جميع المكرمات ، وما ... لأمة تتخلى عنه من نور

يا امة هجرت جهلا مساجدها ... واستبدلتها بحانات وماخور
في كل زاوية مقهى وغانية ... ترب خمرا وتلهو بالقوارير
تعب عابثة صهباء صافية ... قد عتقت في دنان مذدهارير
تستمريء اللهو بالرواد تغدقهم ... غمزا يفيض باغراء وتغرير
وبالدعايات في همس ووسوسة ... تبتز اموال مغرور ومخمور

كنا وكانت نوادينا مساجدنا ... نتلو بها الذكر في قر وتهجير
فأصبحت بلقعا تبكي منابرها ... وغودرت بجهالات وتقصير
وقام بالامر قوم لا خلاق لهم ... وانما هم مطايا الشر والزور
يؤيدون اباطيلا وترهة ... ويدعمون ضلالا بالتقارير
فأوقعوا الدين في دهياء مظلمة ... وزوروا حججا اوهى من المور (*)

(*) المور : الغبار المتردد في الهواء .

واغرقوا النشء افكارا مبلبلة ... فعاش يمرح في دنيا المساكير

يستهدف اللهو ، والاهمال رائده ... لا يرعوي عن جنايات وتدمير

لا يستحي ان يرى في حانة عبقت ... صهباؤها بين طاسات وطنبور

وبائعات هوى يرقصن في حلل ... من الفجور على دف ومزمور

يبين منه يقينا غاض ريقه ... وغام ماتعه في هول ديجور

اضحى الشباب الذي يرجى لنائبة ... عبد المراقص والصهباء والحور

لا يستطيب من الدنيا وانعمها ... الا (السيجار) والحان المزامير

يرى المسرة في تدليل غانية ... او جولة في مقاهي الليل والدور

يلوك في عجمة عجماء السنة ... كيما يقال (خبير) بالمصايير

وان الى مكرمات او مفاضلة ... يدع تجده اسيرا للمعاذير

* * *

يا قيمين على الاسلام في بلد ... امست به قيم الاسلام في بور

هبوا لنجدة قوم كاد امرهم ... يختل حين تباهوا بالمناكير

ما شئت من رقصات (التويست) نافقة ... اسواقها بين خمار ومخمور

ومن مسارح (للبالية) مغرية ... تدعو الشباب لأحضان المواخير

وفي المسابح ما يندى الجبين له ... عري ومزج لتأنيث بتذكير

وفي المصايف والشطآن اندية ... لا يشهد الطهر فيها غير مهدور

ادرك بفضلك يا مختار امتنا ... فأنت من يرتجى في كل ديجور

حدنا عن الدين ، او كدنا ، وليس لنا ... الا حماك يقينا كل محذور

فكن رؤوفا بقوم جل خطبهم ... واطلب لشعبك الطاف المقادير

والدين امسى نريبا لا نصير له ... فانصره واحفظه من تحريف موتور

والله ربك حاميه وحافظه ... ونحن دره له من كل تزوير

فاس : عبد الكريم التواتي



« ... هذه قصيدة « معركة الوادي » التي تمجد مفخرة من مفاخرنا الاسلامية العربية ؟ الا وهي انتصار اجدادنا الكرام في معركة وادي المخازن ، تلك المعركة الحاسمة التي ما يزال صداها يرن في الآذان ... » .

هات يا شعر نغمة ورنينا ... من قوافيك تسحر السامعينا
واملا القلب من معانيك سرا ... يكشف الغيب من وراء السنينا
ان لي — اليوم — قولة في المعالي ... ارتجي ان تكون فتحا مبينا
هي من نفحة « المخازن » تجلو ... صفحة من مفاخر المسلمينا
فعلى صفتيه سرحت طرفي ... فرأيت الربى تثير الحنينا
ذكرتني برقصة النصر فيها ... فتلفت استعيد القرونا
وناجي رحاب تلك الروابي ... علها تنشر الفخار الدفينا
ورفعت الستار عن سالف الدهر ... فعاينت عزة الفاتحينا
ورأيت المواكب الغر تمشي ... وتغني نشيدها الموزونا
ينثر المجد حولها في سرور ... ناضر الورد باسما مفتونا
وعيون النجوم ترنو اليها ... ساكبات لآلئا ومعينا
سائلات : لمن ترى هذه الدهم ... تحيل الصخور طينا عجينا ؟
وكماة مدججون عليها ... كالروابي يثقلون المتونا
رافعين الجباه في كبرياء ... يتحدون سطوة المعتدينا
حينما بيتوا بليل رهيب ... خطة تلعن « الخليع » الخؤونا
ذهب الوغد يستحث الاعادي ... علّه يستعيد عرشا ثمينا
قال للقوم : « ان نصرتم لوائي ... فلكم في حماي ما تطلبونا

فخذوا الصك بالعهود واعطي ... – ان رضيتم – على العهود يمينا »

فرأى « البرتغال » في الامر غنما ... ورأى فرصة فقال : رضينا

واستمد « الفرنج » من كل صقع ... داعيا : انصروا الصليب المهينا

فامدوه بالجيوش فكانت ... – كعديد الحصا – الوف المئينا

بارك « البابا » سعيهم وحماهم ... بدعاء يزيدهم تمكينا

واستظلوا براية البغي لما ... اقبلوا كالذباب طن طنينا

فاتوا والهوى المضل يناجيهم بنصر ويستفز الظنونا

قادهم « ضون » للهلاك ولكن ... لم يكونوا بشؤمه يعلمونا

حجبت عنهم الحقيقة احلا ... م تخال الخيال حقا مبينا

فاستكانوا الى منى ضاحكات ... باكيات اذا رأين اليقينا

سهلت في عقولهم كل صعب ... فاسترقت قلوبهم والعيونا

وتناجوا على الطريق بنصر ... سوف يبقى على ممر السنينا

وبفتح يطبق الارض صيتا ... ويعز الصليب دنيا ودينا

يا لها من منى افاءت عليهم ... ذكر عهد بعوده يحلمونا

وقد استوثقوا من النصر لما ... حسبوا النصر كثرة المجلبينا

حسبوا المغرب المنيع مباحا ... ولو استبصروا رأوه العرينا

فتنادوا الى الهجوم وقالوا : ... جولة ثم نهزم المسلمينا

غير ان البلاد هبت بعزم ... عربي وهمة لن تلينا

فالتقى العسكران في يوم هول ... زعزع الارض سهلها والحزونا

في بسيط لم تعهد العين فيه ... قبل الاهناءة وسكونا

يترامى على شواطىء نهر ... تملأ العين بهجة وفتونا

نسج العشب حولها من زرابيه وابدى للمعجبين فنونا

والتقت فوقها الطيور تغني ... لجمال الحياة فيها لحونا

فأتى الروع بين يوم وليل ... يملأ الرحب ضجة وانينا

لا ترى العين فيه غير عجاج ... حجب الشمس في الضحى ان تبينا

لبريق الحديد فيه شعاع ... يبهر العين يسرة ويمينا

وصهيل الخيول هز الروابي ... وصليل السيوف جن جنونا

ورحى الحرب في هدير مريع ... وسعير الوطيس صار اتونا

وصياح الفحول يقصف كالرعد وهم في لجاجة يرقصونا

فترى الوثب والنظام ولكن ... لا ترى القوم يحملون قرونا

واكتست ساحة القتال برودا ... قانيات السدى تسر المنونا

ضجت الطير والوحوش وفرت ... تبتغي في الشعاب كنا امينا

غمرات من الكفاح استحرت ... في نفوس العدى فقالوا فينا

عركتهم على الصعيد فصاروا   بعد سعي وحدة هامدينا
فتراهم على البسيط ركاما   من خلط يروع الناظرينا
وتجافت اشلاءهم في نفور   فهي شتى موزعات عضينا
اصبحوا عبرة على الترب تبدي   عظة تعجر البليغ الفطينا
ورأى القوم فتكة المحق فيهم   فتولوا عن الوغى هاربينا
يتنادون في صراخ فظيع :   النجاة ! النجاة ! مما لقينا
فاركضوا واتركوا المتاع سريعا   واعبروا الجسر ثم اجروا السفينا
وتعادوا الى النجاة ولكن   هدم الجسر فارتموا سابحينا
ورأوا خلفهم رماحا ونبلا   فاستجبوا هلاكهم غارقينا
وبكى « ضون » وهو يغرق في النهـ   ـر لعز اراده فأهينا
قال : لو عشت بعد هذا مليكا   عشت بالعار والهوان حزينا
فلأمت هكذا غريقا فاني   صرت في دولة الصليب لعينا
سقت شعب الفرنج للموت يالى   من شقي جنيت شؤما وهونا

* * *

ذهب القوم بين قتلى وغرقى   واسارى تجمعوا حائرينا
اسلموا للقيود ارجلهم طو   عا وكانوا بلثمها يطمعونا
لم تسؤهم هزيمة او اسار   بل شؤون كانوا بها جاهلينا
لو دروا سطوة البلاد يقينا   لأطاعوا نصيحة الناصحينا
انها معقل البطولة والمجـ   ـد ومثوى الاعزة الفاتحينا
قرعوا الحرب من قديم فصاروا   من مراس الحروب لا يضجرونا
كلما جاءهم مغير دخيل   قطعوا بالسلاح منه الوتينا

* * *

ما كعبد المليك شهم ولا مثـ   ـل اخيه المنصور في المخلصينا
فهما خلدا لنا اروع النصـ   ـر وصانا مفاخر المسلمينا
جعلا وقعة « المخازن » رمزا   خالد الذكر يدهش العالمينا
لهما كل عزة وخلود   بين املاك امة اكرمينا

الرباط : المدني الحمراوي

غادة إفران

للشاعر: عبد المالك البلغيثي

ودع الطير فصله وتنكد بعد ما غازل الرياض وغرد
منشدا للربيع : في دعة اللـه بعثت ، وذاك ما قد توعد
وبدت كل غادة تنهب القلب جمالا ، من ثوبها تتجرد
ناظرات للصيف من مهبط الحب ، فلم يقو للهوى فتنهد
قائلات لمعجب بربيع واغاريد للطيور ترصد
ان ذوى الغصن في الريا ض فمصطافك اغصان بانه تتأود
وخرير على عجيج الغواني خير نغم يهواه شيخ وأمرد
هذه ناهد ، واخرى لعوب بضة بينها كواعب خرد
موسم ينعش الشيوخ ويذكي في قلوب الشباب ما ليس يخمد

* * *

لست انسى مصيف ـ افران ـ اذ حلت به غادة لها زي اغيد
ذات حسن لم يعمل الصنع فيه بمساحيق او بدلك يؤبد
يتدنى على بياض جبين شعر اشقر الطبيعة عسجد
صبغة الله ، ليس اجذب منها حور ناعس وخد مورد
من بني الروم ، وهي تنفر طبعا من سموم الجديد ايان يوجد
لو تراها في الحوض تسبح ملقا ة على الظهر وهي تهوي وتصعد
وهي في الماء بين اخذ ورد عرفتنا حقيقة الجزر والمد

خرجت في غلالة جسمت كـ ـل شيء من ذاتها لم يجرد
فرأينا التثليث كيف تبدى من صدور الحسان اصبح يعبد
نفضت رأسها كما انتفض الطيـ ـر ، فردت من للغواني تمرد

* * *

سألتني : اشاعر ؟ قلت طبعا كيف لا تجمعين فكرا تشرد ؟
كيف لا يستمد منك شعوري ؟ كيف لا ينطق اللسان المعقد
ها انا ذا اقول . يا فتنة الشا عر اذ صار لي بقربك مقعد
: انني في طبيعة الحسن ولها ن ، وصبري يكاد ، والله يفقد
كل ما قيل في سواك غراما غل من قاله ، وفي الشعر ألحد

* * *

شكرت بابتسامة اشرقت كـ ـل مناءي ، وقربت كل مبعد
احصنت حسنها . فما نال منه غير شعري . وكم اراه سيسعد

* * *

يسمي ضفة الغدير نشاهد جريانا عن كل صنع تجرد
كتب الريح – فوقه (نوطة) لحـ ـنها الماء بالخرير المردد
نغمات كم ارقصت من غصون تتدلى من فوقه ثم تصعد
طبعها ناجع لكل عليل اين منه لحن القريض ومعبد
انا فيها انزه الطرف لاه عن سواها ، وجمر حبي توقد
وهي في الغصن والطيور وفي الزهـ ـرة والنهر فكرها قد تبدد
جمعت كل ما نراه جمالا لم اطق وصف ما به تتفرد
فالطبيعي في الحسن شيء جميل والصناعي عن كل ذوق تجرد

سلا : عبد الملك البلغيثي

هَواجِسُ الضَّمِير

الشاعر: إدريس الجاي

في غيابي عن الوجود وما اكثر ما طال في الوجود غيابي
كم قطعت المفاوز البكر شالا فأعيا الكون الاصم جوابي
وعبرت الافلاك في النسق العالي لأقفو نوارد الاسراب
وخطى الشيطان المريد ، وتطواف ملاك متلم اواب ...
والذي دله السراب على الماء ومن تاه بين موج العباب
وحسيس الديدان توغل في الترب وخفق الفراش ، خفق العقاب
والمعالي تساب جاحظة الاعين فوق التراب تحت التراب
كل هذا يسعى حثيثا الى ما خلف هذا السنا وخلف الحجاب
فلتته او تبيد في مهمه التيه ، فأما انا فحسبي اسبابي
في غيابي عن الوجود وما اكثر ما طال في الوجود غيابي

* * *

قص هذا الجناح ، كيف الى الهيكل مرقى والعاصفات شداد
ونريد الوجود سرا الى حين ، وسر الوجود ليس يراد
كل ما بيننا من النسب الاقدم نفخ يبيد ليس يباد
دفعتنا ايد اشد من الدهر ، فلا نستقر ، لا نستعاد
ونظرنا الى الوراء فكانت نيرات وكان هذا الرماد

ونظرنا الى الامام فكانت ظلمات وكان هذا السواد

كلنا ضاحك وباك متى شاء ، ولغز الوجود ليس يكاد

سخر الناموس العتيق من الصاخب لهوا ومن يكم الحداد

ما ابالي وفي الحقيبة روح ان تضيع الاشواق والاجاد

بيد اني ما زلت اسأل نفسي : ايقينا في ذي الحقيبة زاد ؟

* * *

عجبا للحياة تركض في الظلماء ، ركض النمال فوق القشور

وتردى من العمى في غباء لم يكن غير عثرة من نور

قذفت رأسها الى اسفل الوادي ، وباتت مفتونة بالنشور

ضاق صدر الفضاء بأسائل الانجم عن كنه امره المقدور

ما [illegible]ات ؟ ما المصير ؟ وما الساعة ؟ ما موعد الردى والثبور

ما الموازين ؟ ما المقاييس ؟ ما السر ؟ وما ذا بعد الفنا والقبور ؟

لم هذي الألوان موهت القبح ، وهذا الجمال حلف الفجور ؟

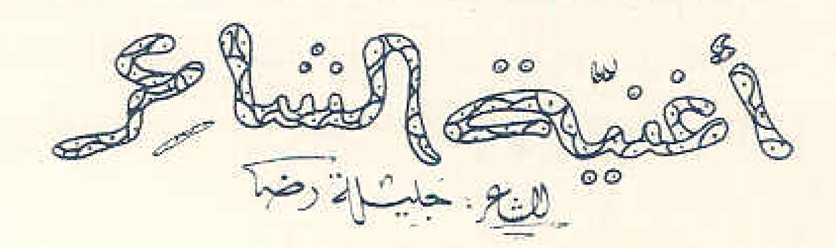
لم هذا الحنين من منبت الرجس الى لعنة الردى والدهور ؟

لم عود للدائرات على بدء ، الا يدري اليوم او لا تدوري

انا عشواء الوهم اخبط في الحلم ، فحسبي هواجس من ضميري

الرباط : ادريس الجاي





انا من يملك الدنيا .. وكل دناي اشعار
وجودي قبل ان اوجد قد وشمته اقدار
يكلل هامتي نور وتحرق مهجتي نار
وروحي نسمة تسري ونافذة واستار
نبي ، فارس ، ملك ، وشيطان ، .. وسحار

* * *

انا من عشت ظمآنا ولين لغلتي منقع
وهذي الكأس كأسكم بكل هوى الدنى تترع
قذفت بها وراء الظهر فارغة ولم اشبع
فخمري من دنى اخرى ونوري من سنا ابدع
وخلف جبيني المحموم كون آخر اوسع

* * *

واني الغاب يغمرني سكون غامض مقلق
اذا عبر الورى دربي فدربي مظلم مطبق
ولكن لي تسابيحي وهمسي الخاشع المطرق

وفي اعماق اعماقي سماء لونها ازرق
يفضض جدولي قمر ويرعش دوحي مشرق

* * *

واني الجبل العالي بعبء الزاهد المثقل
وهذا الفجر انيشرق فلي من قبلكم مرسل
ولي خطوته الاولى ولي اشعاعته الاول
ولكني احن على مدى افقي الى اسفل
اصد زوابع الدنيا وأبسط ظلي الاكمل

* * *

ربيع الناس اشواق وكون من ضبابات
ولكن لي انا وحدي ربيع في سنا ذاتي
وليل شاعر مثلي تدفق بالخيالات
وتحت اناملي امضي على الحان آهاتي
ازف الفكرة النشوى الى المستقبل الآتي

* * *

خريف الناس في الدنيا دياجير وامطار
ولي وحدي خريف في صميم القلب منهار
فكم تسري كآباتي ويغزو الروح اعصار
فاذكر انني فن وان الفن جبار
وامضي عازفا لحني على شفتي اشعار

* * *

نبي ، فارس ، ملك ، وشيطان .. وسحار

جليلة رضا

صور من بلادي

للشاعر: محمد احمد حيدر

بلد طبيعته رقيقة … حسناء تعشقها الخليقة

بلد به من جنة الفر … دوس اسرار عميقة

كرم وما تعطي به … الا لأهليه وثيقة

عادات «يعرب» لم تزل … فيه مكرمة عريقة

يمشي به (العاصي) ويضـ … ـعف حين يمنعه طريقه

وعلى ضفاف النهر انـ … ـتثرت اغصان وريقة

والماء يروي قصة … للزهر حالمة رفيقة

وتكاد تحضنه الجدا … ول حضن معشوق عشيقه

او انه آسي يصـ … ـب بثغر معلول رحيقه

يشفي ويسعد حين ينـ … ـفع في شقاوته صديقه

يا للشقيق وقد مضى … يسقي حشاشته شقيقه

يفنى ليعطي من مذيـ … ـب حشاه ما يروي رفيقه

* * *

ان كان يغريني جديـ … ـد الحسن لا انسى عتيقه

(الضفدع) النشوان قرب … النهر كم اهوى نقيقه

فلعل شوقا عارما … اضنى حشاه فلن يطيقه

هل بات يذكر الفه … ام تام في حكم السليقه

* * *

الحـق مصبـاح الهـدى　　لا عـاش من جحد الحقيقـة

الحـق اشـرق كالضحـى　　وطفقـت استجلـي بريقـه

انـي نظـرت خمائـلا　　تشـى مدلهـة انيقـة

تمشـي فتتصـل الحـدا　　ئـق حيث تحبها حديقـة

* * *

مـا اروع النغـم الحبيـ　　ـب بوحشـة الليل الرهيـب

ينـساب كالحلـم الجميـ　　ـل الـح في الـق وطيـب

نغـم كانسـام الربيـ　　ـع وعـودة الحـق السليـب

نغـم يمـر على البعيـد　　كمـا يمـر على القلـوب

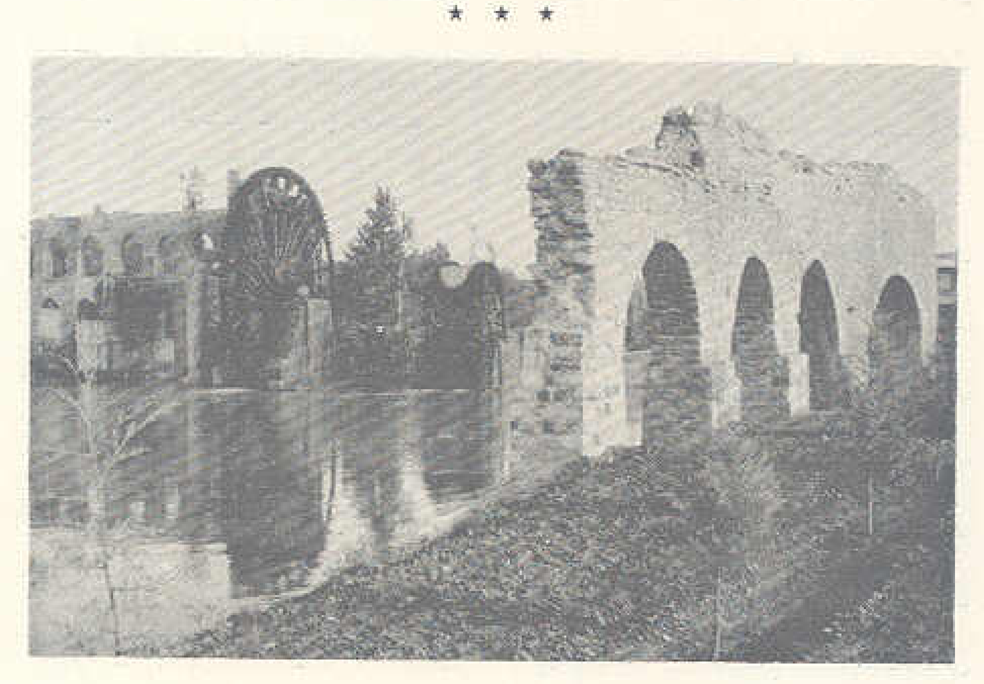
نغـم يمـر على القلـ　　ـوب برقـة الامل القشيـب

نغـم عجيـب ساحـر　　اللـه من نغـم عجيـب

مـا سطرتـه يـد الانـا　　م ولا دحـاه نهـي اديـب

كـل ولا اخراجـه　　اخـراج فـن اديـب

* * *



نغـم اتـى فيـه الجمـ　　ـال فجـاء بالنغم الغريـب

لا ساعـه عزفـت ولا　　وتـر يشـد الى قضيـب

تغم (النواعير) التي   دارت على الماء الصبيب
تلك (النواعير) انطلقـ   ـن يدرن في فلك رحيب
فكأنهن اصعن في (العـ   ـاصي) من الامر القريب
خدتنا فراح انينهن   يثير اشجان اللبيب
اماقهن من البكاء   تقرحت رغم الطبيب
والغوص اصبح دأبهـ   ـن من المغيب الى المغيب
لا العمر افنى عزمهن   ولا متابعة النحيب

* * *

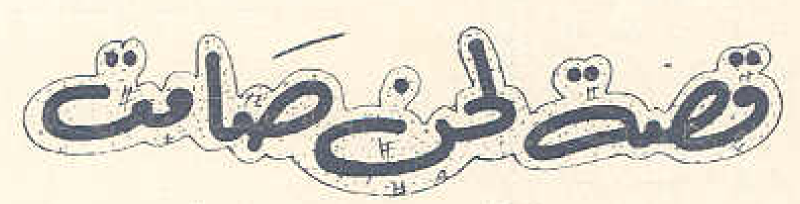
الله يا مهد العروبـ   ـة والعدو جحافل
وشبابك المعطاء   في افق العدو قنابل
ونبالك الحمراء   في مهج الغزاة معاول
ورماحك السمراء   في صدر الطغاة عوامل
وسيوفك البيضاء   في عنق العدو غلائل
كم غاصب على المنون   فغار منه الناهل
كم قائد فوق الثرى   لم تحتضنه جنادل
جيش العدو بارضنا   متواكل متخاذل

* * *

مهد الندى والخصب   اي الحسن فيك شمائل
الدوح يغمر حاجبيك   فكل غصن آهل
فكأنما فوق الغصو   ن من الطيور قوافل
تشدو ليلا فالوجود   بلابل وعنادل
افديك من بلد ترا   ه حدائق وخمائل
تاريخك الوضاح في   قصص البطولة حافل
كم وقفة خجل الردى   فيها وخاب الامل
ومضى العدو مشردا   يشكو الحذاء الناعل

لبنان : محمد احمد حيدر

قصة العدد



قصة لحن صامت

للأستاذ : محمد الأمين المصمودي

كانت القطعة الصامتة تثير مختلف الاحاسيس وشيئا من الخدر اللطيف ، فاذا بالروح يهيم ، وفي تضاعيف هذا الهيمان لاحت صور ورؤى ، وكان اي نغم يثير ما يوائمه من الصور ، حتى لكأن احدهما لايطيق انفكاكا عن الاخر .

اللحن هادىء ، لطيف كالنسيم ، واذا الحديقة ماثلة للعيان ، والنافورات الصغيرة تنطلق لتملأ حوضا يعلوها تبعث منه نافورات اصغر يطفح ماؤها بحوض اعلى وحمامات بيضاء تستحم باشعة الشمس المتسللة من خلال الغصون دافئة رحيمة ، وبدا المقعد الاخضر .

وانقطع اللحن ليعود رشيقا به شيء من صفاء السماء ، وشيء من عسجدية الاصيل ، ولمحة من شفافية الغدوة ، لتبدو على المقعد الاخضر ثمرة لها ما للحن من صفات .

كان بيده كتاب ، ولكنه وجد نفسه يضعه جانبا، ليحول بصره نحو المقعد الاخضر ، ركز عينيه على عينيها اللتين قدتا من صفاء السماء ، وتحدث للثمرة، فركزت هي الاخرى عينيها على عينيه وقد قدتا من ديجور — وكان صراعا عنيفا بين الزرقة والسواد — اللحن اذن متأرجح متلاحق ، يعروه ما يشبه اللهاث ثم يهدأ ليعود مرة اخرى متارجحا متلاحقا ثم هو من بعد ذلك يلهث ليمثل في النهاية خطوات وئيدة هي خطوات السواد

— وقد انهزم نحو الزرقة الظافرة — كان يخطو كما لو انه وقع تحت تاثير تنويم مغناطيسي ، وجثا امام الزرقة الرابضة على المقعد الاخضر .

وابتسمت ابتسامة الظفر ، ثم خمد اللحن ليعود فيما بعد نحيفا متعثرا لقد بدأ الحوار اذن :

— اخيرا اتيت ... كنت على يقين من انك سوف لاتقوى طويلا على المقاومة .

— انه لكذلك يانمرتي الضارية ، ومن يملك من الشجاعة ما يقوى به على الصمود امامك ؟ ذاك لانك تملكين من وسائل الفتك والاغراء ما عز نظيره عند غيرك .

— هكذا تقول يا سليل ارض الحريم ؟ ام تراني اخطأت الهدف ؟ .

— اذا كنت تقصدين انتسابي الى الشرق فما اخطأت الصواب ، اما انني سليل ارض الحريم ، فاعتقد ان الدنيا كلها كانت كذلك .

— ولكنكم لاتزالون ، وهذا جوهر المشكل ، خليط من النساء من مختلف الاجناس والاعمار ، فلا تنفتح قلوبكم لواحدة حتى تتفلق لتهفو الى اخرى .

— كان ذلك فيما مضى ، اما الان فبايديكن الزمام في كل مكان والى نهاية المطاف .

— ومع ذلك ، فانا احسدكم على بشرتكم السمراء ، وسواد الشعر والعيون منكم ، وثق ياصديقي انك لو صمدت لحظة واحدة لكنت اتيت اليك عن طواعية .

— ولكنك قبل هذا بقليل ذكرت انك كنت على يقين من انني لا اقوى على المقاومة طويلا .

— ذلك لاني اعلم يقينا انكم ترون في الاوربية المرأة الجذابة الخبيرة بوسائل الفتك والاغراء كما عبرت .

ـ ذلك اكيد ، عيونكن الزرقاء ، شعوركن الشقراء ، قاماتكن الرشيقة ، ثم تفننكن في اجلاء مفاتنكن الساحرة .

ـ ولكنكم تحسدون كذلك على قبلات الشمس التي لاتنقطع عنكن الا بهذا المقدار الذي تنتال علينا فيه لتنقطع شهورا طويلة .

ـ يبدو انك نلت حظك من هذه القبلات بارض الحريم كما عبرت ؟

ـ تلك امنية غالية لم تتحقق بعد ، ولكني قرات الكثير عن ارضكم ، فيخيل الي انها ارض السحر والاحلام ، ودعني اتملى من كل ذلك على فانوس عينيك السوداوين .

ـ كم اكون سعيدا لو تكونين بجانبي عندما اعود الى ارض السحر والاحلام ، ولكني اعتقد انك ستفاجئين هناك باشياء واشياء .

ـ اعلم ذلك ، واعلم بالذات ان التاريخ هناك ليس وقفا على الكتب ولكنه حي يرزق في لباس الرجال والنساء .

ـ وفي طريقة الطبخ والاكل كذلك .

ـ جميل جدا ان يعيش الانسان مختلف اطوار التاريخ بدون ان يحرم من الحضارة الحديثة .

ـ ودون ان يتجشم مشقة تصفح المجلدات الضخام في نفس الوقت .

كل هذا ، وخالط نغمات الحوار الحان من الغاب واخرى من بغداد، واخرى من الفردوس المفقود ثم من بعد ذلك انغام الجاز واخرى جد حديثة .

ـ اذا شئت الحقيقة مهما تكن مرة فانك تلمسين صورا من اقصى العهود القديمة كما تلمسين سمات من القرون الوسطى وما اكثرها . وسوف لاتعدمين نماذج كثيرة من طراز القرن العشرين ـ .

ـ ذلك جميل ، لكن هل تسترف بانسجام هذه العقليات ، اعني انصهارها في بوتقة واحدة لتكون نسيجا واحدا هو ابناء وطنك .

ـ ذلك جوهر المشكل . عملية الانصهار هذه لم تتم بعد ، بل لعلها لاتزال في اطوارها الاولى ، تزحف كالسلحفاة تتعثر تصادفها اشواك وعقبات ثم هناك من ينادي : ان اقطعوا الصلة بالماضي ، تلك هي الحضارة وذاك معنى التقدم ، ومن الجانب الاخر ينادي مناد : لا حياة الا على طراز الاجداد . ثم آخرون يقولون بعملية الانصهار والانسجام .

ـ مهما يكن فانا اعتقد انه ليس من السهل ان يقطع الانسان علاقته بالماضي فلا تعود هناك بينهما من وشيجة ... ثم انني ادركت انك ذو هدف واضح ، هل اقول ذو رسالة ؟

وانقطع اللحن برهة ثم عاد في نغمين رقيقين يجنح كل منهما الى الاخر ، لينصهرا في بعضهما لحظة ، وليكونا فيما بعد لحنا يرتفع قليلا قليلا ، ثم يشتد ويعنف لينحدر ويلين الى ان يضمحل في النهاية .

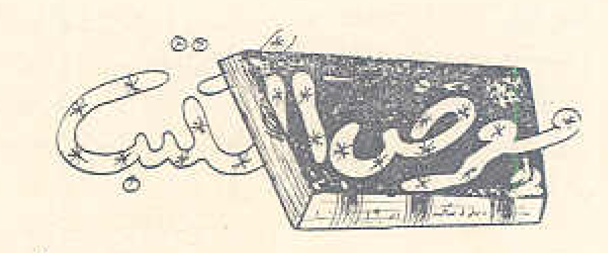
الرباط : محمد الامري المصمودي

« ليتنـي كنت احيـا بين احلامـي »

الكون لم يزدهر الا باوهامي
فقد برمت بأحداثي وايامي

فليت ان حياتي اصبحت حلمي
او ليتني كنت أحيا بين احلامي

عبد المجيد بن جلون



إرشاد الفحول
إلى تحقيق الحق من علم الأصول

تعليق : الاستاذ عبد الله الجراري

من العلوم الاسلامية المبنية على الفكر والمنطق ، والباعثة على بلوغ الكنه من مسائل الفقه الاسلامي ومشاكله التي لا تلين وتذل الا للمحنك الماهر في مادته ــ علم الاصول ــ اصول الفقه ــ الذي به تعرف ادلة الفقه الاجمالية وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفيدها . فكان لهذا موضوعه الدليل الشرعي الكلي ــ كالكتاب والسنة من حيث معرفة كيفية استنباط الاحكام منه .

ويشرف الفن ان كان واضعه ــ محمد بن ادريس الشافعي المطلبي ــ كما المع لذلك ابو حيان الجياني في قصيدة لـــــه :

هـو استنبـط العلم الاصولـي فاكتسـى
بـه الفقـه من ديبـاج انشائـه وشيـا

والكتاب الذي نريد اليوم ان نعرف بـه في الفن هـو كتاب : « ارشاد الفحول الى تحقيق الحـق من علم الاصـول » لجامعه محمد بن علي الشوكاني اليمني من اهـل صنعاء فقيـه مجتهد له مؤلفات تبلغ 114 ــ منها « نيل الاوطـار من اسـرار منتقى الاخبار » في ثماني مجلدات ، « والفوائد المجموعـة في الاحاديث الموضوعة » ، « والبدر الطالع » ، والارشاد المتحدث عنه توفي سنة 1250 ــ 1834 .

فبعد خطبة الكتاب رتبه على مقدمة وسبعة مقاصد وخاتمة . تناول في المقدمـة تعريف الفن ذاكـرا موضوعـه وفائدتـــا واستمداده متوسعا في كل نقطة نقطة بعرض شيـق واسلـوب سلس سهل يجذب النفوس ويبعـث روح الشـوق في الطالـب المتطلع مذكيا في روعه حب المعرفة واسـيا في نشاط واندفاع صوب ما هو مقبل عليه من شذرات الفن ــ فتراه يعمد الى المركب الاضافي « اصول الفقه » ويأخذ في تحليل كل من المتضايفين واحدا واحدا بتعبير محكم بسيط لا يعتم يحبب الفن الجديد في تعاطيه عن طواعية وانبساط حيث لا يجد اثناء العرض ما يقف امام الادراك والفهم ويسترسل في بحث العلم والنظر والدليـل وما وراء ذلك من مبادىء الاصول ميسرا السبيل للطالب في تعابير مبسطة تنشط وينفتح لها الصدر في ذات الوقـت وعلى هـذا النموذج سار في عرض الحكم والواجـب والمحظور والمنـدوب والمكروه والمباح والشرط والمانع .

ثم تحدث في احد بنود المقدمة عن بعض المبادىء اللغوية الذي يتناول في صلبه ماهية الكلام او عن كيفية دلالتـه ، وفي ذلك بحوث خمسة بسطها واحدا تلو الآخر معطيا كل بحث ما ينتق ومدلوله .

اثر هذا عرض لتقسيم اللفظ الى مفرد ومركب متحدثا عن الاشتقاق الواقع بين اللفظين ــ المتناسبين في المدلول والتركيب مما يفسح المجال لرد احدهما الى الآخر وقد توفرت الاركان الاربعة المطلوب وجودها في هذا الرد ، وقد اقتضت هذه العملية الفنية بالطبع ذكر بعض الالفاظ المفردة التي توالت دلالتها على المسمى الواحد كالمترادفات ، او الموضوعة لحقيقتين مختلفتين او اكثر كالمشترك واستعماله في معنيين او معاني وما لرجال الفن كوضعه الشافعي وغيره من خلاف . ومن هنا انحدر صاحب الكتـاب للحديث عن الحقيقة والمجاز وتعريفهما بما يشفي صدر المستطلع الاولى فاحرى المتضلع في الفن معطيا امثلة واضحة في الموضوع ومبينا انواع الحقيقة ــ لغوية وعرفية وشرعية مدللا على ذلـك بامثلة حية يستسيغها الطالـب عن كثب دون ان يجد مشقـة في اقتباسها عن فهم .

بعد هذا المدخـل القيم الـذي عرض له كتاب الارشـاد باسلوب مبسط حي ــ دخل الى المقصد الذي هو عبارة عن اصول التشريع الاربعة ــ الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .

وهنا نرى الكتاب تلبس من جديد حلة قشيبة دمقسيـة ينشرح لها الصدر اكثر كأثر : طيب يتركه المدخل في النفس

فيأخذ في عرض الاصل الاول في التشريع وقوانينه معرفا الكتاب المقدس (القرآن) ومسهبا في بيان ذلك بعبارات سهلة يدركها الفهم والذهن دون ما عسر يجده الطالب في صلب بحوث الكتاب كالنقول آحادا هل يعتبر قرآنا ام لا ؟ وكالعرض للبسملة وتحقيق انها آية من كل سورة ، وكبحث المحكم والمتشابه من القرآن ووجود المعرب فيه بما يقرب من المائة كلمـــــة .

ومن القرآن انتقل للحديث عن السنة ــ الاصل الثانـــي بنفس الاسلوب ونفس الروح المرنة على السهولة في العرض والتعبير فعرف السنة بما تحمله لغة وشرعا متحدثا عن ذاتيتها واستقلالها بالتشريع وانها كالكتاب المقدس في تحليل الحلال وتحريم الحرام بالنص الثابت عنه عليه السلام اذ قال : الا واني أوتيت القرآن ومثله معه اي اوتيت القرآن واوتيت مثلــه من السنة التي لم ينطق بها القرآن ــ كتحريم لحوم الحمر الاهلية ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وغير ذلــك مما لم يات عليه الحصر . فكانــت لهذا حجيــة السنـــة المطهرة واستقلالها بتشريع الاحكام ضرورية دينيــة لا يخالف فيها الا مذبـــذب .

ثم تعرض الكتاب للبحث عن عصمة الانبياء ومعناهــا ، والحديث عن افعال الرسول وتقسيمها الى سبعة معان شارحا ما اذا تعارض قوله عليه السلام مع فعله وما تنطوي عليه هــذه المعارضة من مشاكل ككون القول خاصا به او عاما له وللامة او خاصا بالامة كل هذه التقسيمات وما اليها يبينها الكتاب بيانــا واضحا قد لا يوجد في مثله من كتب الفن ــ ومن هذا البحــث دخل للاخبار والحديث عن مفردهـــا وما يحمله من معنى لغــة واصطلاحــــا .

بعد هذا تحدث عن المقصد الثالث من مقاصد التشريع وهو الاجماع فاتى بمعنييه اللغوي والشرعي متكلما عن امكانيتـــه وامكان العلم به ونقله الى من يحتج به ، وعــارض لحجيتـــه (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) موردا هذا النص لسلس السهل شارحا الآية قال قد اخبر سبحانه عن كون هذه الا متوسطا والوسط من كل شيء خيــاره ، فيكــون تعالى قد اخبر عن خيرية هذه الامة ، فلو اقدموا على شيء من المحظورات لما اتصفو بالخيرية ، واذا ثبت انهم لا يقدمون على شيء من المحظورات وجب ان يكون قولهم حجة .

وفي هذه الاثناء بسط الكلام عن عدم حجة اجماع اهــل المدينة واجماع الخلفاء الاربعة لانهم بعض الامة ، وما الى هذا مما تناوله الموضوع في هذا المقصد التشريعي الهام الطويــــل العرض والشائك المقدمات والغايات وبالرغم من ذلك كله نجد الكتاب يهضم الكل في طياته السهلة كالعادة ثم اورد بحثا مهما له قيمته الاساسية تناول فيــه الاوامــر والنواهــي ، والعمــوم والخصوص ، والاطلاق ــ والتقييــد ، والاجمــال والتبييــن ، والظاهر والمؤول ، والمنطوق والمفهوم ، والناسخ والمنسوخ .

شارحا كل نوع على حدة ازاء مثاله ودليله رغبة منه في زيادة البيان والايضاح .

وها هو كتابنا الارشاد يشرف على الختم بعرض الاصل الرابع من اصول التشريع الاسلامي بروح القلم وبنفس الطريقة التي الفناها فيه ــ فيعرف القياس لغة واصطلاحا ويذكر حجيته وهل هو دليل بالشرع او بالعقل وعلى الاول الاكثر وذاكــرا اول من باح بانكاره ــ كالنظام وقوم من المعتزلة .

عقب هذا بسط اركانه وشروطه ومعنى العلة لغة والاقوال التي وردت فيها اصطلاحا ، والخلاف في جواز تعدد العلل ، وما الى هذا من عرض شروط الفرع وذكر مسالك العلة وانواعهـــا كمسلك الاجماع ومسلك النص .

كل هذا في عرض جذاب وتحليل منطقي اخاذ قد لا يجده الباحث في طيات غيره من كتب الفــن كالمستصفــى للغزالــي والتنقيح للقرافي وجمع الجوامــع للسبكي ومفتــاح الوصــول للشريف ابي عبد الله التلمســاني وسواها من الكتب في المادة .

ولا عجب فالشوكاني من رجال الفن الذين قدر لهــم ان يدرسوا الكتب الملمح اليها سارحا في مهامهما الفيح . (✱)

ويديهي ان يخرج من تلك الدراسات الفاحصة والبحوث العميقة بزبدة خالصة يستغيها الطالب الولوع ، ويقبل عليهــا في شوق اكثر لما يجد من تذليل وتهذيب في متعة تبعث بالطبع على التهــام الفــن في هوايــة ولهف يملقان بنفــس الدارس الصـــادق .

وهذا ما نهفو اليه من الصميم في اختيار كتب لها اهميتها في الفن ولها قيمتها في مساعدة المتعاطي على الاقتناء دون مــا حرج وشدة تأتي بعكس النتائج المرجوة من دراسات العلــوم والفنـــون .

فكتاب الارشاد المتحــدث عنه اليــوم هــو من الكتــب المهملة في دراسات الفن والمغفلــة فيــه بل من الكتب المجهولــة لدى الطلبة في الخزانة الاسلامية .

لذا فالكاتب يلفت نظر الاخوة الطلبة ان يبحثوا عنـــه ويتخذوه الصديق الوحيد في الفن للمزايا التــي يتوفر عليهـــا دون غيره خاصة اليوم الذي نعيشه وقد تزاحمــت فيه الفنــون واصبحت الحاجة في التسهيل والتبسيط اكثر .

الرباط : عبد الله الجراري

✱) والارشاد المتحدث عنه اختصره ــ محمد الصديق حسن المتوفى سنة 1307 هـ .

النصوص الفلسفية الميسرة
من تراث العرب الفكري

للدكتور كمال اليازجي
تقديم وتعليق : الاستاذ عبد القادر زمامة

عرفنا الدكتور كمال اليازجي مؤرخا للفكر العربي فى سائر اطواره .. وعرفنا منهاجه فى البحث والدراسة فى كتابيه « معالم الفكر العربي » و « الفلاسفة العرب »

وقد كانت لنا معه جولات فى كتابيه المذكورين حيث ان الدكتور اليازجي كان متجاهلا فى بعض الاحيان للجانب الديني من الفلسفة العربية معتمدا كل الاعتماد على الجانب الفكري ...

واليوم يقدم لنا كتابه الجديد « النصوص الفلسفية الميسرة » بعد ان كان قد اخرجها من قبل بعنوان « النصوص السائغة » .

وفكرة الكتاب واخراجه على هذا النمط مسايرة لعمل الدكتور كاستاذ للفكر الاسلامي فى الجامعة الاميركية فى بيروت ... وكمؤلف فى تاريخ الفكر الاسلامي فى كتابيه السالفين ...

اما موضوع الكتاب وشكله فهما ما يهمنا فى هذا الحديث الذي يتناولهما بشيء من التعريف والنقد والاستنتاج ...

ولعل المؤلف اراد ان يختصر الطريق على طلاب الجامعات وعلى غيرهم ممن يعنون بدراسة الفلسفة الاسلامية والفكر الاسلامي .. فاراد ان يقدم لهم نصوصا مهذبة ميسرة مختارة من اهم المصادر المعتمدة فى الموضوع ...

اذ لا يتيسر لكل هؤلاء ان يقرأوا المصادر والنصوص من دون ان يجد العوائق والاشواك التي تحول بينه وبين الاستفادة منها على الوجه المطلوب..
وهذا ما يحول احيانا بين الباحثين وبين الاستفادة من الكتب التي يقال انها (صفراء) او (قديمة) او (غامضة) او لم تكتب على نمط علمي صحيح ... !

واحب ان اسارع بملاحظة اساسية فى الموضوع وهي ان الدكتور اليازجي اختار من النصوص ما يكفي وحده ليكون مادة لدراسة واسعة لتاريخ الفكر الاسلامي فى العصور الوسطى ... بسائر اتجاهاته وابعاده المختلفة .

- فى الفلسفة الطبيعية والبشرية وما وراء الطبيعة
- فى الملل والنحل والفرق المختلفة
- فى التصوف الشرعي والبدعي
- فى المنطق والجدل
- فى قواعد النقد التاريخي ..
- فى طبيعة الاجتماع البشري ..
- فى الاخلاق والغرائز .

وهذا ما جعل كتاب النصوص الميسرة ملتقى عباقرة الفكر . واعلام الفلسفة . وقادة التوجيه .. كما جعله حديقة غناء لا ننتقل فيها من زهرة الا لتصادفنا اخرى ... ولا نودع ثمرة الا لنستقبل اخرى ...

وعمل المؤلف فى هذه النصوص عمل لا غبار عليه فهو اولا وقبل كل شيء عمل الاختيار .. ولا يعرف صعوبة الاختيار الا الذين يعانونه ليقدموا للناس من بين عشرات النصوص والموضوعات نصا او موضوعا جديرا بالاختيار والاقتناء ...

وهو ثانيا عمل الترتيب والتبويب والشرح والايضاح والتقديم فى شكل لائق بالدراسة فى هذا العصر ...

وقارىء كتاب النصوص يجد نفسه امام استاذ قدير سلك دروب الفلسفة .. واجتاز عقباتها واشواكها .. فهو لاينفك ياخذ بيدك لتتميم الناقص وجلاء الغامض .. وتوضيح المشكل

ولنعط نظرة على موضوعات الكتاب كما قدمها المؤلف في عرضه الانيق ...

ففي علم الكلام يختار المؤلف نصوصا لكل من الشهرستاني والغزالي ...

وفي الفلسفة يختار لافلاطون وارسطو والكندي.. والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد ..

وفي الاخلاق والاجتماع يختار لاعلام هذه الفنون مع الدقة والتركيز وتهذيب النصوص وشرحها شرحا ان لم يكن ضافيا فهو مختصر مفيد ...

والحقيقة ان التيارات التي تعاورت على التفكير الاسلامي في مراحله المختلفة هي التيارات التي جعلت المتقدمين والمتأخرين يجدون انفسهم امام عدة فرق وافكار متباينة كلها تدعي للاخذين بها انها تستمد من القرءان والحديث حججها وعقائدها وافكارها .. وانها تدور في فلك الاسلام وتهتدي بشريعته .

مع ان الواقع ان الاسلام لم يكن كعقيدة او كشريعة او كسلوك ليفرق بين الناس او ليسلك بمعتنقيه مسلك الخلاف والتقاطع .. والجدال العقيم ..

ولكن الذي عمل على ذلك هو :

اولا : العامل السياسي الذي سخر طائفة من المسلمين لناحية خاصة من التفكير والعمل فظنت ان ذلك دين يتبع وعقيدة يجب الايمان بها ...

ثانيا : العامل الثقافي الذي فتح المجال للافكار ان تتصارع سواء منها الافكار النابتة في المجتمع الاسلامي نفسه او الاجنبية التي جاءت بطريقة الترجمة والاقتباس .. حتى اصبح بعض المفكرين المسلمين يقتبس الفكرة اليونانية ويحاول اقامة الدليل عليها من نصوص الشريعة .. !! وهذا منتهى التهافت والتناقض ...

ومن اجل هذا نجد الصراع بين المعتزلة واهل السنة .. وبين المحدثين واهل المنطق .. وبين اهل التصوف والفقهاء ... !

وفي الكتاب الذي بين ايدينا نجد متعة في هذه الندوة الفكرية ... حيث نسمع الراي وضده والمذهب ونقيضه ... والطائفة بين انصارها وخصومها .. وكل ذلك بنصوص مختارة باقلام فيها الاديب المتفلسف .. والفيلسوف المتادب كما ان فيها من يتكلم بالمنطق اليوناني ... ومن يجادل بالبيان العربي ...

واذا كان هناك شيء ينتقد على هذا الكتاب فهو اهمال المؤلف لناحية مهمة من تاريخ الفكر الاسلامي وهي ناحية الشعراء والكتاب الذين تاثروا بالمذاهب الفلسفية ولعبوا دورا لا ينكر في تاريخ الفكر الاسلامي ولعل المؤلف لا يريد ان يخلط بين الادب والفلسفة ونحن لا نخلط ولكن نريد ان نقيس ابعاد الفكر الاسلامي اين وصلت عند هؤلاء الشعراء وهؤلاء الكتاب ولو كانوا بطبيعة الحال ليسوا فلاسفة ولا مناطقة ...

والشيء الثاني الذي ينتقد هو اهمال المؤلف لآراء المفكر الاسلامي العظيم الامام ابن حزم الظاهري الذي يعد ذا مذهب لعب دورا خطيرا .. وكان له انصاره وخصومه واحدث ضجة كبرى في الفكر الاسلامي ولا سيما في الاندلس والمغرب ...

وله مؤلفات وتراث فكري جدير بكل عناية ودراسة واهتمام ...

ولا نودع كتاب « النصوص » دون ان نشير الى ان تاريخ الفكر الاسلامي القديم قد سلك به الباحثون ومنهم الدكتور اليازجي مسالك لا تعدو الاطار الذي رسمه رواد الاستشراق في جامعات الغرب ..

وهذه المسالك هي انهم ظنوا خطا ان الفلسفة الاسلامية ليست الا ذيلا مكملا للفلسفة اليونانية القديمة .. !!

والواقع الذي يؤيده المنطق الصحيح والفكر المتجرد المتحرر من رواسب التبعية الفكرية هو ان ابحاث الفلسفة عند المفكرين المسلمين كانت تدور في فلك اوسع من الفلسفة اليونانية واكثر ابعادا واعماقا.

لكن الخطا الذي وقع فيه هؤلاء الفلاسفة هو محاولتهم التوفيق بين آراء ارسطو وافلاطون وبين الفلسفة الاسلامية .. مع ان هذه في واد وتلك في واد ...

ثم امعن بعضهم في هذا الخطا فصار يستدل بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع البعد الشاسع بين منهج الدين ... ومنهج الفلسفة اليونانية .

وكان بودنا ان نجد في تعاليق الدكتور ما يشير الى هذه الملاحظة عند استعراضه لآراء الفلاسفة المسلمين ولا سيما منهم الفيلسوف الاندلسي الامام ابن رشد الذي فتن بفلسفة ارسطو حتى جعلها مركزا لابحاثه وحاول التوفيق بينها وبين الشريعة .. ولكن هيهات ....

وفي يقيني ان كتاب النصوص مرآة صقيلة تنعكس عليها جل التطورات الفكرية في تاريخ الاسلام ...

أريج الزهر

للأستاذ: مصطفى الغلاييني

سألني احد طلبتي ذات يوم عن الكتاب الذي علمني الانشاء والوضوح في التعبير والتفكير .. وكان سؤال الطالب بسيطا او على الاقل كان يظنه بسيطا .. حيث كان يتوقع ان ادله فورا على الكتاب الذي علمني الانشاء والوضوح فيسرع اليه فورا ويلتهمه التهاما ليصبح كاتبا مجيدا واديبا كبيرا ...!

وقد فاجأني الطالب بهذا السؤال وهو يطلب الجواب فورا ويعتقد ان استاذه لن يبخل عليه بسر من اسرار المهنة ..!

نعم انني لم ابخل ولن ابخل بسر من اسرار المهنة اذا صح هذا التعبير .. واذا صح ان الانشاء مهنة .. فأجبت طالبي على الفور .. بهذا الاسم الجميل

(اريـــج الزهـــر) ...

والحقيقة ان الطالب كان من جهة يتوقع ان اجيبه باسم كتاب من كتب الجاحظ او ابن المقفع في القدماء او باسم كتاب من كتب طه حسين . او الزيات او زكي مبارك في المحدثين ..

ومن جهة اخرى لم يسمع بهذا الاسم الجميل .. اريـــج الزهر فهل هو ديوان شعري .. ؟ او مجموعة قصصية .. ؟ او رواية غرامية .. ؟ او قصة خيالية .. ؟

من يدري فالاسم جذاب لا يكون عادة الا لكتاب الفه فنان او شاعر او ذو موهبة في خداع العناوين .

لا هذا ولا ذاك ...

فأريج الزهر كتاب قرأته في صباي قراءة وحفظت بعض فصوله حفظا وكانت عباراته وكلماته المفتاح الــذي فتــح لي وجهي ابواب الاسلوب الذي اصطفيه لكتابتي منذ عرفت الكتابة والدراسة ومنذ قدر لي ان اكتب ليقرأ الناس او ليسمعوا ...

والغريب المستغرب ان هذا الكتاب كان بالنسبة الي صاحب رسالة اداها وانصرف .. فغاب عني منذ سنوات . وغبت عنـه ايضا .. بعد ان ترك في قلبي وفكري اعمق الاثر .. وقـد استعاره مني احد الاصدقاء وقد حدثته عنه .. فكان آخر العهد به فلم اعد اراه في مكتبتي مع الاسف الشديد .. !

واليوم اتحدث عن هذا الكتاب لا لكوني وجدته بعد مـا ضاع مني .. ولا لكونه افرج عنه بعد هذا السجن الطويل .. ! ولكن اتحدث عنه لان مطابع بيروت اعادت طبعه واخراجـه في شكل انيق جذاب ..وما رأيته في احدى واجهات مكتبة بالبيضاء حتى اسرعت لاقتنائه وكأنني اقتني اعز شيء ضاع مني . وجئت اليه وكأنني اجلس الى اعز اصدقائي واصفى اخواني ...

نعم هذا اريج الزهر .. ! وهذا مؤلفه مصطفى الغلاييني الاستاذ الكبير الذي كان من اعلام الادب العربـــي الافـــذاذ في بلاد الشام . وكان استاذا لجيل من الكتاب والشعراء تألـــق نجمهم وما يزال في دمشق وحلب وبيروت وعمان والقدس ... ولكن الغلاييني انتقل الى رحمة ربه منذ سنوات وتـرك آثـارا جميلة في مقدمتها مجموعة مقالاته التي سماها اريج الزهر ...

والكتاب حافل بالمقالات الادبية والاجتماعية والسياسية وقد كتبت باسلوب ناضج واضح مشرق لا يعاني صاحبـه اي مركب من المركبات النفسية او اللغوية التي نجد غيره يعانيها في وضوح تارة وفي تستر اخرى .

فالغلاييني اديب ومفكر واستاذ ذو رسالة في المجتمع وذو نفس زكية وعقيدة متينة عميقة فهو لذلك مشرق جذاب متمكن من اسلوبه وتفكيره ولا يقع تحت اي تأثير من غيره .. لا في التعبير ولا في التفكير ...

يعالج مشكلة التربية ومشكلة التدهور .. ومشكلة المرأة .. ومشكلة الاستبداد .. علاج الخبير لا علاج السطحي المردد لاصداء الغير .. ومن هناك يمكن ان يقـول بعض النـاس في افكاره انها (رجعية) ولكن الحقيقة ان افكار الغلاييني افكـار تتخطى حدود الرجعية والتقدمية الى شيء آخر اسمه (الواقعية).

وحينما يصير الانسان واقعيا غالما بالحقائق لا واقعيا عينيى مستهترا فاترا .. فانه لا يضيره في شيء ان يقال عنه اي شيء لانه يتكلم في حدود الواقع الذي ليس له من دافع ...

فالغلاييني عاش مشكلات بلاده ومشكلات اخلاقها ولغتها وحريتها وسيادتها واخذ حظه من العذاب والتضحية والالم فكتب وحاضر وجادل بلسانه وقلمه وكون تجاربه التي نقرؤها في اريج الزهر على انها مقالات وما هي في الحقيقة الا تجارب الحياة واصداؤها في الخير والشر والاستقامة والانحراف ...

ومن خصائص التجارب انها لا تفقد اهميتها مع طول الزمن . واتساع الثقافة واختلاف الاجيال وهذا ما جعل اريج الزهر كتاب يقرؤه الطالب والاستاذ والكاتب والمثقف فيجد كل منهم فيه افقا واسعا واشعاعا زاهيا . وتجارب لا تبلى جدتها لانها من صميم الحياة . ان لم تكن هي الحياة نفسها ..

وهذا ما جعلني بالذات ارجع لأريج الزهر بعد طول الغيبة والبعاد ... وهذا ما جعلني ايضا لا اتردد في ان اجيب الطالب الذي سالني عن الكتاب الذي كان مصدر وضوح اسلوبي واستقامة لغتي واسلوبي .. بانه كتاب اريج الزهر لا اقل ولا اكثر ..

ولعل بعض الناس ياخذهم شيء من الاستغراب ان يكون لهذا الكتاب الصغير كل هذا الاثر في نفسي ولكن الحقيقة هي ان حجم الكتاب وجدته وقدمه ليس لها من القيمة ما لروح مؤلفه واسلوبه .

ولعل من يقرأ مقالات المؤلف :

— ايها الانسان ...
— الالقاب والرتب
— السل الاجتماعي
— الارادة
— المال والشرف
— الاستقلال الشخصي .

يدرك الاجواء التي حلق فيها والمقاصد النبيلة التي قصدها . وهي بالذات مقاصد كل طموح ذي رسالة في الحياة

اما ناحية اسلوب الكتاب في هذه المقالات فهي ناحية خصبة ولكنها دقيقة حذرة لا زخرف فيها ولا تهويل ولا ميوعة ولا رجرجة ...

فالغلاييني رحمه الله ريان من اللغة العربية ريان من الثقافة الاسلامية ريان من التجارب الاجتماعية فلهذا كان اسلوبه اوقع في النفس واكثرها تأثيرا في الوجدان ...

واننا لنرجو ان يكون لهذا الكتاب دوره الفعال في وسط الطلبة والشباب بوجه عام ...

فاس : عبد القادر زمامة



رسائل ثقافية

موسوعة المغرب العربي، من بوادر الوحدة الثقافية العربية

للأستاذ: محمد أديب السلاوي

لقد صادق مؤتمر وزراء التربية والتعليم الذي انعقد بين 22 و 29 فبراير 64 ببغداد على مشروع ميثاق الوحدة الثقافية الرامي الى التعاون الشامل بين البلاد العربية ، في مسائل التعليم والثقافة وما يحيط بهما من الوسائل الفكرية الاخرى واذا كانت بعض الدول العربية قد صادقت على هذا المشروع في جلسات المجلس التنفيذي بجامعة الدول العربية المنعقد في الشهور الاخيرة لسنة 1964 فان دول المغرب العربي قد اكدت رغبتهـا سابقا ـ وقبل المؤتمر ـ في توثيق العلائق الثقافية ، عند زيارة وفد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي الى كل من تونس والجزائر في غشت سنة 1963 تلك الزيارة التي كانت تستهدف خلق مشاريع ثقافية تعاونية بين هذه البلاد ، والتي اسفر عنها مشروع تدوين وجمع موسوعة مغربية ، تكون جزءا من الموسوعة العربية الكبرى التي اوصى بها مؤتمر وزراء التربية ببغداد ، فيما بعد .

واذا كان مشروع هذه الموسوعة قد جاء نتيجة الشعور المشترك لضرورة اقامة وحدة ثقافية بين بلاد المغرب العربي ، فان هذه البلاد تعيش اليوم في طور الانتقال المرحلي الى آفاق الثقافة الانسانية ، والى السمو بنفسها الى رحاب تاريخها القديم الموحد حضاريا ، وجغرافيا ، وفكريا .

— 1 —

فالجزائر قد حددت في مشروع طرابلس لجبهة التحرير الوطني مفهوم الثقافة ، بكونها العامل الاساسي لتكوين فكر سياسي واجتماعي متفق من المبادىء العلمية ، ومحصن ضد العادات الخاطئة في التفكير اما دورها كثقافة قومية ، فيتمثل بالدرجة الاولى في تربية الاحساس الشعبي والدعوة الى بناء وحدة المغرب العربي تمهيدا لوحدة الوطن العربي . ومحاربة النزعة الثقافية التي تنتسب الى عالمية برجوازية مشبوهة ، ومطبوعة بالطابع الغربي .

وفي تونس اصبح لزاما على الثقافة ان تغير موقف الانسان تغيرا اساسيا حتى يسترجع قدرته على التحكم في مصيره ، وتطوير ملكاته ، وتصلب مواقفه ضد الامبريالية والاستعمار وتوضيح اهداف اقامة وحدة المغرب العربي ، خاصة وان « البوركيبية » ترمي الى تحقيق فكرة المغرب العربي ، اقتصاديا ، وسياسيا ، وجغرافيا ، وفي المغرب الاقصى اخذت الثقافة طابعها الجدي في خدمة الطبقات الشعبية على اساس ان مصير هذه الطبقات لا يستقر الا باقامة وحدة للمغرب العربي وتحويل عقليتها ، من التفكير القديم العتيق الذي بثه الاستعمار الفرنسي الى العالم الحديث الذي طبع بمفاهيم ومقومات حديثة ، وفي ليبيا بدأت الثقافة تنطلق من معقلها الصوفي نحو بناء ادبولوجية تتفق والعقليات الجماهيرية الهادفة الى الوحدة .

وبهذه الالتقاءات الكثيرة الموحدة الهدف ، والاتجاه ، نجد ان الثقافة في بلدان المغرب العربي ، التي هي بلدان متخلفة تنتمي الى العالم الثالث والهادفة الى بناء وحدة قائمة على اساس فكري متين عليها في هذه الفترة ان تنظم حملات جادة في التوجيه الشعبي ، وعليها البحث في تراثها العلمي المجهول ، واخراجه ، ليتمكن الجيل العربي الحالي من حضارته الغابرة ، وليحس بقيمة الانسانية بين الشعوب العربية الاخرى العريقة الحضارة .

وبتحقيق اهداف الثقافة في هذه البلاد ، فان ميثاق الوحدة الثقافية العربية ، سيأخذ طريقه نحو الانجاز والتطبيق ، كما سيجد مجاله للعمل الايجابي ، لانه لا يعدو ان يكون اعادة للتاريخ العربي الحافل بمختلف المظاهر لهذه الوحدة النابعة من القيم الروحية والصادرة عن معان كريمة في نفوس كريمة ابية جمعتها الحضارة العربية ، قرونا طويلة .

— 2 —

وقبل ان نتعرض لمشروع الموسوعة المغربية نشير الى ان هذا المشروع ، قد راعى بدقة مقومات الثقافة المغربية بوجهات نظرها الى الانسان والعالم بما يدخل تحت لواء هذه الثقافة من تاريخ وحضارة وعلوم وفنون وآداب ، كما دعم نظرة رجال الفكر في هذه البلاد الى الوحدة ، حيث جاء هذا المشروع محافظا على الروح الوحدوية القائمة بين اتجاهات الفكر في المغرب العربي .

بالنسبة لتحديد منطقة المغرب الجغرافية (✱) مثلا . لم يراع الحدود المصطنعة حاليا فأكد ان منطقة المغرب بالنسبة للبحث الحضاري في الموسوعة يجب ان تبدأ من الاسكندرية ، وتنتهي بالاطلنتيك وجبال البرانس ، وتنحدر جنوبا الى بلاد صنهاجة السودانية وشمالا الى جوانب من ايطاليا وفرنسا . وهي الحدود التي قامت فيها وحدة المغرب العربي قديما ، والتي ينطق منها رجال الحضارة ، والثقافة في ابحاثهم التاريخية العميقة .

واذا كان هذا المشروع يشكل احدى قواعد توحيد الاتجاهات الثقافية سواء منها القديمة او المعاصرة في بلاد المغرب العربي ، فانه قد حدد العصور التاريخية التي يجب ان يكون موضوع البحث التاريخي لهذه الموسوعة ، والتي تشكل في العمق اتجاهات تاريخية موحدة :

1) العصر الحجري
2) العصر البربري
3) العصر الروماني
4) العصر الوندالي
5) العصر البيزنطي
6) العصر العربي
7) العصر الاستعماري
8) عصر الاستقلال

مؤكدا الترجمة لكل شخص من رجال الحرب او السياسة او الملك ، او العلم او الادب او الفن في عامة العصور المذكورة ترجمة جامعة مركزة ، تراعى فيها الدقة ، والبحث العلمي السليم .

— 3 —

والحقيقة انه يتبين من خلال احداث العصور المذكورة القديمة منها والحديثة ، اتجاها حضاريا موحدا كما يتبين من خلال مجموعة الوثائق التي جمعها ثلة من علماء المغرب الاحرار من مستشرقين ومستعربين واختصاصيين في تاريخ البلاد الافريقية ، ان مجرد البحث في المعطيات الجوهرية لتلك العصور، واستقرائها بروح نقدية علمية ، سيعطي الكثير من النتائج الطيبة بالنسبة لربط علائق وحدوية جديدة على اساس الجذور التاريخية العميقة ..

فالمغرب العربي لم تفرض عليه الحدود الجغرافية المصطنعة لا في العصر الاخير (✱) فاذا ما رجعنا الى استعراض تاريخ المغرب من العصر البربري الى بداية العصر العربي لا نجد هناك مجالا جغرافيا بين المغرب ، والجزائر وتونس وليبيا ، كما لا نجد فروقا **اديولوجية بين هذه البلاد** —

وهذا في الحقيقة ، ما جعل الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي تتفاءل وتتحمس لهذا المشروع وتقوم بتعريفه على اوسع نطاق في العالم العربي ، ذلك لانه يشكل نموذجا حيا للوحدة الثقافية العربية المنشودة ، وطريقته المقترحة في التدوين والجمع خير دليل على اصول هذه الوحدة .

واذا ما طرحنا قضية الحتمية التاريخية رهن هذا المشروع، فاننا سنجد تطبيقه في الدافع يعطينا حركة جديدة لتقويم الوحدة العربية ، لان متطلبات الانسان العربي في بلاد شمال افريقيا ، في الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، والعلم والفن ، وفي كل ميادين الحياة المتشعبة لا يمكن انجازها بطريق تطوري علمي ، الا على اساس الرجوع الى الاصل ، لان مجرد تفكيرنا في وحدة المصير المشترك تجعلنا نرمي بابصارنا الى الوراء ، ولكن الوراء لا يمكن توازنه مع الحاضر الا على اساس وجوده .

— 4 —

وفيما يلي ملخص لمشروع هذه الموسوعة .

وفيه استقراء لكل المواد العلمية والفنية والادبية والتاريخية المشتركة بين بلاد المغرب العربي :

« 1) تحديد منطقة المغرب العربي جغرافيا وحضاريا بالقيام بابحاث دقيقة يتحقق منها وجه المغرب الحقيقي في كل المجالات .

2) التعريف بالاشخاص المغاربة من حيث مهنتهم واتجاههم ومنجزاتهم في ميدان البناء والتعمير والسياسة والادب والعلم والدين وتقسم العصور الى تسعة : الحجري — البربري — الفنيقي — الروماني — الوندالي — البيزنطي — العربي — الاستعماري — واخيرا عهد الاستقلال . والترجمة لكل شخص ترجمة

✱) حرر مشروع الموسوعة المغربية الاستاذ عثمان الكعاك محافظ الخزانة العامة بالجمهورية التونسية ، وهو اكبر دعاة الوحدة في المغرب العربي ، من رجال الثقافة .

✱) كان القرن السادس عشر ، وهو عصر الفتوحات العثمانية بداية فرض الحدود المصطنعة على بلاد المغرب العربي .

جامعة مركزة ووضع صورته ان امكن ـ وتذييل الترجمة بالمصادر الضافية .

3) التعريف بالمواضع والامكنة بغاية التوسع والتدقيق وذلك بايراد الوصف الحقيقي الجامع والتذييل بالمصادر ووضع المعادلات والمقابلات اذا كثرت اسماء المكان الواحد ويجب التنصيص على المسميات الجغرافية الاسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربي مع مقابله الافرنجي .

4) ذكر العشائر المغربية (بربرية وعربية ورومانية)

5) بيان اللهجات المغربية من الاندلسية الى الليبية باثبات اللفظ وامامه نقله الحرفي اللاتيني وبيان معناه الثابت او التطوري بالشواهد مع ذكر مختلف معانيه بحسب الامكنة وكذلك مفردات الحضارة مقسمة بحسب الجهات .

6) بيان العلوم المغربية وتقسيمها الى دينية ودخيلة وفلسفية وتصوفية وايرادها على الترتيب الابجدي مع التنصيص على مراحل النمو والتطور فيها .

7) بيان المعالم والآثار المغربية وايراد وصفها الدقيق المحكم والتنصيص على انواعها واجناسها .

8) الترجمة للادب المغربي في انواعه : ملحمة ـ موشح ـ زجل ـ مديح ـ ملزومة ـ الخ .

وفي لغاته (بربرية ـ بونيقية ـ لاتينية ـ عربية ـ تركية) وفي امكنته . (اندلس ـ صقلية ـ مالطة ـ جزائر ـ الخ .) وفي رجاله مع الاحالة على اماكنهم الابجدية وفي اغراضه (تاريخ ـ تفسير ـ ونقد ـ او وصف) او وفي مقارناته تاثرا او تاثيرا .

9) ذكر الفنون المغربية من رسم ونحت وموسيقى ورقص وفولكلور وتمثيل الخ . »

وبالنظر الى هذا المشروع نظرة الباحث ، الناقد ، نجد انه يعتمد على الوحدة التاريخية ، والحضارية لبلدان المغرب العربي الاربعة وبهذا تكون فكرة المغرب العربي التي انبثقت هنا في المغرب منذ انتهاء الحرب التحررية الجزائرية ، ليست وليدة تطور الاحداث الافريقية او العربية كما يدعي ذلك بعض اذناب الاستعمار في الغرب وفي الشرق وانما هي امتداد لتاريخ موحد عريق في القدم لبلدان شمال افريقيا ، ان هذا الجزء من العروبة قد وقف شعبا واحدا في القديم في وجه الغزاة سواء منهم التجاريين (الفنيقيون) او المستعمرين كالرومان مثلا .

فباستعراض احداث بعض الفترات التاريخية القديمة لما قبل المسيحية ، نجد ان هذه الدول كانت تعيش تحت نظام حكم واحد ، ف « مفاكس » و « ماسينسا » و « جوبا الاول » و « جوبا الثاني » (✱) كلهم ملوك ورؤساء ، عاش المغرب الموحد تحت نفوذهم قرونا طويلة ، وتلقف على ايديهم تيارات مختلفة لحضارات صور ، واثينا ، وروما ، بالاضافة الى الاشعاعات الفكرية التي اطلت على ضفاف البحر الابيض المتوسط ، من فينقيا ، واثينا ، وروما ، وبالتالي من الشرق العربي . ابان ظهور المسيحية ، والفكر اللاتيني .

فالمغرب لم يعرف في القديم الا بمجموع الاقطار الافريقية الممتدة غربي مصر بما فيها : برقة وطرابلس (✱) ولو انه كان بلادا بربريا قبل الفتح الاسلامي فان الكثير من النسابين اثبتوا علاقة الامتزاج اللغوي والاجتماعي والنفسي الموجود بين العرب والبربر بيد ان (كوتي) يذهب ابعد من هذا فيؤكد ان البربر ، والعرب سلالة واحدة ، وهذا ما جعل المغاربة يقبلون على الاسلام على نطاق واسع ، وهذا ما جعل الوحدة الجغرافية والرومية ترسي اقدامها في عهد الفتح الاسلامي لاقطار المغرب الكبير ..

فقد امكن ليوسف بن تاشفين البربري ان يوحد بفضل الدين الاسلامي بين اقطار المغرب من جديد بعد ان انفصلت فترة من الزمن . وان يخط لهذه الاقطار سياسة مشتركة، وبذلك قامت اول دولة موحدة في المغرب العربي بعد الفتح الاسلامي ، وانقراض المسيحية وابعد من هذا فان اكبر مظهر لوحدة المغرب العربي ، هو وحدتها الجغرافية التي لم تتغير رغم انقراض الحضارات ، والاديان ، والافكار ، فاقطار شمال افريقيا شبيهة الى حد كبير بجزيرة جبلية شاسعة الاطراف جعلت بالحتمية حضارة هذه البلاد ، وتاريخها مشتركة على مر العصور .

فافريقيا الشمالية واحدة في جميع مظاهر حياتها ، قديما وحديثا ، لانها تكون كتلة متراصة لا تتجزأ في الحضارة والتاريخ، واللغة والدين والعادات والطبقات ، والجنس والفكر .

(✱) يذكر التاريخ المغربي باجلال الملك جوبا الثاني ملك موريطانيا الذي امتدت مملكته الى الوادي الكبير بناحية قسنطينة ودامت مدة ملكه تسعا واربعين عاما ، فقد قضى هذا الملك طفولته الاولى في القصر النوميدي في جو تغمره الحضارة الليبية الفنيقية ، وقضى جولاته وباقي حياته في تشييد المغرب الكبير (راجع ترجمته كاملة في مقال الاستاذ عبد الهادي الشرايبي بمجلة وزارة الخارجية المغربية (المغرب) عدد 2 .

(✱) الجزء الاول من كتاب تاريخ الحضارة المغربية للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص 22 .

— 6 —

والمكتب الدائم للتعريب في العالم العربي الذي من مهامه توحيد الجهود العربية في الثقافة والفكر واللغة بين البلاد العربية قد درست لجانه الاختصاصية مشروع هذه الموسوعة على ضوء التاريخ المشترك لدول شمال افريقيا ، وبناء فيما بعد حيث كلف وزارات التربية في كل من تونس والجزائر وليبيا ، بوصفها وزارات ساهرة على الفكر والثقافة ومظاهر الحضارة ان تشكل هيئات معلمية لجمع وتدوين مواد الموسوعة تحت اشراف الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب .

كما شكل — المكتب المذكور — هيئة مغربية تحت رئاسة الاستاذ علال الفاسي . من خيرة رجالات الثقافة والفكر في المغرب الاقصى اجتمعت لحد الآن عدة اجتماعات ، وبدأت في تدوين ابحاثها ، ورسم خططها العلمية .

— 7 —

والآن لنلق بعض الاضواء على هذه الهيئة .

1) تقوم هيئة الموسوعة المغربية بتنسيق التعاون بين العلماء والباحثين وتنظيم جهودهم في سبيل اعداد الموسوعة المغربية كنواة لموسوعة الشمال الافريقي التي تكون جزءا من دائرة المعارف العربية والاسلامية والافريقية على نطاق واسع .

بيد ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب المشرف العام على الهيئات الفرعية يتولى التنسيق بين الهيئات المماثلة في الاقطار العربية الشقيقة .

2) يتولى المكتب الدائم للتعريب تهيئة الوسائل الادبية للباحثين من مراجع ، ومصادر ووثائق وجمعها من المكتبات العالمية كما يتولى تهيئة الوسائل المادية لطبع ونشر الموسوعة ، والحصول على التأييد والمساعدات اللازمة من الجامعة العربية والحكومات المختصة ، ومنظمة اليونيسكو بيد ان للهيئة الكلمة الفاصلة في تحديد مشتملات الموسوعة وما ينشر فيها .

3) بمجرد تسليمها المواد ، يكون لها الحق في نشرها في الموسوعة مع ما يستتبع ذلك من حقوق اعادة الطبع والنشر كما يكون لها الحق في الاضافة اليها والتعليق عليها والاختصار منها .

وللهيئة الحق في ان تنشر الابحاث المسلمة اليها في مجلة المكتب الدائم للتعريب (اللسان العربي) او نشراته قبل نشرها في الموسوعة .

ولا تكون هذه الحقوق للمكتب الدائم الا بناء على اذن موقع عليه من المؤلف وفيما عدا ذلك يبقى للمؤلف حقوق نشر بحثه او الاذن بنشره في اية صورة اخرى او بأية وسيلة اخرى .

4) تنشر الابحاث في الموسوعة بدون توقيع على ان ينشر في الصحيفة الاولى من كل جزء من اجزائها قائمة باسماء الباحثين الذين ساهموا في اعداد موضوعاته — وفضلا عن ذلك يجوز لبعض المؤلفين ان يشترطوا نشر توقيعاتهم على ابحاثهم على شرط ان يكون ذلك في هوامش الصفحات ، وللجنة ان تقبل ذلك اذا رأت ان للبحث اهمية خاصة .

5) يقدم الباحثون للجنة ابحاثهم متطوعين بمجهودهم في هذا العمل الجليل — سواء كانوا من اعضاء الهيئة او غيرهم بيد ان المكتب الدائم يؤدي مكافأة للباحثين كلهم او بعضهم اذا اشترطوا ذلك مقابل الاذن بالنشر .

كما يجوز للهيئة ايضا ان تقترح تقديم هذه المكافأة الى احد الباحثين قبل بداية عمله او اثناءه اذا كان هذا العمل يحتاج الى تفرغ او تخصص .

6) مكتب التعريب الدائم هو الذي يتسلم اصول الاجزاء التي تتمها اللجنة ليتولى نشرها بعد تنسيقها مع منجزات اللجان المماثلة في الاقطار الشقيقة الجزائر وتونس وليبيا .

7) مقر هذه الهيئة هو المكتب الدائم للتعريب ، ولها ان تجتمع في اي مكان آخر كما ان لها ان تختار مقرا آخر .

* * *

هذا وقد حددت هذه الهيئة حجم قسم المغرب من موسوعة المغرب العربي بعشرة اجزاء يكون مجموع كلماتها لا يقل عن عشرة ملايين كلمة ، وكل الاجزاء تنظم حسب الترتيب الابجدي .

بيد ان تقسيم مواد الموسوعة سيكون على الشكل التالي .

1) التاريخ :

ا — عصور التاريخ المختلفة الى اليوم .

ب — التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والاداري والقضائي عبر هذه العصور .

ج — التراجم .

د — المعالم والاثار .

2) الجغرافية :

1 — الجغرافية الطبيعية .

ب ـ الجغرافية الانسانية بما فيها دراسة الاجناس والعشائر .
ج ـ الامكنة والمدن .

3) مفاهيم الحضارة :

ا ـ اللغة واللهجات .
ب ـ الآداب (انواعها ـ لغاتها ـ امكنتها . الرجال ـ .
ج ـ العلوم .
د ـ الفنون (رسم ـ نحت ـ موسيقى ـ رقص ـ فولكلور ـ تمثيل ـ) .

4) الاقتصاد والموارد :

ا ـ الثروات الطبيعية .
ب ـ الزراعة .
ج ـ الصناعة (اليدوية والآلية) .
د ـ التجارة .
هـ ـ احصائيات عامة .

5) المؤسسات والنظم العاصرة :

ا ـ المؤسسات السياسية .
ب ـ المؤسسات الاجتماعية (الشبيبة ـ رياضة ـ الصحة ـ المرأة ـ الاسرة ـ (النقابة) .
ج ـ المؤسسات الاقتصادية .
د ـ المؤسسات الادارية .
المؤسسات القضائية .

6) الترجمة (لترجمة النصوص ، والمراجع الى العربية) .

❋ ❋ ❋

وقد شكلت هذه الهيئة لجانا خصوصية لكل مادة من المواد (✱) المذكورة بالاضافة الى لجنة لتجريد مصادر موسوعة المغرب العربي من موظفي المكتب الدائم للتعريب والمركز المغربي للتعريب التي تناولت الدراسات المغربية بمختلف اللغات ، ولجنة اخرى لتنسيق العمل بين اللجان مشكلة من مقرري هذه اللجان نفسها .

❋ ❋ ❋

ومن خلال مناقشات اللجان الفرعية هذه ، تبين ان هناك نقصا كبيرا في المراجع والوثائق والدراسات المفيدة ، فتقرر على اثر ذلك .

❋ الاعتماد علاوة على دائرات المعارف الاسلامية والهولاندية والفرنسية والانجليزية ، وعلى كل ما كتب عن المغرب بمختلف اللغات في الدول الاجنبية والعربية (✱) .

❋ والاستفادة من جميع الكتب في المكتبات الخصوصية والعمومية بمختلف اللغات ، وفي طليعتها مئات الكتب باللغة الفرنسية الموجودة بالخزانة العامة للكتب والمستندات المغربية علاوة على المجلات التي صدرت بالمغرب بالفرنسية والاسبانية مثل : (تمودة) و (هسبرس) و (الوثائق المغربية) .

❋ والاستفادة من جميع الخبرات الفكرية الموجودة في المغرب عربية واجنبية المختصة في مادة من مواد الموسوعة المغربية .

❋ استدعاء مجموعة من المفكرين العرب ، ومن المستشرقين العالميين للمساهمة في تدوين ابحاث الموسوعة .

❋ ❋ ❋

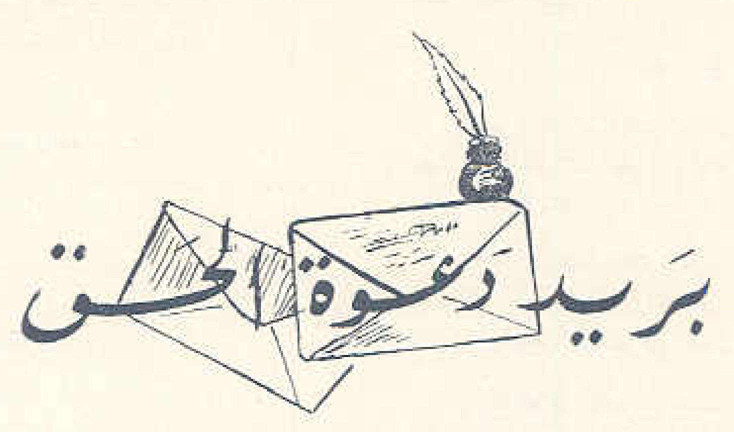
تلك نظرة عامة عن الموسوعة ، بزوغ فكرتها ، موضوعها منهجها ، ومن خلال كل هذا يتبين لنا انها تقوم على اساس استنباط وحدة الفكر والحضارة والتاريخ المغربي . كما تقوم في نفس الوقت على اثبات جذور وحدة المغرب العربي .

بارك الله هذه الجهود ، وجعلها في صالح العرب والعروبة .

محمد اديب السلاوي

(✱) من بين اعضاء هذه اللجان عدد من الشخصيات العلمية العربية الشرقية امثال : الدكاترة ، سامي الدهان ، وحسان عوض ، وتوفيق الشاوي ، والحاج مير ، والاساتذة عبد الحق فاضل ، ومحمود الحمليجي ، وغيرهم من المثقفين العرب المقيمين بالمغرب .

(✱) بعث المكتب الدائم للتعريب برسائل الى الاكاديميات العالمية والمجامع اللغوية والهيئات الادبية والعلمية في البلاد العربية في هذا الموضوع .



القى الينا « البريد » في هذا الشهر طائفة من الكتب ، والمجلات ، والنشرات ، والرسائل ، تحمل في طياتها انباء ثقافية ، ونشاطات فكرية ، وتعبر لنا عن عواطف نبيلة ومشاعر طيبة نحو مجلتنا ، ومشجعة خطتنا التي سرنا عليها من اول يوم ، في سبيل بعث جو ثقافي رفيع ، وحركة اسلامية متفتحة ترشد الضال ، وتهدي الحائر .

براعم : 168 صفحة من القطع المتوسط

« براعم» عنوان لديوان شعر اصدره الاستاذ الشاعر السفير السيد عبد المجيد بن جلون ، وقد اهداه لنا سيادته عند ما زرناه بمقر عمله بوزارة الشؤون الخارجية .

والاستاذ عبد المجيد بن جلون في غنى عن التقديم فهو معروف في الاوساط الادبية والابهاء الفكرية بنشاطه في التاليف والنشر . فقد قرأنا له مجموعة من قصصه « وادي الدماء » و « في الطفولة » كما طالعنا تآليفه : « هذه مراكش » و «مارس استقلالك » زيادة على ما كان ينشر له من مقالات حية واعية دقيقة في مختلف المجلات والصحف تتناول شتى القضايا في حقل الادب او دنيا السياسة .

والديوان الذي اهداه لنا نظمه وهو شاب يافع في سن مبكرة من حياته كما جاء في مقدمته ، وحسبك ما يشيره عنوانه في ذهننا : « براعم » .

وقد اتخذ الشاعر في ديوانه « براعم » طريقا وسطا بين الاتباعية والابتداعية اذ لائم بين المذهبين كما ينبغي ان تكون الملاءمة ، وتقرأ الديوان فتشعر في قراءتك بفورة العاطفة ، وثورة الوجدان وصدق الاحساس ، فالشاعر في قصائد ديوانه يحس بالطبيعة احساسا قويا ، ويشعر بها شعورا عميقا ، ويصوغ تلك الافكار والاخلية في براعة معنى ، ونصاعة لفظ ، وجمال صياغة .

وقد قدم الاستاذ عبد المجيد بن جلون ديوانه بهذه العبارة القصيرة :

(خطر ببالي عدة مرات ان امزق هذه الاشعار ، لا لشيء سوى لان شخصيتي لم تعد تنعكس عليها ، ولكني احجم عن ذلك لباعث خفي وعميق ، وفي النهاية لم اقرر ان لا امزقها فحسب ، ولكنني ايضا قررت ان انشرها على الناس ، وذلك لسبب بسيط هو ان هذه القصائد لم تعد ملكا لي ، وانا رجل اتخطى الاربعين، وانما هي ملك لفتى كنته يتخطى العشرين ، وليس من حقي ان اصدر حكما بالاعدام على ديوان يملكه غيري ، وليس من المروءة في شيء ان اتنكر لذلك الذي كنته ، بل ان من المروءة ان اكون له من الاوفياء ، فانشر الديوان الذي تركه ذلك الفتى لذاته امانة في عنقي .

واملي ان لا اكون اخطأت وانا افعل) .

عبد المجيد بن جلون

دول الشيعة في التاريخ :

اهدتنا « منابع الثقافة الاسلامية » التي تصدر سلسلة كتب علمية وثقافية تبحث في الاسلام كتاب « دول الشيعة في التاريخ» الذي هو الكتاب السابع والاربعون لمؤلفه الاستاذ الحاج الشيخ محمد جواد مغنية .

والاستاذ « محمد جواد » له عدة تآليف طبع منها : « الاسلام مع الحياة » و « الله والعقل » و « النبوة والعقل » و « الفقه على المذاهب الخمسة » و « معالم الفلسفة الاسلامية » و

« نظرات في التصوف » و « على الفلسفة » و « فلسفة المبدأ والمعـــاد » .

و « دول الشيعة في التاريخ » يتناول تاريخ الحكومات الشيعية التي قامت في مختلف ارجاء العالم منذ فجر الاســلام حتـــى اليـــوم .

المغـــرب كمـــا رايتـــه :

وصلنا هذا الكتاب الذي يتناول فيه مؤلفه الاستاذ «محمد رفعت » المحامي حياة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله كما يتناول جغرافية المغرب وتاريخه في عرض مفصل واضـــح ..

والاستاذ محمد رفعت كان قد تشرف بمقابلة صاحـــب الجلالة الحسن الثاني وهو ولي للعهد في سبتمبر سنـــة 1956 في تونس ، وقد استدعاه صاحب الجلالة لزيارة المغـــرب ، وجلس الى جانب جلالته في الطائرة ، واستمع لحديثه المليء بالاماني والآمال لبلاده ، والمشروعات الضخمة التي كان يفكر فيهـــا لتدعيم جيش المغرب وتقويته ، كما حدثه جلالته مؤكدا لـــه ان المغرب لن يتخلف ابدا عن السير في طليعة الركب العربي الحر المتحرر من كل قيد او نفوذ اجنبي .

وكان صاحب الجلالة يتحدث بنبرات حماسية تعلو على هدير وازير محركات الطائرة ، وكأنما يريد ان يذيعها من الجو على العالم كله كعقيدته وايمانه .

وقد افتتح كتابه بكلمة ذهبية من خطاب جلالته ألقاه في حفل افتتاح البرلمان جاء فيها :

(الدين الاسلامي : هو دين الدولة) وتعاليمه السامـــية تقتضينا ان نتمسك بالقيم الروحية التي جاء بها ، وحض عليها، وان نجعل منها عمادا لسلوك كل فرد منا في حياته اليوميـــة ، سلوكا يتسم بمكارم الاخـــلاق ، والآداب المثلـــى ، ونبـــل السجايا ، عملا بقوله تعالى : (ولو كنت فظـــا غليـــظ القلـــب لانفضوا من حولك) وقوله جل من قائل : (ولا تصعر خـــدك للناس ، ولا تمش في الارض مرحا) .

« الموسم الثاني للكتاب العربـــي بالمغـــرب »

لقد سبق للمكتب الدائم للتعريب ان نظم في شهر نوفمبر من السنة الماضية موسما للكتاب العربي اشتمل على محاضرات وندوات ومعارض للكتب ، وقد صادف نجاحا باهرا الامر الذي حدا كثيرا من الشخصيات العربية والعلمية الى ابداء رغبتها في اعادة تنظيمه وقد استجابت الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب لهاته الرغبة فقررت ان يكون اليوم الرابع من شهر مايو يوم تدشين هذا الموسم الذي استمر الى غاية السادس والعشرين منه . وهكذا نظم الموسم الثاني للكتاب العربي واشتمل على اسبوع للطالب المغربي احتوى على عـــدد من المحاضـــرات والنـــدوات والباريات في موضوعات وطنية وعلمية وفنية ، كما اشتمل ايضا على معرض فني ومعرض للكتاب العربي ، شاركت فيه بأروقة حافلة بنماذج من انتاجها كل من مصر وسوريا والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية وليبيا وتونس والمغرب ، كما حضر بعض ممثليها لحضور هذا المهرجان والقاء محاضرات وتنظيم ندوات واجراء استجوابات ، وقد وصل الى المغرب وفد عن المملكـــة العربية السعودية يتألف من الاساتذة عبد الله الحصين مديـــر التعليم بالطائف ، وعبـــد الله بوقص مديـــر التعليم بجـــدة ، والحسين محضر مدير العلائق الثقافية بوزارة التعليم السعودية . ومحمد بن مسعود وكيل وزارة التربية بليبيا ، واسماعيل احمد لسويح المستشار الثقافي لليبيا بتونس ، وعصام سليمان حيدر المستشار الثقافي للبنان بالاضافة الى سفير مصر وسوريا والملحق الثقافي للعراق الذين قاموا اهم انفسهم بتمثيل بلادهم ، وكانت محاضرات هؤلاء المندوبين تهدف الى التعريـــف بالحركـــات العلمية والادبية ببلادهم .

وغير خاف ان الموسم الاول قد كان فرصة لاظهار مدى سعة لغة الضاد على الاضطلاع بكل ما يناط بها اداؤه في الميادين العلمية والادبية والفنية ، وكان هذا الموسم ايضا فرصة اكثر مواتية للدعوة لنشر الثقافة العربية ، ولا سيما انه تضمن نشاطا طلابيا كبيرا اتاح الفرصة لتفتق الاذهان واظهار مدى اهتمام الشباب بالثقافة العربية ، كما اظهر نجاح التجربة التي بدأتها وزارة التربية الوطنية بالمغرب بتدريس الطبيعيات والفزيـــاء والرياضيات بالعربية في كل من كلية العلوم والمدرسة العليـــا للاساتذة .

وان فكرة اقامة مثل هاته المواسم التي يدعو اليها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي لهي في حد ذاتها برهان على القائمين عليه والمسيرين لشؤونه يفكرون دائما في المهام المنوطة بهم ويعملون لانتشال اللغة القومية من الوضعية الجامدة التي ظلت بها عدة قرون .

ويعتبر هذا الموسم السابع من نوعه بعد مرور ثلاث سنوات من تكوين المكتب ، واذا اضيف تنظيـــم المواســـم الى تنظيـــم مهرجانات ومناسبات ثقافية والى مشروع تأليف معاجم علمية وفنية باللغة العربية مقابلة مصطلحاتها ببعض مصطلحات اللغات العالمية الحية ومشروع تأليف موسوعة علمية على صعيد المغرب

العربي تكون النواة الاولى لدائرة المعارف العربية التي اوصى بها المؤتمر الثاني لوزارة التربية العرب في يبراير من سنة 1964 فان عمل المكتب حينئذ سيكون بلا شك عملا فعالا من اجل تطوير لغة الضاد ورفع مستواها المادي والادبي .

وقد اتيح للجمهور الرباطي مثل ما اتيح للجمهور البيضاوي في اواخر السنة الماضية ان يشاهد ما توصل اليه العرب من تقدم في ميدان الرياضيات والفيزياء والكيمياء والميكانيك والفنون المختصة وقد ادرك جميع المشاهدين ان اللغة التي تستطيع مصطلحاتها ان تساير قواعد علم الفضاء الذي يعتبر علم الساعة قادرة على مسايرة الحضارة بجميع فروعها ومختلف اشكالها وانها لا تحتاج الا الى تنسيق جهود العرب في مشارق الارض ومغاربها وذلك ما يعمل له المكتب الذي كونه العرب في هذا الجناح الغربي من العالم العربي .

وان المجامع والجامعات والمعاهد العربية وجميع المنظمات العلمية والثقافية الحرة والرسمية التي تساند المكتب وتتبادل معه الآراء والدراسات والمناقشات فيما يقوم به اعمال لصالح الثقافة العربية بوجه خاص ولصالح الثقافة الانسانية على العموم لخير مبشر بان المكتب سيحقق تقدما محسوسا وستدرك لغتنا القومية بفضل مواظبته واخلاصه اكثر ما تصبو اليه من تقدم ونهوض .

معاجمنا العلمية

بعض الملاحظات التي توصل بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي على معاجم الرياضيات والفيزياء والكيمياء التي وضعها بتعاون مع خبراء الشعبة الوطنية المغربية (المركز الوطني للتعريب) ، تلك الملاحظات التي ابدتها شخصيات وهيآت علمية مرموقة وخصوصا بعض وزارات التربية في البلاد العربية ولجنة الكيمياء والصيدلة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجلس الاعلى للعلوم بسوريا الشقيقة وقسم التعريب بوزارة التربية بتونس .

وبعد تأجيل ندوة الرياضيات التي كان من المقرر ان تنعقد في اواخر شهر دجنبر من سنة 1964 (بناء على مصادقة معالي وزير التربية بالجمهورية التونسية وندوة علم الاحياء بالقاهرة اوائل سنة 1965 (بناء على اقتراح معالي وزير البحث العلمي بالجمهورية العربية المتحدة وذلك تلبية لطلب الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية التي اقترحت تأخيرها حتى تقوم المنظمة العربية التي ستخلقها بناء على توصيات مؤتمر وزراء التربية العرب اواخر يبراير 1964 ، اما معجم علم الاحياء فان المكتب الدائم قد جرد جميع الكتب العلمية في الاسلاك الثلاثة وتوصل الى 300 14 كلمة بالفرنسية احالها على مجامعنا الموقرة وعلى الاتحاد العلمي العربي لوضع المقابل العربي لها اعداد التنسيق مناسب بين هذه المصطلحات وقد توصلنا باجوبة من هذه المجامع تؤكد ان لجانها المختصة منهمكة في وضع المقابل العربي للمصطلحات المذكورة ، وقد سبق لجامعة الدول العربية ان نظمت بعاصمة الجزائر مؤتمرا لتوحيد المصطلحات المعربة بين 12 و 15 يبراير وقدم المكتب الدائم معاجمه بما ادخل عليها من الملاحظات التي نسقتها تنسيقا اوليا بالرباط حلقة علمية ضمت كثيرا من اساتذة التعليم الجامعي العربي غير ان مشكل التوحيد لم يدرس في الجزائر ووصى المؤتمرون بترك ذلك للمكتب الدائم لاندراجه في اختصاصاته وعزز وزراء التربية العرب ببغداد هذا الاقتراح .

وان المكتب الدائم ـ نظرا لحالة الاستعجال التي عليها اقطار المغرب فيما يخص تعريب مواد العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء الذي دخل في حيز التطبيق وللصلاحية المخولة له من لدن مؤتمرات الرباط والجزائر وبغداد ونظرا للطلبات الكثيرة الواردة عليه من الاقطار العربية الاخرى التي تطالبه بنسخ وافرة من المعاجم العلمية التي لا يمكن توزيعها من جديد الا في طبعة منقحة مصادق على كثير من عناصرها (ومن جملة من طلب ذلك المجلس الاعلى للتعليم الثانوي بلبنان وقسم التخطيط بالقاهرة ووزارة التربية في المملكة السعودية) قد كون لجانا للخبراء العرب في شعب العلوم لتقوم بمهمة تنسيق المشاريع المعجمية مع الملاحظات التي توصل بها من الهيئات والشخصيات العلمية من اجل اعداد طبعة اولى لهاته المعاجم تكون نواة اولى لكتب علمية موحدة يسهل استعمالها من طرف الاساتذة والطلبة والتلاميذ على السواء .

وستكون هاته الطبعة الاولى قابلة للتنقيح والتعديل ، وتشير اللجنة في اسفل كل صفحة من المعجم الى الدول العربية التي تنفرد بوضع مصطلح يخالف ما ارتأته هذه اللجنة على امل ان يتم نهائيا وضع المعاجم الموحدة في العلوم والرياضيات والفيزياء في اقرب وقت ممكن حتى تكتمل وحدة المصطلح العلمي في كافة انحاء العالم العربي ، وتنتفي تلك البلبلة التي طالما تذرع بها اعداء التعريب الداعين الى ابطاله وتأجيله الى عشرات السنين حيث تزداد اللغة الاجنبية تمكنا من نفوس الاقطار التي ما زالت مبتلاة بها ويعسر اذ ذاك اي علاج لرد الحق الى نصابه والمياه الى مجاريها الطبيعية .

ومعلوم ان المكتب الدائم يعمل في نفس الوقت على استكمال الاداة العربية حتى يكون المصطلح العربي موحدا من جهة ، وموازيا لمجموع ما توصل اليه الفكر العلمي الحديث من جهة اخرى .

وقد قام بوضع عدد من الواح الايضاح على الطريقة السمعية البصرية الحديثة سيعمل على نشرها قريبا كما وضع قاموس الادوات والمعجم المصور وهو بصدد تحقيق مشاريع معاجم وقواميس في الموضوع تحقيقا لتعريب منطقي متدرج لا يجحف بمستوى التعليم .

من الكويت ....

توصلنا من الكويت ببيان الى الرأي العام من « جمعية الاصلاح الاجتماعي » جاء فيه :

(دأبت بعض الصحف المحلية على نشر مقالات وصور تستهزىء فيها بآيات القرآن الكريم وتسخر من المتمسكين بالدين ... كما جاء في جريدة الهدف الصادرة بتاريخ 24-3-65 وجريدة الرسالة الصادرة بتاريخ 28-3-65 م .

ونرى من واجبنا ان نذكر الشعب الواعي المومن ان وراء هذه الحملة المغرضة يقف اعداء الاسلام من حاقدين ، وملحدين وربائب الاستعمار .

وان ما نشر في الجريدتين المذكورتين من تهجم رخيص يعتبر تحديا سافرا لشاعر المسلمين في انحاء العالم ، كما ان فيها استهزاء وسخرية بكتاب الله الكريم ومخالفة صريحة لدستور الدولة وقوانينها التي تمنع كل ما يسيء الى الدين ، ويؤدي الى الفتنة ويخدم اعداء الدين .

ان تجرؤ صحف منحرفة فاجرة على الطعن بكتاب الله الكريم بادرة خطيرة تحدث لاول مرة في بلدنا الكويت المسلم ... وقد قامت جمعية الاصلاح الاجتماعي باستنكار ما حدث ، وطالبت المسؤولين باتخاذ الاجراءات اللازمة بمعاقبة الجريدتين المذكورتين ، وان من واجب المسؤولين في دولتنا المسلمة والجماهير المومنة ان يقفوا بحزم ويقظة ضد الحاقدين على الاسلام ، والمستهزئين بكتاب الله ، وان يضربوا بيد من حديد على كل من تسول له نفسه التهجم على عقيدة الامة .

والاسلام الحنيف كالطود الشامخ لن تضيره هجمات الحاقدين الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .

ومن المعلوم ان مجلة الحرية اللبنانية نشرت في عددها (202) قصة بعنوان : « جنرالات بلا جنود » بقلم صلاح عيسى تضمنت طعنا صريحا بالاسلام والرسول (ص) ويوسف عليه السلام ، وخديجة ، والحسين ، وزينب رضي الله عنهم ، وعلماء الازهر وخطباء المساجد باسلوب مبتذل رخيص ، كما اقتحمت فيها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بتهكم واستهزاء ...

ومن مكة :

توصلنا بقرار من الاقامة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة عن الدورة السادسة للمجلس التأسيسي اعتبارا من 25 ذي القعدة 1384 ـ 28 مارس 1965 م ـ 26 ذي الحجة 1384 ـ 28 ابريل 1965 .

... وقد افتتحت الدورة السادسة بتلاوة ما تيسر من آي الذكر الحكيم ، ثم القى سماحة رئيس المجلس التأسيسي الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ كلمة طيبة رحب فيها باعضاء المجلس ، وشكر لهم اهتمامهم واعتناءهم بما فيه رفعة هذا الدين وصلاح هذه الامة ، وقدر لهم ما بذلوه من جهد في سبيل تحقيق التعاون على البر والتقوى ، ونوه بالآمال المعقودة عليهم لنشر الدعوة الاسلامية وتمكين العقيدة الاسلامية .

وانتقل المجلس بعد ذلك الى البحث في جدول اعمال الدورة ...

وقد وردت على المجلس التأسيسي والامانة العامة عدة رسائل من شتى انحاء العالم الاسلامي حول السؤال عن طبيعة رابطة العالم الاسلامي وحقيقة اوضاعها وصلتها السياسية وغير ذلك ؟ .

وقد قرر المجلس التأسيسي في جلسته السادسة المنعقدة بمكة المكرمة بتاريخ 3 ذي الحجة 1384 اصدار هذا البيان توضيحا للحقيقة :

« ان رابطة العالم الاسلامي هي مؤسسة اسلامية شعبية محضة لا ترتبط باية حكومة اسلامية خاصة او اي مؤسسة سياسية وانما هي هيئة مستقلة تحاول كل جهدها ان تجمع بين قوى الخير العاملة في الحقل الاسلامي في جميع البلدان وتنسق بين جهودها وطاقاتها من اجل اعلاء كلمة الله ورفع شأن الاسلام والمسلمين ومناهضة الافكار الداخلية والقوى المعادية التي تعمل ضد عقائد المسلمين واوطانهم حيث جاء في المادة الثانية من نظامها الاساسي تحت عنوان : اهداف الرابطة ما يلي : اداء فريضة الله علينا في تبليغ دعوة الاسلام وشرح مبادئها وتعاليمها ودحض الشبهات عنها ومجاهدة المؤامرات الخطيرة التي يريد لها اعداء الاسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم واخوتهم والنظر في القضايا الاسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحل مشاكلهم .

ورابطة العالم الاسلامي ـ وهي تحاول اداء هذه الرسالة الاسلامية الخالدة ـ تمد يدها لجميع الحكومات الاسلامية والمؤسسات الدينية دون استثناء وتدعو الجميع للتعاون معها في كل ما ينفع المسلمين في دنياهم واخراهم حتى تحقق امر الله جل وعلا ، اذ يقول (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) . صدق الله العظيـــــم .

المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي

مـــن فرنســـا ... اكس

توصلنا من مدير مركز الابحاث عن بلدان البحر الابيض المتوسط الافريقية برسالة رقيقة تتضمن مشاعر طيبة نحو مجلة « دعوة الحق » مخبرا فيها بأن مركز الابحاث عن بلدان البحر الابيض المتوسط الافريقية قد امسى قسما عربيا يهتم بكل ما يخص هاته البلدان (ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب) كما يعتني بكل ما ينشر ويصدر في هاته البلدان من جرائـــد وكتب ومجلات باللغة العربية .

وادارة مجلة دعوة الحق ستزود القسم العربي بالمركز المذكور بما لديها من اعداد المجلة ، التي صدرت في السنوات الماضية الى الآن ...

ومـــن المغـــرب ... تطـــوان

كتب الينا الاستاذ الفاضل السيد حسن الوراكلي رسالـــة تتضمن عواطف طيبة ومشجعة لخطتنا التي نسير عليها ، فقال :

« ... فاذا كنـت من اوائـل الذين سـاروا في قافلـة « دعوة الحق » قراءا وكتابا ، فانا اشهد بأني لم احس من قبل بوشيجة وثيقة تشدني اليها كما احسست بذلك بعد لقاء الاخيـر بكـــــــم ... »

واقترح علينا سيادة الاديب بأن نفتح بابا بجانب الابواب الاخرى التي فتحناها في هيكل « دعوة الحق » يحمل عنوان : « قراءات في المجلات العربية » ، يقدم فيه تلخيص قد لا يخلو من نقاش لأروع وامتع ما تنشره كبريات المجلات في العالم العربي ... ولقد عقدنا العزم على فتح هذا الباب مـــع ابواب اخرى ستضاف في السنة المقبلة بحول الله .

شكـــر ... واعتـــذار ...

في كل يوم نتلقى عدة رسائل ومكالمات هاتفية يستفسر فيها اصحابها عن اسباب التأخير الذي يتعذر معه وصول المجلة الى القراء بصفة منتظمة .

واننا اذ نشكر جميع الاخوان الذين يكتبون الينـا في الموضوع او عن طريق الهاتف نخبرهم بأن هذا التأخير خارج عن نطاق ارادتنا .

واننا ـ علم الله ـ لنبذل كل جهد ليكون العدد في ايدي القراء في وقته فعسى ان نتغلب على الصعاب ، وعسى ان يعذرنا قراؤنا المحترمون .



نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة يتفقــد أوراش العمــل لبنــاء المساجـد

توجه معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلاميـة السيد الحاج احمد بركاش صباح يوم 5 مايو 1965 الى كل من مكناس والحاجب وايفران وازرو لتفقد اوراش العمل بالمساجد التي تقوم وزارة الاوقاف بتشييدها في المدن المذكورة .

كما درس سيادته في عين المكان بعض القضايا الحبسية مع المسؤولين عن الاحباس هناك .

تدشيــن مسجد بقبيلة ارغيوه ناحية فاس

كما تم اخيرا تدشين المسجد الذي قامت ببنائه وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في مركز باب وندر بقبيلة ارغيوه ناحية فاس .

وهكذا فقد حضر حفلة التدشين جمهور غفيـر من سكان هذه القبيلة والقبائل المجاورة يتقدمهم رجال السلطـة المحليين واعضاء الجماعة القروية وبعض العلماء وناظر احواز فاس .

وبعد تلاوة سلك من القرآن الكريم ترحما على باعــث النهضة مولانا محمد الخامس القيت كلمات كلها تنويه واشادة بجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله من بالغ العناية وكبيــر الاهتمام بشؤون الدين ، وحرص متزايد على تثبيت دعائمـه بهذا الوطن المسلم .

وفي الميدان الفلاحي خلال سنة 1965 :

انتهت في آخر شهر مارس من هذه السنة عمليات التشجير في سائر انحاء المملكة المغربيـة وقد اسفـرت عن نتائج هامـة تتخلص فيما يلي :

نظرا لوجود عدد كبير من الاراضي الحبسية التي لا ترد نفعا جزيلا على الاحباس ، ونظرا لتوفرها على مساحات كفيلة بانشاء مغارسات يتأتى الوصول اليها كلما دعت الضرورة الى ذلك خصوصا اثناء اجراء عمليات الحرث والتجفين والتسميد ، فقد صممت الوزارة العزم على تشجيرها بالزيتــون والبرتقــال والمشمش واللوز رغم كل ما يتطلب ذلــك العمــل من نفقـات باهظة واتعاب وتنقلات مستمرة عبر طرق وعرة .

وفي البداية واجهت الوزارة مشاكل عديدة فيمــا يخص الحصول على عدد وافر من النقلات يقدر بـ 80.000 ، وذلــك باستثناء العدد الضخم من اشجار « الكلبتوس » الذي تزود بـه ادارة المياه والغابـات للاحبـاس ليغرس بعضه مباشرة تحـت اشراف النظار وليغرس البعض الآخر بواسطة الادارة المذكورة على حساب الوزارة ، وباستثنــاء القدر من نقــلات الزيتــون المأخوذة من المطارح الحبسية .

وعلى اثر ذلك بدأت الاستشارات مع عدة فلاحيــن ممن لهم المام وخبرة بشؤون تربية النقلات ، واخيرا تم شراء هذا العدد من النقلات وغرسه باتمــه ، ولا شــك ان كامل العنايـة ستخصص له ان شاء الله فيما يرجع للمقابلة والتعهد .

كما جهزت عدة نظارات بالآلات الميكانكية الحديثـــة نظرا لاتساع نطاق مشاريع الغرس التي تسهر على انجازها .

ولقد بلغ عدد الاشجار التي تم غرسها سنته الى ما يأتي :

الـــزيتــــــون	64.200
الكلبتــــــوس	198.600
اللــــــــوز	7.850
البـــرتقـــال	3.940
المشمش والبرقوق	1.600
المجمـــوع :	276.194

وتقدر المساحة التي غرست فيها هذه الاشجار بـ 943 هـ ، اي ما يقارب الف هكتار .

وقد انفقت على انجاز هذه المشاريـع 35.000.000 مـن الفرنكـــــات .

ولم ينحصر نشاط وزارة عموم الاوقاف في غرس الاشجار فقط بل تجسم كذلك في تهيء النقلات للغرس المعد للسنوات المقبلة وهكذا تقرر انشاء مطارح جديدة في كل من نظارات فاس وصفرو وزرهون ومراكش قد تشتمل على اكثر من 200·000 نقلة من الزيتون وبهذه الطريقة سيسهل ، استقبالا، انجاز كل مشروع يتعلق بالتشجير .

وتكبدت الوزارة في الميدان الفلاحي نفقات ضخمة تجاوزت هذه السنة خمسين مليونا من الفرنكات ، وذلك باستثناء الصوائر التي تحملتها ادارة المياه والغابات لنفس الغاية والتي ستؤدى من طرف الاوقاف اقساطا بعد بداية نتاج الاشجار .

عدد وأنواع الاشجار التي غرست في سنة 1965

	الزيتون	الكليتوس	اللوز	البرتقال	المشمش والبرقوق
2) تازة	1·000				
3) القرويين	12·000				
4) احواز فاس	27·600				
5) المرستان	3·500				
8) زرهون	7·000				
9) صفرو	4·000				
10) مكناس	1·200			500	150
16) وزان	3·700			3·340	150
18) العرائش	3·000				
22) الناضور			7·000		
24) الجديدة		146·600			
25) آسفي		32·000			
31) صفري مراكش		20·000			
32) ورززات			850		
34) تافيلالت	1·200				1·300
	64·200	198·600	7·850	3·940	1·600
	642ه00	198ه000	65 ه	26 ه	12 ه
مجموع الاشجار			276·194		
المساحة الكلية			943ه00		
مجموع نقلات الزيتون في المطارح			200·000		

يمكن تلخيص ما سجل اعلاه فيما يأتي :

عدد اشجار الزيتون 64·200
عدد اشجار الكليتوس 198·600
عدد اشجار اللوز 7·850
عدد اشجار البرتقال 3·940
عدد اشجار المشمش والبرقوق 1·600

مجموع الاشجار : 276·194

مجموع المساحات : 943 ه

أنباء ثقافية

★ صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة لمؤلفه ابي الوليد ابن الاحمر ، قام بتحقيقه على نسختين الاستاذ السيد محمد التركي التونسي ، وراجعها وعلق عليها الاستاذ محمد بن تاويت التطواني . كما صدر عن نفس المركز العدد التاسع من مجلة ــ تطوان ــ .

★ كما صدر للاستاذ عبد الله كنون كتاب « عجالة المبتدئ وفضالة المنتهى » وهو مخطوط من تأليف الامام الحافظ ابي بكر محمد بن ابي عثمان الحازمي الحمداني حققه وعلق عليه الاستاذ كنون عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

★ لقد سبق للمكتب الدائم للتعريب ان نظم في شهر نوفمبر من السنة الماضية موسما للكتاب العربي اشتمل على محاضرات وندوات ومعارض للكتب ، وقد صادف نجاحا باهرا . الامر الذي حدا كثيرا من الشخصيات العربية والعلمية الى ابداء رغبتها في اعادة تنظيمه . وقد استجابت الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب لهاته الرغبة ، فقررت ان يكون اليوم الرابع من شهر مايو الماضي يوم تدشين هذا الموسم الذي استمر الى غاية الخامس والعشرين منه .

واشتمل الموسم الثاني للكتاب العربي المذكور على اسبوع للطالب المغربي احتوى على عدد من المحاضرات والندوات والمباريات في موضوعات وطنية وعلمية وفنية ، كما اشتمل ايضا على معرض فني ومعارض للكتب يشارك فيها كثير من الدول العربية ، ودور النشر . وقد قررت المشاركة معظم الدول العربية ، كما عين بعضها ممثلين لحضور هذا المهرجان ، والقاء محاضرات ، وتنظيم ندوات ، واجراء استجوابات .

وغير خاف ان للموسم الاول قد كان فرصة لاظهار مدى سعة لغة الضاد على الاضطلاع بكل ما يناط بها اداؤه في الميادين العلمية ، والادبية ، والفنية ، وكان هذا الموسم فرصة اخرى للدعوة لنشر الثقافة العربية ، لا سيما وانه يتضمن نشاطا كبيرا يتيح الفرصة لتفتق الاذهان واظهار مدى اهتمام الشباب بالثقافة كما يظهر نجاح التجربة التي بدأتها وزارة التربية الوطنية بالمغرب بتدريس الطبيعيات والفيزياء والرياضيات بالعربية في كل من كلية العلوم ، والمدرسة العليا للاساتذة .

والموسم الجديد هو الموسم السابع من نوعه بعد مرور ثلاث سنوات على تكوين المكتب ، واذا اضيف تنظيم المواسم الى تنظيم مهرجانات ومناسبات ثقافية ، والى مشروع تأليف معاجم علمية وفنية باللغة العربية ، مع مقابلة مصطلحاتها ببعض مصطلحات اللغات العالمية الحية ، ومشروع تأليف موسوعة علمية على صعيد المغرب .

★ افتتح في طنجة في السادس والعشرين من شهر مارس الماضي « مركز افريقي للتدريب والابحاث في الشؤون الادارية الخاصة بجهود النمو والتطور » وشهد حفل الافتتاح كل من السيد يوسف بن العباس ، وزير التعليم المغربي السابق ، والسيد رينيه ماهو مدير عام اليونسكو ، والسيد محمد الفاسي مدير الجامعة المغربية ورئيس المجلس التنفيذي لليونسكو ، كما شهد الحفل ايضا خبراء حضروا من ستة عشر بلدا افريقيا .

وانشىء هذا المركز في العام الماضي بمقتضى اتفاقية بين حكومة المغرب ومنظمة اليونسكو . ويهدف المركز الى تنظيم وتنشيط الابحاث والدراسات المتصلة بمشاكل الادارة العامة في قارة افريقيا ، كما ينهض بتنظيم دراسات تدريبية وتكميلية في هذا الميدان .

ويعمل هذا المركز على اساس اقليمي ، ويشرف على ادارته مجلس يضم ممثلا للحكومة المغربية ، ومندوبا عن المدير العام لليونسكو ، ومندوبين عن البلاد الافريقية ، وكذلك المنظمات الدولية التي تقدم مساهمات مالية والرئيس الحالي للمجلس هو السيد الفيلالي . رئيس المحكمة العليا بالرباط .

ويتمتع المركز الى جانب معاونة الحكومة المغربية ، بمساعدات اخرى تقدمها الامم المتحدة في نطاق برنامج المعونة الفنية ، وحكومة كل من كندا وفرنسا ، وذلك ضمن برنامج المعونة الثنائية .

★ صدر عن دار الكتاب بالدار البيضاء كتاب تاريخ العالم المعاصر لمؤلفه الاستاذ عبد الله العمراني ، يقع الكتاب في 430 صفحة من الحجم الكبير .

★ نشرت الصفحة الثقافية لجريدة « الصباح » التونسية تقـــول :

« محمد الصباغ الاديب المغربي الملهم وصاحب فـوارة الظما ــ وشلال الاسود ــ آخر روائعه الادبية كتاب ــ عنقود ندى ــ هي مجموعة خواطر سابحة صيغة في قالب شعري مرسل .. وهو عنقود ناضج يتهادى كالظلال الوريقة لتلتقطه العصافير العطشى الباحثة عن الرواء والخير ، فيحلو الغناء في حناجرها المرنة تحت سماء مراكش الضاحكة » .

★ نظمت جمعية اصدقاء « المعتمد » بشفشاون مهرجانا كبيرا احتفالا بذكرى الشاعر التونسي ابي القاسم الشابـي ، القيت فيه بحوث وقصائد تناولت حياة الشاعر وانتاجه .

★ عينت ليبيا الاستاذ محمد بن مسعود الوكيل المساعد بوزارة التربية رئيسا لهيئة ليبيا في موسوعة المغرب العربي تلبية لرغبة المكتب الدائم للتعريب ، والسيد بن مسعود ، مؤرخ كبير متخصص في دراسة التاريخ الليبي قديما وحديثا ، ولـه مجموعة مؤلفات قيمة في هذا الصدد .

هذا وعلمنا ان وزارة التربية الليبية تعتزم توجيه الدعوة لرؤساء الهيئات المغربية في موسوعة المغرب العربي الاجتماعي في ليبيا خلال شهر مايو القادم من اجل توحيد خطة العمل بين اللجان الاقليمية التي تتكون منها هيئة موسوعة المغرب العربي .

★ في نهاية شهر مارس الماضي ، غادرت مقر اليونسكو خمس بعثات قاصدة ، على التوالي الى الجزائر والاكوادور ، وايران ، وباكستان ، وتانزانيا . وتمثل هذه البعثات الخطوة الاولى في الخطة الانتخابية التي رسمتها اليونسكو للقضاء على الامية في العالم . وهذه في الواقع ، هي المرة الاولى التي يعتبر فيها محو الامية جزءا متكاملا في مشروعات التنمية الاقتصادية .

★ تعتبر صحيفة ساحل العاج اليومية ، صحيفة « الاخوة » من اوائل صحف العالم في الصدور باحدث الطرق العصريـة اذ يتم طبعها كلها بالتصوير الفوتوغرافي .

واقيمت المطبعة التي تصدر هذه الصحيفة على مساحـــة 2.000 مترا مربعا في بناء مكيف تكييفا خاصا ، هـذا وتقـوم المطبعة ايضا باصدار الكتب المدرسية .

★ بمناسبة مرور 50 سنة على الثورة الشيوعية الروسية يصدر في اكتوبر القـادم كتـاب « 50 سنة في حياة الروايـة السوفياتية » ومنتخبات من القصة القصيرة ومن الشعر .

★ تشاهد الفسيفساء « المزاييك » القديمـة في حـوض البحر الابيض المتوسط بمثل الكثرة التي توجد بها في افريقيا الرومانية القديمة ولقد كشفت الحفريات التي لا تزال تجـري حتى الآن في تونس ، منذ منتصف القرن ، عن آلاف القطع التي يدل اسلوبها على مختلف التيارات المتباينـة القادمة من اليونان والشرق ومصر وايطاليا ، واندمجت كلها معا وانصهرت جميعها في بوتقة التقاليد المحلية الفنيقية والبربرية .

ولقد اصدرت اليونسكو حديثا ، ضمن مجموعات الاعمال الفنية التي تصدرها ، عددا من اللوحات الملونة تبلـغ ثلاثين لوحة تصور الواح الفسيفساء القديمة مما تحتفظ بمعظمها متاحف « باردو » و « سوسة » و « صفاقص » في تونس .

وتمثل النماذج الزخرفية في هذه اللوحات ــ وكانـت تستخدم لتزيين المساكن الخاصـة والمباني العامة كالملاعب والحمامات ــ صورا من مختلف اوجه الحياة اليوميـة وفنـون الرياضة والملاهي . بحيث تشكل المجموعة دائرة معارف للحياة العلمية والاجتماعية والثقافية . كما نلاحظ فيهـا ايضا طابعا تأثري الاتجاه مما كان يسود الفنون في القرن الثاني ، ثـم ما لبث ان تخلى عن مكانته ، في القرن التالـي تاركـا الميدان للطابع الواقعي الناطق بالشخصية الافريقية .

وفي بداية القرن التالي بدأت تظهر الموضوعات المسيحية ولكن في شكل فني اقرب الى الرمز منه الى الافصاح وذلـك بسبب ما كان يتعرض له اتبـاع الدين الجديد من اضطهـاد . ويتجلى ذلك في اللوحات الفسيفسائية الخاصة بالقبور والمدافن وما الى ذلك . ثم جاء القرن الخامس فاخذت الاقاصيص المسيحية تشكل مصدرا صريحا لالهام الفنانين منذ ذلك العهد .

وقد فقدت فنون الفسيفساء قيمتها ، في تونس ، ابتداء من القرن السابع . وبعد ثلاثمائـة عـام ، اتاح العرب لهـذه الفنون مجال الازدهار بان اتخذوا منها زينة لقصورهـم فـي مربعات جميلة تستوحي النقوش والاشكال من قيم فنية وروحية مختلفة عما سبقها .

★ مجلة « الفكر » التونسية اصدرت عددا خاصا بالمؤتمر الخامس للادباء العرب اعلنت في مقدمته ان مستـوى الابحـاث والمحاضرات في المؤتمر الخامس كان ارفع واليق بحرمـة

الادب وامامة الفكر مما كان عليه في المؤتمرات السابقة . « ونشرت المجلة عددا من البحوث التي قدمت للمؤتمر ومنها دراسة الاستاذ عبد الكريم غلاب عن « الادب والغزو الفكري » .

★ قام لفيف من الادباء والشعراء السودانيين بتأليف مكتب اهدافه : تعميق مفهوم الثقافة العربية والفكر العربي في تونس ، ودراسة آثار الفكر العربي عبر التاريخ ، وابراز دوره في الحضارة الانسانية . والعمل على النهوض بالادب العربي والثقافة العربية السودانية ، حتى تضارع مثيلاتها في البلاد العربية الاخرى .

ويتألف المكتب من : ابى القاسم عثمان ، رئيسا مصطفى احمد سالم ، سكرتيرا ، حسين بيومي البارود مديرا للدعاية . ومختار محمد مختار ، ابراهيم عبد القيوم ، محجوب عمر باشري ، الطيب شبشة عبد الغني جوهر ، عبد الواحد لبني ، فيصل عبد الماجد قاسم ، خليل عبد الله الحاج ، محمد عثمان حسنين ، وتاج السر الطيب اعضاء .

★ محمد احمد محجوب وزير خارجية السودان سيصدر قريبا ديوانه الذي يضم قصائده تحت عنوان « النيل » .

★ انشيء اخيرا في القاهرة ودمشق مركزان لدراسة الثقافة العربية ونشرها وسيتولى احد المركزين بمساعدة اليونسكو ، اجراء بحث في موضوع مساهمات العلماء العرب في تطوير الفكر والثقافة بين القرنين السابع والثاني عشر . ويبحث المركز الاخر موضوع مساهمات الاسلام والعرب في الحضارة الاوربية وستكون لهاتين الدراستين اهمية ابراز ذلك الاثراء المتبادل الذي انتفعت به الثقافتان الشرقية والغربية وسيكون اجراء الدراستين مرتبطا ارتباطا وثيقا بالشعبتين القوميتين لليونسكو في القاهرة ودمشق .

وسيكون هذان المركزان بمثابة حلقتين في سلسلة من المراكز التي عهد لها باجراء دراسات في الثقافات ونشرها في نطاق مشروع اليونسكو الكبير الخاص « بالشرق والغرب » ويوجد الآن من هذه المراكز ثلاثة مراكز اخرى عاملة في طوكيو ، ونيودلهي ، وطهران .

★ رشح اعضاء المجتمع اللغوي الشاعر احمد رامي للجلوس على كرسي الشعر الذي خلا بوفاة عباس محمود العقاد .

★ افتتحت بالقاهرة اول قاعة موسيقى في مصر بمعهد الكونسرفتور — 4 آلاف كرسي — اطلق على القاعة اسم سيد درويش ، تضم القاعة — ارغنا — ثمنه عشرة آلاف جنيه .

★ نوقشت بكلية حقوق القاهرة رسالة للدكتوراة التي قدمها عبد الغني سليم البشري موضوعها اثر القوميات في الحركة القومية العربية وكانت لجنة الحكم مؤلفة من الدكاترة سليمان الطماوي ، وطعيمة الجرف ، واحمد ابو المجد .

★ يصدر قريبا عن الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة — في المنفذ المسرحي — للناقد فؤاد دوارة .

★ الشاعر السوداني محمد مفتاح الفيتوري صاحب ديوان — اغاني افريقيا — يعد للطبع ديوانا جديدا استمد موضوعه من تاريخ السودان في فترة المهدية .

★ جائزة مالية سنوية تحمل اسم « بيرم التونسي » سيخصصها مجلس الفنون بالقاهرة لتفوز بها احسن دراسة في موضوع يحدده المجلس .

★ اربعة فنانين وافقت وزارة الثقافة بالقاهرة على تفرغهم سنة ، هم : عبد الحميد الدواخلي ، نبيل الحسيني ، عبد الهادي الجزار ، وجمال محمود .

★ « لشحات » قصة نجيب محفوظ ، اسندت شركة القاهرة الى سعيد الدفراوي انتاجها للسينما .

★ فكري اباظة نقل الى مستشفى مورو بالقاهرة بعد ان اصيب بانزلاق غضروفي .

★ « ابعاد غائمة » ديوان للشاعر محمد احمد العزب يصدر قريبا عن مجلس الفنون بالقاهرة .

★ صدر في القاهرة للدكتور عبد المجيد عابدين كتاب « لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية » ، قبل الفتح العربي وبعده » .

★ بدأت لجنة الموسيقى في مجلس الفنون بالقاهرة تسجيل اوبرات دواد حسني بعد ان انتهى تسجيل كل الحان الشيخ سيد درويش عن طريق الرواة الحافظين لالحانه .

★ اقيمت ندوة معهد الموسيقى بالقاهرة عن « اثر ام كلثوم في لاغنية لعربية » اشترك فيها احمد رامي ، يوسف شوقي ، وانور احمد .

★ ستوفد دار الكتب المصرية بعثة الى الدول العربية تصور فيها مخطوطاتها النادرة .

* تسلم الرئيس اللبناني شارل حلو شهادة الدكتوراة الفخرية في الحقوق من جامعة القاهرة اثناء احتفال جرى في قاعة الاحتفالات في جامعة القاهرة اليوم وهو آخر يوم من زيارة الرئيس اللبناني الرسمية للقاهرة .

* كتاب الدكتور طه حسين « الايام » يجري طبعه الآن على اسطوانات في القاهرة .

* كتاب فنانون الاسكندرية التي الفه الاديب السكندري فكري بطرس حصل على الجائزة الاولى ــ الف جنيه ــ في مهرجان الكتاب العربي والكتاب يتناول حياة جميع الفنانين ابناء الاسكندرية منذ 120 سنة ابتداء من سلامة حجازي ، وسيد درويش ، حتى ادهم وسيف وانلي .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية: «فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة » للدكتور محمد علي ابو ريان ، « اضواء جديدة على الحروب الصليبية » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » للدكتور محمد البهي ، « العامل الديني في الشعر المصري الحديث » للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوي ، « مدخل الفقه الاسلامي » للدكتور محمد سلام مدكور » « طريق الانسان العربي الجديد » لمحمود الشرقاوي ، « نساء القرن العشرين » لبرتادوشو ترجمة الدكتور جمال الدين الرمادي ، « الزواج والطلاق في الاسلام » لزكي الدين شعبان ، « الاسد » للكاتب الفرنسي جوزيف كيسل، ترجمة ميشيل تكلاء ، « حياة قلم » لعباس محمود العقاد ، « تقديم طاهر الطناحي ادب امير البيان » لاحمد الشرباصي ، « مطلع النور » لعباس محمود العقاد ، « الافيون » رواية لمصطفى محمود ، « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية» للقائد عبد الله التل ، « شعراء الاسكندرية في العصور الاسلامية » لعبد العليم القباني المصري ، « في ظل الحكم العثماني » لمحمد سيد كيلاني ، « قصر على النيل » لثروة اباظة ، « شاعرات عربيات لروحية القليني .

* عين الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد عميدا لكلية الدراسات العربية بجامعة الازهر .

* صدر في القاهرة ديوان « انغام حائرة » وهو الديوان الثاني للشاعرة روحية القليني .

* اقامت رابطة الادب الحديث بالقاهرة ندوة لمناقشة كتاب الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين تأليف كامل السوافيري . وقد تحدث في الندوة كل من انور الجندي ، عبد الله التل ، عبد الله عبد الجبار ، عبد العزيز الدسوقي ، محمد مصطفى السحرتي ، وديع فلسطين .

* « نبضات » مجموعة شعرية للدكتور جمال مرسي بدر ، صدرت في الاسكندرية وتقع في 124 صفحة .

* « ازدادت اموال حملة الانقاذ الدولية من مبلغ 270.000 دولار الى 6.000 منذ بداية العام الحالي . وبلغت مساهمة الولايات المتحدة في هذا المبلغ ما يعادل بالجنيهات المصرية ستة ملايين دولارا ، وهو مبلغ يقرب من نصف الرصيد الاجمالي في هذه العمليات ، بينما ساهمت افغانستان وايطاليا وهولندا والسويد بمبلغ 571.463 دولارا ، واعلنت حكومة سويسرا عن تبرعها بما يعدل مليون فرنك .

هذا وقد قضي الآن على كل خطر يهدد باغراق المعبدين في ابوسنبل اذ بلغ ارتفاع القناطر المخصصة لحمايتهما من المياه 131 مترا فوق سطح البحر ، اي اقل اربعة امتر عن الارتفاع النهائي الذي ستبلغه في شهر اغسطس 1965 . وانتهى العمل كذلك من حماية الواجهات واحاطة تماثيل رمسيس الاربعة الهائلة . وتحقق في الوقت نفسه ما يقرب من 90 % من عمليات اقامة الصلب داخل المعابد والآثار ، كما تجري التجارب لاختيار المواد والادوات التي تستخدم قطع المعابد وتقوية الصخــــور .

وفي اثناء هذا كله يمضي العمل الحثيث في انقاذ اثار النوبة المصرية فيبدأ العمل قريبا في اعادة اقامة معبد « البيت العالي » ومن المتوقع انجازه في نهاية العام . وتجلب اليه حاليا قطع من مقبة بنوت المحفورة في الصخور عند عنيبة ، بنقلها بطريق النهر الى الموقع الجديد لمعبد عمدا حيث يعاد انشاء المقبرة . وتتم هذه الاعمال بفضل معاونة خاصة قدمتها الولايات المتحدة الامريكية .

وفي السودان تم بالفعل تفكيك معابد عكشة وبوهن وسمنة وقمة ، ونقلت اجزاؤها الى الخرطوم حيث يعاد تركيبها في حديقة المتحف الجديد حول مجرى مائي يمثل نهر النيل . وسيقام فوق كل معبد غطاء مصنوع من مادة شفافة لحمايته اثناء موسم الامطار . ويجري العمل في السودان ايضا لاستعادة اللوحات الحائطية القبطية التي اكتشفت عند الفرس ، وتم بالفعل انقاذ 180 لوحة منقوشة على الجدران ونقلت الى الخرطوم للترميم والصيانة .

هذا ، وقد اعربت حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن عزمها على منح معابد وقطع فنية معينة لحكومات الدول التي تساهم في عمليات انقاذ آثار النوبة . وقررت بالفعل منح معبد دندرة لحكومة الولايات المتحدة اعترافا لها بمساهمتها الكبيرة. ويرجع تاريخ هذا المعبد الى العام الثلاثين قبل الميلاد حين انشأ الرومان ، في عهد الامبراطور اغسطس على مبعدة 77 كيلومترا

من اسوان ، ثم حوله السيكيون بعد ذلك الى كنيسة . وتم الآن تفكيك المعبد الى قطع من الجرانيت نقلت الى جزيرة فيلة .

★ يبنى في وادي فينيقيا على نهر الكلب في ضواحي بيروت مسرح للاستعراضات الفلكلورية ومدرج يتسع لخمسة آلاف مقعد . ويشرف على هذا المشروع المطرب وديع الصافي . ويفتتح المسرح بمهرجان كبير في مطلع الصيف .

★ قررت لجنة احياء ذكرى المؤرخ العلامة عيسى اسكندر المعلوف طبع مؤلفه « تاريخ الاسر الشرقية العام » وهو يتألف من اربعة اجزاء بحجم قاموسي قطع كبير ويبلغ عدد صفحات كل جزء الف صفحة وفهرس على الابجدية . ويتناول المؤلف الاسر الشرقية جميعها في البلاد الآتية : لبنان مقيما ومغتربا ، مصر ، سورية ، الكويت ، المغرب ، بلاد العرب قاطبة وايران .

★ صدر عن دار اعلام الفكر في بيروت رواية « اصداء الحب » تأليف ميشال موسى وتقديم جورج سلستي .

★ دعت جمعية العلاقات الثقافية بين لبنان والاتحاد السوفياتي في بيروت الى امسية شعرية احياها الشاعر بولس سلامة .

★ « حنين العتبة » مجموعة شعرية جديدة للشاعر فؤاد رفقه تصدر بعد ايام في بيروت وهي قصيدة طويلة في 19 اغنية .

★ الاستاذ يوسف زعيتر صدر له في بيروت كتاب «مدرسة الحياة » ويضم مجموعة ابحاث وخواطر تدور على تجارب الحياة المادية والادبية والروحية .

★ قالت مجلة « الآداب » البيروتية ان سنة 1964 هي سنة جان بول سارتر في جميع انحاء العالم خصوصا بعد منحه جائزة نوبل .

★ « مآرب اخرى » مجموعة قصص تأليف ناشد سعيد صدرت في منشورات دار الثقافة بدمشق .

★ انهى الشاعر السوري محمد الماغوط «العصفور الاحدب» وهي مسرحية في اربعة فصول .

★ اقامت وزارة الثقافة والارشاد بدمشق في قاعة المركز الثقافي العربي امسية شعرية احتفاء بالذكرى الثانية لثورة اذار، برعاية وزير الثقافة ، احياها الشعراء : خليل الخوري ، صالح درويش ، زهدي خليل ، علي كنعان ، وممدوح عوان .

★ باشر الروائي الحلبي فاضل السباعي بوضع رواياته الجديدة ، وهي الخامسة في سلسلة رواياته والعاشرة بين كتبه القصصية . كانت روايته الاخيرة المعدة للطبع « رياح كانون» .

★ قدمت الجمعية العربية المتحدة للآداب والفنون بحلب مسرحية توفيق الحكيم « السلطان الحائر » .

★ « مباحث في الآداب الشعبي » تأليف عامر رشيد السامرائي وتقديم الشيخ جلال الحنفي ، صدر في منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية ببغداد .

★ تبرع الرئيس العراقي عبد السلام عارف بمبلغ 500 دينار من جيبه الخاص لعائلة الفقيد الشاعر بدر شاكر السياب . واعلن الدكتور عبد العزيز الدوري رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الخامس للادباء العرب ان الرئيس عارف يعتزم منح عائلة السياب راتبا تقاعديا .

★ صدر في بغداد لاحمد فياض المفرجي كتاب بعنوان « الحركة المسرحية في العراق » تحدث فيه عن المسرح العراقي منذ نشوئه 1920 الى سنة 1964 ويكاد يكون هذا الكتاب الاول في ميدانه .

★ اتم كمال ابراهيم احد اساتذة كلية التربية ببغداد دراسة ضخمة عن « كليلة ودمنة » واصولها العربية ، وستصدر الدراسة في كتاب .

★ صدر في منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة في عمان كتاب « آثار الاردن » تأليف لانكستر هاردنج وتعريب سليمان موسى .

★ تقرر بناء قاعة ثقافية كبرى باسم الفيصل في مدينة جدة

★ تعاقدت وزارة المعارف السعودية مع ثلاثة خبراء فرنسيين للتعليم الصناعي .

★ توفي في روما محمد علي كامل (64 سنة) مدير اكاديمية الفنون المصرية وذلك على اثر نوبة قلبية .

★ على بعد اثني عشر كيلومترا شمالي كوبنهاجن ، وبعد ثلاثة عشر عاما ، سيكون للدانيمارك مدينة جامعية ، متخصصة كلها في التقنيات ، تشمل 120 بناء ، مقسمة اربعة اقسام لتتبع فروع التعليم التقني : الهندسة المدنية ، والعمار والالكترونيات ، والكيمياء ، وترتبط بينهما ممرات تحت الارض طولها ستة كيلومترا .

★ اصدرت اليونيسكو قائمة تضم اسماء اندية اصدقاء اليونسكو في 70 بلدا ، كما تشمل القائمة على اسماء وعناوين المنظمات التي تقوم لتحقيق نفس الاغراض التي تسندها اندية اصدقاء اليونسكو .

هذا ويبين الكتيب ان معظم هذه الاندية والمنظمات تقوم في قطاعات التعليم وشؤون الشبيبة ومنظمات اولياء امور الطلاب

★ اصبحت مالطة منذ العاشر من شهر فبراير عضوا باليونسكو ، اذ وقعت حكومة مالطة في العشرين من شهر يناير الميثاق الاساسي للمنظمة واودعت في وزارة الخارجية البريطانية، في لندن ، وثائق عضويتها بالمنظمة . وبانضمام مالطة الى اليونسكو يصبح عدد الاعضاء فيها 118 .

★ حضر الملك جوستاف ادولف ، ملك السويد ، في الشهر الماضي ، معرضا مخصصا لعمليات انقاذ معابد ابو سنبل لتي تهددها مياه النيل بالاجتياح .

واشترك في تنظيم هذا المعرض كل من «تفنيكا ماندلبانكن ، والشعبة القومية السويدية لليونسكو ، وحكومة الجمهورية العربية المتحدة . ويقدم المعرض مجموعة من النماذج والصور التي تبين اعمال فك المعابد المنحوتة من الصخر ، تمهيدا لاعادة اقامتها على المرتفع المشرف على الموقع الحالي .

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الاعمال تشترك في انجازها ثلاث شركات سويدية . ويضم المعرض مجموعة من الوثائق الفوتغرافية البديعة ، من تصوير الفنان السويدي « بيراولوف » سيتم نشرها بعد ذلك في كتيب خاص . وفي المعرض كذلك عدد من القطع الاثرية التي عثرت عليها في النوبة بعثة الاثار السويدية برئاسة البروفسور « تورنى سافسوديربرج » وكانت هذه البعثة تقوم بحفرياتها في الفترة 1961 — 1964 .

★ تقام الآن في « رودوفر » احدى ضواحي كوبنهاجن، مدينة جديدة يقوم ببنائها ويشرف على ادارتها مواطنون من الشباب تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة . انها تجربة جديدة من وجهة النظر الحديثة التي ترى فيما يتعلق بالتعليم ضرورة تكييف المدرسي على المشاكل التي سيواجهها الشباب في مستقبل حياتهم العملية .

ستقوم هذه المدينة على مساحة مقدارها اربعة هكتارات مربعة ومن ثم سيتمكن الشبان بفضل اعمال البناء من التدرب مقدما على شؤون مهنهم كمقاولين ومهندسين وبنائين ونجارين. وستدخل التجربة بعد البناء في مرحلة ثانية لا تقل اهمية ، اذ سيعهد بادارتها المدنية الى شبان آخرين ممن اتموا التعليم الثانوي لكي يمارسوا ادارة الشؤون المحلية والمصرف ، ودار لبريد ، واعمال التأمين ، والمسرح الموجودين في المدينة .

★ اكتشفت بعثة آثار من الجمعية الجغرافية البريطانية طريقا رومانيا يقطع الصحراء ويبلغ طوله 300 كيلومتر .

وكان هذا الطريق حسب رأي العلماء يمثل آخر الخطوط الدفاعية على طول الحدود الطرابلسية ، وكان يمتد من قابس على الساحل التونسي ، ويمتد غربا الى « شط الغربي » ثم يهبط جنوبا ويمضي شرقا حتى يصل الى الميناء القديمة «ليبتيس ماجنا»

وقد استطاعت البعثة ان تعيد رسم معالم هذا الطريق وتتقصى اصله وامتداداته بفضل دليل سياحي يرجع تاريخه الى القرن الثالث ، ويشير الى المراحل التي تقع كل منها على بعد يوم سفر على الاقدام بين كل مرحلة واخرى . ووقع الباحثون ايضا على نقوش رومانية اعانتهم على التحقيق من المراحل الثلاثة الاولى في الطريق .

ويبلغ طولها 185 كيلومترا - ثم اكتشفت البعثة ايضا في الصحراء وعلى بعد حوالي 80 كيلومترا مجموعة من الاطلال الرومانية تشبه الابراج ويبلغ ارتفاعها ستة امتار تزين قممها نقوش منحوتة بارزة . وكانت هذه الاطلال في الاصل تعمل بمثابة اشارات الاهتداء الى الطريق . وقد استعان الباحثون بعد ذلك بما وقعوا عليه من اشارات صخرية هادية الى معالم الطريق داخل الاراضي الليبية .

★ سيتم اعداد « تاريخ عام لافريقيا » ، تحت اشراف اليونسكو ، وسيستغرق انجاز هذا العمل الضخم عشرة اعوام ، ولكنه لن يقتصر على تسجيل الاحداث التاريخية والنظم السياسية وانما سيشمل كذلك دراسة العلاقات المتبادلة ، اقتصاديا واجتماعيا ، بين الشعوب والجماعات المختلفة التي برزت في تاريخ هذه القارة .

وستتجه اليونيسكو لتنفيذ هذا المشروع الى « المجلس الدولي للافريقيين » وهي هيئة مهمتها التنظيم الداخلي بين الدول الاعضاء فيها ، وذلك لكي تقوم بتحديد المناطق والمسائل التي ينبغي اتخاذها موضع الدراسة في هذا المصنف، وكذلك اعداد قائمة بالنظم والخبراء يمكن الاستعانة بهم في تحقيق هذا العمل . والمقرر الآن ، في هذه المرحلة من المشروع ، اصدار طبعة اساسية تتألف من مجلدات عديدة وطبعة مختصرة للتوزيع على اوسع نطاق .

ومما هو جدير بالتنويه ان هذا المصنف لن يقتصر في مجال الاستناد على آخر المعطيات والمقررات في ميدان التاريخ وانما سيستند ايضا الى المستويات العليـا في مجالات العلـوم الجغرافيا البشرية والدراسات اللغوية .

✶ صدر كتاب بعنوان : ملاحظات عن بعض الشخصيات الكامنة وراء « اليوت » .. لهربرت هوارث ، والكتاب عمـل ادبي متكامل لانه نقد للاعمال الادبية ، والشخصيات الفنيـــة المعروفة التي قرأها « اليوت » وتأثر بها .. واقتبس منها ايضـــــــا .

الكتاب من الممكن ان يكون عنوانه هو « السرقات التي ارتكبها الشاعر تس اليوت » .

✶ وقعت بعثة انجليزية امريكيــة على مدينـة من مدن الحضارة « المنوية » يرجع تاريخها الى اربعة آلاف عام وتعد اقدم مدينة في هذه الحضارة يتـم الكشف عنها خارج جزيـرة كريت . فقد كشف عن هذه المدينة في جزيرة قيشرا احـدى جزر البليبونيز . والمعتقد ان هذه المدينة كانت بمثابة موقع خارجي يتخذ لحماية السيطرة البحرية الميمنوية ، ثم هجـرت حوالي عام 1450 امام اخطار الغزو المسيني قبيل سقوط قنوسا بحوالي خمسين عاما . هذا وقد وقعت البعثة كذلك على آثـار معبد افريقي يعود تاريخه ، فيما يبدو الى القرن السابـع قبـل الميـــــلاد .

✶ صفحة من صفحات المخطوط العربـي المحيط في اللغـة لمؤلفه اسماعيل بن عباس المعروف بالصاحب . حصلت دائرة المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني على مخطوط ـ المحيط في اللغة وهو قاموس عربي الفه اسماعيل بن عبـاد المعروف بالصاحب .. ونقلـه محمد بن محمد التبريـزي في عـام 760 للهجـــــــرة .

والمخطوط من حجم كبير ويتألف من 355 صفحة كتـب بخط نسخي جميل .. وكتبـت عناوين الفصول بخط كوفـي والمخطوط بحالة جيدة .

واما المؤلف اسماعيل بن عباد فكان من علماء اللغــة وكان شاعرا ورجل دولة وقد شغل منصب الوزارة لدى اثنين من امراء آل بويه في غربي بلاد فارس .

ويبدو ان هذا المخطوط هو النسخة الكاملـة الوحيـدة للقاموس .. ويوجد في المكتبة الوطنية بالقاهرة مخطوط يضم سبع هذا القاموس فقط .

✶ منح الاستاذ اورين ويفـر (من الولايـات المتحـدة الامريكية) جائزة كالينجا الدولية الثالثة عشرة وهذه الجائزة المخصصة للمشتغلين بتبسيط العلوم تقوم بمنحها لجنة دوليـــة تعينها اليونيـسكو ، وتبلغ قيمتها الف جنيه استرلينـي يتبرع بها السيد بيجوياناند باتنايك رجل الصناعة الهندي واحـد مديري المؤسسة المعروفة باسم « كالينجا وهي الامبراطورية التي اقامها آسوكا في الهند منذ اثنين وعشرين قرنا .

اما الاستاذ ويفر فقد ولد عام 1894 وبدأ حياته العلميـة استاذا للرياضيات . وله دراسات ومؤلفات عديدة نذكر منها : « ليدي لاك » (1) « ونظريـة الاحتمالات » (2) « والنظريـة الرياضية في المواصلات » (3) « والعلم والتعقيد » (4) « والناس والطاقة والغذاء » (5) . وهو الآن نائب رئيس مؤسسة آثار سلون ومديرها التنفيذي . هذا وقد انتخب عـام 1957 رئيسـا للرابطة الامريكية للعلوم .

ونذكر بهذه المناسبة اسماء الذين فازوا بجائزة كالينجا، منذ انشائها عام 1951 وهم ، على التوالي : لوي دي بروجلـي (فرنسا) ، جوليان هكسلي (المملكة المتحدة) فاليمار كيمفيرت (الولايات المتحدة) اوجستوبي سوتير (فنزويـلا) جـورج جامو (الولايات المتحدة) برترنارد راسل (المملكة المتحدة) كارل فون فريش (المانيا والنمسا) جان روستان (فرنسا) ريتشي كالدر (المملكة المتحدة) آرثر كلارك (المملكة المتحدة) جيرارد بيل (الولايات المتحدة) حاجيت سينغ (الهند) .

✶ انشأت الولايات المتحدة جهازا سيموجرافيا جديـدا بقيس الاهتزازات الزلزالية والبركانية في اعماق البحـار . ويمكن ان يركب هذا الجهاز في نقطة معينة داخـل ناقـوس معدني معين خاص ، ويبقى في مكانه ثلاثة وثلاثين يوما ثـم يستقبل ، بعد ذلك اشارة لاسلكية من السفينة فيخرج من ناقوسه وتـسترده السـفينة .

✶ ابتكرت المعامل الامريكية آلة كهربائية تنطق وتعلم الاطفال الخط . فعند ما يضغط الصبي على احد الازرار ينطبع الحرف المقابل للزر على صفحة من الورق ، وفي نفس الوقت ينطق بالحرف صوت مسجل . وعند ما تنتهي الآلة من طبـع حروف الكلمة فان الصوت الذي نطق بحروفها ، ينطق بالكلمة كاملـــــة .

ومع ان الغرض الاصلي الذي وضعت من اجله هذه الآلة هو تعليم الصغار الحروف الابجدية والهجاء عند بلوغهم السابعة الى الثانية عشرة من العمر الا انه يمكن ايضا استخدام هذه الآلة في تعليم اللغات الاجنبية ، بل يمكن كذلك الانتفاع بها في تدريب المكفوفين على استخدام الآلة الكاتبة ، وهذا ما تقوم الآن بتجربته معامل جامعة بيتسبرج .

✶ اجريت تحقيقات عديدة كان من نتائجها الوصول الى بعض المقررات التالية : تبين في احدى القرى الكندية ، انه منذ ان دخل التليفيزيون اصبح الاطفال ينفقون في اللعب اوقاتا اقل من ذي قبل . هذا بينما لم يثبت في انجلترا واليابان وقوع تخفيض في الاوقات المخصصة « للنشاط الاجتماعي » وذكر احد الباحثين ان التيليفيزيون « يحتل مكان هذا النشاط قائما بوظيفة مماثلة » وهذه ملاحظة حرية بان تشير لدى القراء واولياء الامور النظر في اهمية هذا « النشاط المفقود » .

ويرى كثير من ان فترة الوقت التي ينبغي ان يخصصها الصغار لواجباتهم المدرسية . ولكن الباحثين لا يوجدون اساسا يسند هذا الرأي : فقد وجدوا ان الصغار في اليابان يضيعون في المتوسط 14 دقيقة كل مساء ، بينما يعد الوقت الضائع في كندا وقتا ضئيلا لا يستحق الذكر .

✶ حددت حكومة المكسيك مدة ستة اعوام للقضاء في نهايتها على الامية ويبلغ عدد الاميين في الميكسيك حاليا حوالي تسعة ملايين ، ممن تجاوزوا التاسعة من بين مجموع السكان البالغ عددهم ثلاثين مليونا ويقطن معظم هؤلاء الاميين في المناطق الزراعية .

وستشترك البلاد جميعا في هذه الحملة فتتضافر فيها جميع المستويات القادرة من الصحفيين والكتاب والمعلمين وطلاب المعاهد والمدارس العليا . وتم الفعل طبع مليون نسخة من كتاب خاص للمطالعة ، كما اعلن عن قرب اصدار طبعة ثانية له .

— تصحيح خطأ —

« حول الزيادة في صومعة المسجد الاعظم بالرباط »

وقع في البحث الذي نشر حول الرباط للاستاذ السيد عبد الله الجراري ، ان الذي زاد في صومعة المسجد الاعظم بالرباط المولى يوسف رحمه الله .

والصواب ان الذي زاد في الصومعة المذكورة ، ستة امتار ، هو المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه .

— فمعذرة —